إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

القضـــايــا العقــدية فـــي ســـورة الــبـقـــرة

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**اسم الطالب: أسماء أحمد عبد الرحمن الملفوح**
Signature:	**التوقيع:**
Date:	**التاريخ: 5/ 1 /2014م**

الجامعــة الإســلاميــة- غزة
عمـادة الـدراســات العليــا
كـلـيــة أصــــول الـديـــن
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



القضـايـا العقـدية فـي سـورة الـبـقـرة

إعداد الطالبة
أسماء أحمد عبد الرحمن الملفوح

إشراف الدكتور
نسيم شحدة ياسين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة

1435هـ - 2013م



الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza



مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا   هاتف داخلي 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref

التاريخ 2013/11/24م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **أسماء أحمد عبدالرحمن الملفوح** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

القضايا العقدية في سورة البقرة

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأحد 20 محرم 1435هـ، الموافق 2013/11/24م الساعة العاشرة والنصف صباحاً بمبنى اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. نسيم شحدة ياسين	مشرفاً ورئيساً	....
أ.د. صالح حسين الرقب	مناقشاً داخلياً	....
د. سامي محمود أحمد	مناقشاً خارجيًا	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم العقيدة الإسلامية.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي وللدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 هاتف ص.ب 108 الرمال، غزة، فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps



﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾

(سورة البقرة: آية 285)



إلى من صاحبتني بدعائها فكان زاداً لي في المسير... أمي الحبيبة رعاها اللّه

إلى الركن الشديد الذي آوي إليه كل حين... أبي الحبيب حفظه اللّه

إلى إخواني وأخواتي الذين تقاسمت وإياهم لحظات المرح والسرور

إلــى كـل مـن لـه حق علــيّ مـن آل وصـحـــب

إلى كل عالم ومتعلم

إليهم جميعاً أهدي ثمرة غرسي

شكر وتقدير

إن أحق من يُشكر في هذا المقام، وأولى من يُحمد هو الله ﷻ الذي منَّ عليّ بالكتابة في هذا البحث الطيب، ويسر لي أسباب إنجازه فله الحمد والشكر.

ولما كان شكر الناس من شكر الله تعالى كما قال النبي ﷺ: "مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ "[1]، كان حقاً عليَّ أن أشكر من توَّج هذه الرسالة بتوجيهاته الثرية فضيلة الدكتور: نسيم شحدة ياسين الذي ما فتئ يتابع البحث على الرغم من مشاغله، فأجزل الله له الخير والمثوبة، ورفع درجته في الجنة.

كما وأتوجه بالشكر والاحترام لعضوي لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور: صالح الرقب، حفظه الله .

والدكتور: سامي أحمد، حفظه الله .

لتفضلهما مناقشة هذه الرسالة وتقويمها، ووضع بصمتيهما لتخرج في أحسن صورة، فأسأل الله تعالى أن يبارك فيهما، ويجزيهما خير الجزاء.

والشكر الممزوج بكل معاني الحب والاحترام إلى والدي الكريمين حفظهما الله تعالى، كما وأشكر إخواني وأخواتي لما قدموه لي من دعم وتشجيع.

والشكر كل الشكر إلى من منحتني من وقتها وجهدها الكثير ابنة عمي: فوزية الملفوح، جزاها الله عني خير الجزاء، ورفع درجتها في الجنة.

كما وأشكر من كانت له اليد الطولى في إخراج البحث بهذه الصورة البهية الأستاذ: هاني الصوص.

والشكر موصول للجامعة الإسلامية قبلة العلماء والمتعلمين، ولكل العاملين فيها، كما وأشكر المكتبة المركزية وكافة موظفيها، وأخص بالذكر الأستاذ: فؤاد الور، الذي كان خير معين في توفير الكتب والمراجع.

والشكر والعرفان لمشرفتي في العمل الأستاذة: مجدية عودة التي كانت تدفعني باستمرار لإنجاز البحث، فلها مني كل الشكر والتقدير.

وأخيراً أقدم كل الشكر والعرفان إلى من جعلوا لي من دعائهم نصيباً، فكان سبباً في بلوغي غايتي.

---

(1) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: محمد الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم الحديث: 1954، ص 445، قال الألباني: صحيح.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن أهم ما ينبغي الحرص عليه والاهتمام به هو محاولة الارتقاء بروح الإنسان كي ترتبط بخالقها حباً وعبادة وتألهاً، ومن أجل هذه الغاية أُنزلت الكتب، وبُعث الأنبياء والرسل جميعاً من لدن آدم ﷺ حتى محمد ﷺ، فإصلاح الروح بالعقيدة الصحيحة هو أسمى غاية، ومن أراد الوصول إلى هذه الغاية فعليه بالتزام القرآن الكريم والسنة النبوية فهماً وتطبيقاً، لأجل هذا ارتأيت أن أتناول سورة من سور القرآن الكريم وهي سورة البقرة؛ لاستخراج ما فيها من درر إيمانية، فكان عنوان البحث :

(قضايا العقيدة في سورة البقرة)

واللهَ أسأل أن يرزقني الإخلاص والقبول.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

تبرز أهمية الموضوع في النقاط الآتية:

1. ارتباط موضوع الدراسة بأشرف كتاب وهو القرآن الكريم.
2. أن الاشتغال بكتاب الله ﷻ فهماً وتدبراً وتحليلاً يعد قربة إلى الله تعالى.
3. اشتمال هذه السورة على أركان الإيمان الستة.

الدراسات السابقة :

من خلال الاطلاع والبحث تبين أن هناك بعض الرسائل التي كتبت حول سورة البقرة ومنها:

1. **التناسب في سورة البقرة، رسالة تقدم بها الباحث طارق مصطفى محمد حميدة في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة القدس.**

ركز الباحث فيها على دراسة علم المناسبات، واتخذ سورة البقرة نموذجاً لإبراز مدى ترابط اسم السورة بمحورها، وبدايتها بخاتمتها، كما أنه تطرق فيها للحديث عن التناسب بين سورة البقرة وغيرها من السور مثل: السور المفتتحة بـ(ألم)، وسورة الفلق.

2. **أحكام الأسرة في سورة البقرة من خلال تفسير الإمام الرازي مفاتيح الغيب دراسة فقهية مقارنة، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث أحمد ضياء الدين شاكر القيسي في كلية الشريعة الجامعة الإسلامية.**

جمع فيها الباحث آراء الفقهاء المتعلقة بالأحكام الأسرية الواردة في سورة البقرة مع موقف الإمام الرازي، والترجيح بين الآراء اعتماداً على قوة الأدلة.

3. **منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الفاتحة والبقرة دراسة موضوعية، رسالة ماجستير أعدتها الباحثة إسلام محمد أسامة ضهير في قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بغزة.**

تحدثت الباحثة فيها عن سبل الإصلاح والتغيير في حياة المسلم، سواء ما يتعلق بالجانب العقائدي، أو التعبدي، أو الدعوي، أو الاجتماعي، أو السياسي كل ذلك حسب ما جاء في سورتي الفاتحة والبقرة.

وتتميز دراستي بأنها تناولت الحديث عن المباحث العقدية في سورة البقرة، وبالتحديد ما يتعلق بمبحثي النبوات والغيبيات.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهجين الاستقرائي والتحليلي، حيث إنني قمت بتتبع الآيات الواردة في سورة البقرة التي تتعلق بأركان الإيمان الخمسة سوى الإيمان بالله تعالى، ومن ثم قمت بدراستها دراسة تحليلية.

طريقة البحث :

1. جمع الآيات التي تتعلق بأركان الإيمان الخمسة، وتوزيعها حسب موضوعات البحث.
2. نقل كلام علماء التفسير حول الآية كلما دعت الحاجة.
3. الاستعانة بكتب العقيدة في تأصيل المسائل العقدية.
4. إن كانت الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد كثيرة، اكتفيت ببعضها بما يؤدي الغرض.
5. عند ذكر المرجع لأول مرة يوثق توثيقاً كاملاً؛ بذكر اسم المرجع، والمؤلف، والمحقق إن وجد، ورقم الجزء، والصفحة، والطبعة، ودار النشر، ومع تكرار المرجع أكتفي بذكر اسمه.
6. إن كان هناك اتفاق في اسم الكتاب، وضعت اسم الكتاب مقروناً باسم مؤلفه للتمييز.

7. عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن وليس في الهامش.
8. إن كان الحديث في البخاري أو مسلم، اكتفيت بذكر المصدر دون الحكم على الحديث، وإن كان في غيرهما بحثت عن حكم الحديث، وغالباً ما أذكر حكم الألباني والأرنؤوط.
9. ترجمة الأعلام المغمورة في الرسالة.
10. بيان معاني المصطلحات الغريبة.
11. وضع فهارس للآيات، والأحاديث، والمراجع، والموضوعات.

خطة البحث :

وتشتمل على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف العقيدة وبيان أهميتها وأثرها على المؤمن.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العقيدة.

المطلب الثاني: بيان أهمية العقيدة وأثرها على المؤمن.

المبحث الثاني : التعريف بالسورة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سبب التسمية.

المطلب الثاني: الحديث حول مدنية السورة.

المطلب الثالث: فضل سورة البقرة.

المطلب الرابع: مجمل الأمور العقدية في السورة

الفصل الأول

الإيمان بالرسل والكتب السماوية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الأنبياء والرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

وفيه تسعة مطالب :

المطلب الأول: معنى الرسول والنبي، والفرق بينهما.

المطلب الثاني: أفضلية بعض الرسل على بعض.

المطلب الثالث: الأنبياء والرسل المذكورون في السورة.

المطلب الرابع: عصمة الأنبياء والرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

المطلب الخامس: وظائف الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

المطلب السادس: معجزات الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ .

المطلب السابع: الشفاعة.

المطلب الثامن: التوحيد في حياة الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

المطلب التاسع: واجبنا نحو الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

المبحث الثاني: الكتب السماوية

وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول: معنى الإيمان بالكتب، وبيان أهمية الكتب السماوية وحاجة الناس إليها.

المطلب الثاني: دلالة السورة على وجوب الإيمان بالكتب السماوية.

المطلب الثالث:الكتب السماوية الواردة في السورة.

المطلب الرابع: تفاضل آيات القرآن الكريم.

المطلب الخامس: تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية.

المطلب السادس: البشارة بالنبي محمد ﷺ في الكتب السابقة.

المطلب السابع: موقف اليهود من كتب الله تعالى.

المطلب الثامن: عاقبة المكذبين للكتب السماوية.

الفصل الثاني

الإيمان بالملائكة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: الملائكة.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الملائكة.

المطلب الثاني: دلالة السورة على وجوب الإيمان بالملائكة.

المطلب الثالث: صفات الملائكة.

المطلب الرابع: عصمة الملائكة.

المطلب الخامس: وظائف الملائكة.

المطلب السادس: أسماء الملائكة الواردة في السورة.

المبحث الثاني : الشياطين والجن.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الجن والشيطان، والفرق بينهما.

المطلب الثاني: حقيقة إبليس.

المطلب الثالث: عداوة الشيطان لآدم وذريته.

المطلب الرابع: أعمال الشياطين كما جاءت في سورة البقرة.

الفصل الثالث

الإيمان باليوم الآخر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر ومقدماته وأحداثه.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر، واهتمام القرآن به.

المطلب الثاني: مقدمات اليوم الآخر.

المطلب الثالث: أحداث اليوم الآخر.

المبحث الثاني: الجنة والنار.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: بيان أنهما مخلوقتان وأنهما لا تفنيان.

المطلب الثاني: حقيقة الجنة التي أهبط منها آدم عليه السلام.

المطلب الثالث: طريق الجنة شاق.

المطلب الرابع: نعيم أهل الجنة.

المطلب الخامس: عذاب أهل النار.

الفصل الرابع

الإيمان بالقضاء والقدر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر وبيان مراتبه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر

المطلب الثاني: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثاني: الهدى والضلال

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نسبة الهداية والضلال إلى الله تعالى لا تعني الجبر.

المطلب الثاني: مراتب الهداية.

المطلب الثالث: أسباب حصول الهداية والضلال.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل على خمسة فهارس هي:

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأحاديث النبوية.

3- فهرس الأعلام المترجم لهم.

4- فهرس المصادر والمراجع.

5- فهرس الموضوعات.

التمــهـيــد

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف العقيدة، وبيان أهميتها، وأثرها على المؤمن

المبحث الثاني: التعريف بالسورة.

المبحث الأول
تعريف العقيدة وبيان أهميتها وأثرها على المؤمن

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف العقيدة.

المطلب الثاني: بيان أهميتها وأثرها على المؤمن.

المطلب الأول

تعريف العقيدة

أولاً: تعريف العقيدة لغة:

قال ابن فارس[1]: "عَقَدَ: العين، والقاف، والدال أصل واحد، يدل على شدٍّ وشدة وثوق، وإليه ترجعُ فروعُ الباب كلها"[2]، وعُقْدة النكاح وكل شيء بمعنى وجوبه وإبرامه، وعَقَد قلبه على الشيء إذا لزمه، وفي الحديث: "**الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ**"[3] أي: ملازم لها، واعتقد الشيء: اشتد وصلب، واعتقد الإخاء: ثبت، وعقد العهد واليمين عقداً إذا أكدهما[4].

مما سبق يتبين أن الأصل اللغوي لكلمة عقيدة يرجع إلى عدة معانٍ منها: الشدة، والثبات، واللزوم، وهذا هو حال العقيدة، فهي تلازم فكر الإنسان، وترتبط به، ولا تكاد تفارقه.

ثانياً: تعريف العقيدة اصطلاحاً:

لم ترد كلمة العقيدة في القرآن الكريم بنفس لفظها، وإنما عُبّر عنها بمصطلح الإيمان[5]، وأصل الكلمة لم يرد في القرآن إلا في سبعة مواضع، منها: قوله تعالى:﴿ **وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ** ﴾(البقرة: 235)، وقوله:﴿ **أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ** ﴾(البقرة: 237) [6].

ولقد وضع العلماء عدة تعريفات لمصطلح العقيدة كلها تتفق على أن الأمر لا ينطبق عليه مسمى عقيدة إلا إذا وصل به صاحبه إلى حد اليقين والجزم، وهذا خاص بالعلميات دون العمليات،

---

(1) هو: أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسين اللغوي القزويني، كان شافعياً فقيهاً ثم انتقل في آخر عمره إلى مذهب الإمام مالك، له من التصانيف: كتاب المجمل، وفقه اللغة، ومقاييس اللغة، توفي سنة 395هـ. انظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان، ط1، 1420هـ-2000م، (7/181-183)، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، (1/411-418).

(2) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (4/ 86) .

(3) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، كتاب الجهاد، باب ارتباط الخيل في سبيل الله، رقم الحديث 2788 ، ص 474، قال الألباني: صحيح.

(4) انظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي(1/ 140).

(5) انظر:الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، دار الشروق، بيروت، ط11، 1403هـ-1983م ص10.

(6) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ص 468.

ومن هذه التعريفات:

ما ذكره السفاريني[1] بقوله: "حكم الذهن الجازم، فإن كان مطابقاً للواقع فهو صحيح، وإلا فهو فاسد"[2].

وعليه فإن الأفكار والمبادئ التي تقبل الشك والظن لا تسمى عقيدة، كما أن الاعتقاد إذا كان مخالفاً للواقع ولمنطق العقل فهو ليس عقيدة صحيحة سليمة، مثل اعتقاد النصارى بألوهية المسيح، فهي عقيدة فاسدة لا يقبلها العقل[3].

وعرفها الشيخ أبو بكر الجزائري[4] بقوله: "العقيدة هي مجموعة من قضايا الحق البدهية المُسَلّمة بالعقل والسمع والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره، جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً"[5].

وعرفها حسن البنا بأنها: " الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك"[6].

ثالثاً: تعريف العقيدة الإسلامية:

أما العقيدة الإسلامية فقد جاء في تعريفها بأنها: "الإيمان الجازم بالله تعالى وما يجب له في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب، وأخباره، وما أجمع عليه سلف الأمة، والتسليم لله تعالى في الحكم، والقدر، والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة، والتحكيم، والاتباع"[7].

---

(1) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، عالم بالحديث والأصول والأدب، ولد في سفارين، وتوفي بنابلس سنة 1088هـ، من أشهر مصنفاته: كتاب لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في عقد أهل الفرق المرضية، وكتاب كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط15، 2002م، (6/ 14).

(2) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد أهل الفرق المرضية، محمد بن أحمد السفاريني (60/1).

(3) انظر: مدخل لدراسة العقيدة، عثمان ضميرية، مكتبة السوادي، ط2، 1417هـ، 1996م، (121/1).

(4) هو جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري، مالكي المذهب له العديد من المؤلفات، منها: عقيدة المؤمن، منهاج المسلم. انظر: الشبكة العنكبوتية، موقع طريق الإسلام: http://ar.islamway.net/scholar/37 بتاريخ11/ 3/2012.

(5) عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ص: 15.

(6) رسالة العقائد من مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، ط1 1399هـ، 1979م، ص429.

(7) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر العقل، دار الوطن، ط1، 1412هـ، ص6.

مما سبق يتضح أن العقيدة لا تتعلق بالجانب العملي، وإنما بالجانب العلمي الفكري لدى الإنسان، فإن كانت هذه العقيدة تبعاً لما جاء به الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فهي عقيدة صحيحة تنجِّي صاحبها من عذاب الله يوم القيامة، وتأخذ بيده إلى طريق السعادة الأبدية، وأما إن كانت هذه العقيدة على عكس ما جاء به الرسل، فهي عقيدة فاسدة توجب لصاحبها الهلاك والشقاء في الدنيا والآخرة [1].

---

(1) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان الفوزان، 1422هـ، (1/ 6) وانظر: العقيدة في الله، عمر الأشقر، دار النفائس، عمان، الأردن، ط15، 1423هـ-2002م، ص12.

المطلب الثاني

بيان أهمية العقيدة وأثرها على المؤمن

أولاً: أهمية العقيدة:

إن العقيدة الإسلامية الصحيحة هي الأساس الذي يبنى عليه هذا الدين، وتقبل معه الأعمال، كما قال الله تعالى:﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا** ﴾ (الكهف: 110)[1] .

فهذان الشرطان المطلوبان لقبول العمل، أولهما: أن يكون العمل موافقاً لأمر الشارع، فمن أحدث في دين الله ما ليس منه فهو رد على صاحبه، قال رسول الله ﷺ: "**من أَحْدثَ في أمرِنا هذا ما ليس فيه فَهوَ ردٌّ** "[2] ، وثانيهما: هو إخلاص النية لله تعالى، وهذا يعني: أن الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة من الشرك، يقول الله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴾(الزمر :65)، ويقول تعالى:﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴾(المائدة: 5).

وقد ورد في سورة البقرة الكثير من الآيات القرآنية التي فيها تقديم الإيمان على العمل الصالح، كما في قول الله تعالى: ﴿ **آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الاهتمام بأمر العقيدة بالنسبة للأعمال[3]، وهذا لا يعني فصل العقيدة عن العمل، والاستغناء بأحدهما عن الآخر؛ لأن الإسلام عقيدة وشريعة[4]، فمن آمن بالعقيدة كان لزاماً عليه أن يؤمن بالشريعة، ومن عمل بالشريعة فلابد أن يربطها بالعقيدة، وعليه فمن فصل العقيدة عن الشريعة لا يكون مسلماً "[5].

---

(1) انظر:عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها، صالح بن فوزان الفوزان، ص6 .

(2) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، بيت الأفكار الدولية، الرياض، كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم الحديث:4606، ص 504، قال الألباني: حديث صحيح.

(3) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، شمس الدين السلفي الأفغاني، دار الصميعي، السعودية، ط1، 1416هـ-1996م، (62/1-63).

(4) انظر: العقيدة في الله، عمر الأشقر، ص 12.

(5) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، جمعية عمال المطابع التعاونية الأردنية، عمان- الأردن، ط5، 1404هـ-1984م، ص 42.

"وعلم العقيدة من أشرف العلوم؛ إذ إن شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة؛ لأن به حياة القلوب، فلا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر الخلق"[(1)].

وكذلك فإن العقيدة الإسلامية تشبع الميل الفطري لدى الإنسان، إذ إن الإنسان بفطرته يحتاج إلى قوة عليا حتى يركن إليها، ويلوذ بها إذا ما أحس بالخطر[(2)] .

كما أن العقيدة هي أعظم الواجبات بل أولها، حيث إن أول واجب على المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً ﷺ رسول الله، وبهذه العقيدة تعصم الدماء، وتصان الأرواح، وتمنع الأموال لقول النبي ﷺ : "**أُمِرْتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتى يَشهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ، ويُؤمنوا بي، وبما جئتُ بهِ، فإذا فعلوا ذلكَ عصموا منِّى دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها، وحسابُهُم على اللهِ**"[(3)]، والعقيدة السليمة يكفِّر الله بها الخطايا والذنوب وإن بلغت عنان[(4)] السماء، لقول الله تعالى في الحديث القدسي:" **يا ابن آدمَ، لو بلغَتْ ذنوبكَ عَنَانَ السماءِ ثم استغفرتَنِي غفرتُ لكَ ولا أبالي، يا ابن آدمَ، إنك لو أتَيتَنِي بقُرَابِ[(5)] الأرضِ خطايا ثم لقِيتَنِي لا تُشْرِكْ بي شيئاً لأتَيتُكَ بقُرَابِها مغفرةً** "[(6)]، فحصول المغفرة لا يكون إلا إذا سلم القلب من علائق الشرك[(7)].

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: محمد الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط8، 1404هـ-1984م، ص 69.

(2) أركان الإيمان، علي نايف الشحود، ط4، 1431هـ- 2010 م، ص 4.

(3) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: صدقي جميل العطار، بيروت، لبنان، ط1، 1424-2003م، دار الفكر، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم الحديث: 21، ص 41.

(4) العنان هو السحاب. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناجي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (3 / 313) .

(5) أي بمثلها. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م، (5/ 247).

(6) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، وما ذكر من رحمة الله لعباده، رقم الحديث: 3540، ص 804، قال الألباني: صحيح.

(7) انظر: رسالة في أسس العقيدة، محمد بن عودة السعوي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -، السعودية ط1، 1425هـ، ص7، وانظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، ص 7.

بالإضافة إلى أن العقيدة الإسلامية تعد الدواء الناجع لعلاج تشرذم الأمة الإسلامية، وتفرقها، فهي توحد الجميع، وتجمعهم على كلمة لا إله إلا الله، مع كل ما يندرج تحت هذه الكلمة من متطلبات وواجبات دينية[1] .

ونظراً لمكانة العقيدة وعظيم أهميتها، فقد كان اهتمام الأنبياءعَلَيْهِمُ السَّلَامُ في دعوتهم منصبّاً على زرع العقيدة في نفوس أتباعهم؛ بل إنهم جعلوا لها النصيب الوافر من دعوتهم، وخير شاهد على ذلك ما كان من النبي محمد ﷺ الذي استمر ثلاثة عشر عاماً وهو يعالج القضية الكبرى التي يقوم عليها الدين، ألا وهي العقيدة والتوحيد[2].

ثانياً : أثر العقيدة على المؤمن:

إن للعقيدة الإسلامية إذا ما استقرت في النفس آثاراً طيبة، ومن هذه الآثار :

1- تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، فالعقيدة الإسلامية تحرر الإنسان من كل ولاء لغير الله تعالى، فلا يكون الإنسان عبداً إلا لله [3]، وهذا ما قررته سورة البقرة، يقول تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ** ﴾(البقرة: 21).

2- تحرير الإنسان من سيطرة الغير والخوف منه؛ لأنها تزرع في نفوس أصحابها أن النفع والضر بيد الله تعالى وحده، فلا يملك أحد من دونه نفعاً ولا ضراً، يدل على ذلك الحديث الذي رواه ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: " كنت خلف النبيﷺ يوماً فقال: **"يا غلامُ، إنِّي أعلِّمُكَ كلماتٍ : احفظِ اللَّهَ يحفظكَ، احفظِ اللَّهَ تجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستعن باللَّهِ، واعلم أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لكَ، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوكَ بشيءٍ لم يضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعتِ الأقلامُ، وجفَّت الصُّحفُ** "[4][5].

---

(1) انظر: الوجيز في عقيدة أهل السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، وزارة الشؤون الإسلامية، الأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط1، 1422هـ، ص 27-28.

(2) انظر: مدخل لدراسة العقيدة الاسلامية، عثمان ضميرية، ص 37.

(3) انظر: في الثقافة الإسلامية، أحمد نوفل وآخرون، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 1411هـ- 1990م، ص 74، والعقيدة الإسلامية، محمود عبيدات، دار الفرقان، ص 19-29.

(4) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، رقم الحديث: 2516، ص 566- 567 قال الألباني: حديث صحيح.

(5) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، ص 59.

3- تحرير الإنسان من الجشع والظلم والأنانية: فالعقيدة الإسلامية تدعو أصحابها إلى البذل والعطاء، وحب الخير للغير، فهم مع حاجتهم للمال يبذلونه لغيرهم كما صورته سورة البقرة وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾(البقرة:177) وهذا ما علَّمه النبيﷺ لأصحابه حين قال :"**لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنَفْسِه**"[1] .

4- ضبط سلوكيات الفرد، وحثه على مكارم الأخلاق، فالمسلم عنده اقتناع قلبي أكيد بأن الله سبحانه وتعالى رقيب عليه، وقد وكَّل به ملائكة يكتبون أعماله وأقواله، ويحصونها له، ويؤمن بيوم الحساب الذي يثاب فيه المحسن، ويعاقب فيه المسيء، واستحضار مثل ذلك يؤثر في حسن سلوكه، واستقامة طريقته سواء في نفسه، أو مع الناس، أو فيما بينه وبين ربه سبحانه وتعالى[2].

5- غرس روح التضحية والبذل والعطاء في الإنسان، فالعقيدة تجعل الإنسان يضحي بأعز ما يملك من النفس، أو المال، أو الولد في سبيل ما هو أعظم، ألا وهي الجنة التي وعد الله عباده المتقين، من غير جبن أو أنانية[3]، وهذه العقيدة هي التي حركت هِمَم جنود طالوت حين قاتلوا جنود جالوت، يقول الله تعالى:﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة:249).

6- العقيدة الإسلامية الصحيحة تحقق التوازن بين متطلبات الروح والجسد بحيث لا يطغى جانب على آخر، بعكس المذاهب المادية التي أفرطت في إشباع متطلبات الجسد مع إلغاء الجانب الروحي، وجعلت غاية الإنسان في الدنيا الطعام والشراب والمنام [4].

7- تحرير الإنسان من الخرافات والأوهام، وذلك أن العقيدة الإسلامية تجعل من المؤمن إنساناً سوي التفكير، يشحذ كل طاقاته الفكرية فيتأمل في هذا الكون كي يتعرف على مظاهر عظمة

---

(1) سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، كتاب الإيمان وشرائعه، باب علامة الإيمان، رقم الحديث: 5016، ص762، قال الألباني: صحيح.

(2) انظر: الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر، محمد أبو يحيى وآخرون، دار المناهج، عمان- الأردن، ط1، 1420هـ-2000م، ص498.

(3) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص60.

(4) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد ملكاوي، مكتبة دار الزمان، ط1، 1405هـ - 1985م، ص 38.

الله وتفرده بالخلق والإبداع، فالعقيدة الإسلامية تفسح المجال للعقل الإنساني للتفكير والإبداع، بخلاف النصرانية المحرفة التي حجرت على العقول، وجعلتها تعيش في ظلمات الجهل والخرافات، وسورة البقرة فيها دعوة للعقل البشري للتأمل والتدبر في ملكوت السماوات والأرض ولا أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾(البقرة: 164)[1].

8- العقيدة الإسلامية خير دواء لأمراض القلوب، فهي تطهر القلب من الحسد والحقد والكبر، يقول النبيﷺ: "**لا تباغضُوا، ولا تَحاسدوا، ولا تَدَابرُوا، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً** "[2]، ولقد جعل النبي ﷺ الكِبْر مانعاً من دخول الجنة، يقول النبيﷺ : "**لا يدخلُ الجنَّةَ من كانَ في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ مِن كِبرِ** "[3] .

ولا يستطيع الإنسان أن يحقق هذا إلا باتباع العقيدة الإسلامية، وإن عقيدة هذا شأنها وهذه آثارها لحريٌّ بنا اتباعها.

---

(1) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص58.

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن التباغض والتحاسد والتدابر، رقم الحديث: 2559، ص1267.

(3) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الكبر رقم الحديث: 1999، ص453، قال الألباني: صحيح.

المبحـــث الثاني
التعريف بالسورة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : سبب التسمية.

المطلب الثاني: الحديث حول مدنية السورة.

المطلب الثالث : فضل سورة البقرة.

المطلب الرابع : مجمل الأمور العقدية في السورة.

المطلب الأول

سبب التسمية

سميت هذه السورة بسورة البقرة كما جاء على لسان النبي ﷺأنه قال: "**مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**"[1]، وهي تسمية ذكرها الصحابة فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أنها قالت: "**لَمَّا أُنْزِلَتْ الْآيَاتُ الْأَوَاخِرُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَلَاهُنَّ فِي الْمَسْجِدِ فَحَرَّمَ التِّجَارَةَ فِي الْخَمْرِ**"[2][3].

ومن العلماء من كره تسمية السورة بسورة البقرة، واشترطوا أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة مستندين في ذلك على قول النبي ﷺ : "**لَا تَقُولُوا: سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَلَا سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، وسَائِرُ الْقُرْآنِ، ولَكِنْ قُولُوا: السُّورَةُ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْبَقَرَةُ، والسُّورَةُ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا آلُ عِمْرَانَ** "[4][5].

والرواية التي استدل بها هؤلاء ضعيفة لا يحتج بها، وقد ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنهأنه قال: "**هذا مَقامُ الذي أُنزِلَتْ عليه سورةُ البقرةِ** "[6][7].

والصواب في هذه المسالة أنه يجب تسمية السورة بسورة البقرة لورود النص الصحيح .

وسميت سورة البقرة بهذا الاسم لورود قصة بقرة بني إسرائيل فيها، وهذا مما انفردت به السورة، وملخص القصة أنه كان رجل من بني إسرائيل ذا مالٍ كثيرٍ، وكان ابن أخيه وارثه؛ لأنه كان عقيماً لا يولد له، فاستعجل ابن الأخ وفاة عمه كي يرث ماله، ولما تطاول عليه ذلك، سوَّل له الشيطان قتل عمه، فقتله، ثم وضع جثة عمه على باب رجل منهم، وأخذ يطالب بدمه وأصبح كل

---

(1) سنن أبي داود، كتاب شهر رمضان، باب تحزيب القرآن، رقم الحديث 1397، ص 169. قال الألباني: صحيح.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية– الرياض ط 1419هـ–1998م كتاب التفسير، باب (يمحق الله الربا)، رقم الحديث4541، ص859.

(3) انظر: التحرير، والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس (201/1).

(4) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق محمد حسن الشافعي، ط1، 1420هـ–1999م، رقم الحديث: 5755، قال المحقق: إسناده ضعيف (4/ 213).

(5) انظر: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية (2/ 347–348) .

(6) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب رمي جمرة العقبة من بطن الوادي، وتكون مكة عن يساره، ويكبر مع كل حصاة، رقم الحديث: 1296، ص 607 .

(7) انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرين، مؤسسة قرطبة، الجيزة، (1/ 249).

رجل من بني إسرائيل يتهم الآخر، وكادت الحرب أن تقوم بينهم لولا أن أهل الرأي فيهم أشاروا عليهم باللجوء إلى موسىعليه السلام، فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له فقال: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ** ﴾(البقرة: 67) ثم شدَّدُوا على أنفسهم في السؤال عن حال البقرة فشدد الله عليهم، ولم يجدوا البقرة إلا عند رجل فقير لا يملك غيرها، فأعطاها لهم بملء جلدها ذهباً، فذبحوها، فضربوا الميت ببعضها، فقام، فقالوا: من قتلك؟ فأشار على ابن أخيه ثم عاد ميتاً، فلم يعط من ماله شيئاً [1] .

ولسورة البقرة اسم آخر يطلق عليها وهو الزهراء، وهذا الاسم مأخوذ من قولهﷺ : "**اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وآلَ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ**[2]، **أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ**[3] **يُحَاجَّانِ عَنْ أَهْلِهِمَا** "[4]، وللعلماء في تسمية "البقرة وآل عمران" بالزهراوين ثلاثة أقوال[5] :

القول الأول: أن الزهراوين بمعنى النيرتان، سميتا بذلك لأنهما تنيران الطريق لقارئهما لما تحملهما من معان.

القول الثاني: سميتا بذلك لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة.

القول الثالث: سميتا بذلك لأنهما يشتملان على اسم الله الأعظم، كما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: " **اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ فِى هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)، وفَاتِحَةُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ (الم اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ)** "[6].

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1/ 443).

(2) الغمامة والغياية : كل ما أظل الإنسان من سحابة وغبرة ونحوهما. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية، ط1، 1347هـ- 1929م، (6 / 90) .

(3) فرقان من طير صواف: أي طائفتان من الطير باسطة أجنحتها بحيث تتصل الأجنحة ببعضها. انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح(5/ 17).

(4) مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة ط1، 1421-2001م، رقم الحديث 22146،(462/36)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، قال الألباني: صحيح انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الاسلامي ط3، 1408هـ-1988م، رقم الحديث 1165، (1/ 257).

(5) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1427،1هـ-2006م، (5 / 8-9).

(6) سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم الحديث: 1496، ص 179، قال الألباني: حديث حسن.

المطلب الثاني

الحديث حول مدنية السورة

سورة البقرة مدنية نزلت في فترات متباعدة، وقيل هي أول سورة نزلت بالمدينة بالاتفاق سوى قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: 281) فإنها آخر آية نزلت من السماء، إذ إنها نزلت في حجة الوداع، وكذلك آيات الربا من أواخر ما نزل من القرآن[1]، ولكن في دعوى الاتفاق –على أنها أول سورة نزلت بالمدينة– نظر؛ لأن من السلف من خالف هذا القول فذكر أن أول سورة نزلت بالمدينة هي: سورة المطففين[2] .

ولقد قدر العلماء زمن بداية نزول السورة فقالوا: إنها نزلت في أواخر السنة الأولى للهجرة، أو في بداية السنة الثانية للهجرة لقول عائشة رضي الله عنها: "**وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ والنِّسَاءِ إِلَّا وأَنَا عِنْدَهُ**" [3] تعني النبي ﷺ، وكان بناء رسول الله ﷺ على عائشة رضي الله عنها في شوال من السنة الأولى للهجرة، وقيل في أول السنة الثانية، ولم تنزل سورة البقرة جملة واحدة، وإنما نزلت في مدد شتى، يؤكد ذلك عدة قرائن منها:

أولاً: اشتمال سورة البقرة على أحكام الحج والعمرة، وعلى أحكام قتال المشركين في الشهر الحرام والبلد الحرام.

ثانياً: أن آخر آية نزلت من القرآن هي قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ (البقرة:281)[4] وهذا يعني أنه استمر نزولها حتى السنة العاشرة للهجرة.

وخلاصة القول أن سورة البقرة مدنية بالاتفاق، وأنها نزلت في مدد طويلة؛ لاشتمالها على أحكام مختلفة نزلت في فترات متباينة .

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (1 /234).

(2) انظر: الإتقان في علوم القرآن، (167/1) .

(3) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم الحديث 4993، ص993.

(4) انظر: التحرير والتنوير(201/1–202).

المطلب الثالث

فضل سورة البقرة

إن سورة البقرة ذات شأن عظيم وقدر كبير، وهي من أفضل سور القرآن، ولقد وردت أحاديث شتى في بيان فضل السورة عامة وبعض آيات خاصة منها، مثل: آية الكرسي، وخواتيم السورة، وبشر الرسولﷺ قارئها بالخير الكثير في العاجل والآجل.

أولاً : فضل سورة البقرة عامة:

1- وقاية صاحبها حر يوم القيامة: من المعلوم أن الشمس يوم القيامة تقترب من رءوس الخلائق حتى تكون على بعد ميل[1]، ويكون عرقهم على قدر خطاياهم، فأما قارئ سورة البقرة وآل عمران فإنه مستظل بظلهما[2] كما قال الرسولﷺ: "**تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وآلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ غَيَايَتَانِ، أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ** "[3] .

2- حصول البركة: لقولهﷺ: " **اقرؤوا سورةَ البقرة فإنَّ أخذَها بَرَكَةٌ، وتركَها حسرَةٌ، ولا يستطيعها البَطَلَةُ** "[4] ، وتنكير كلمة بركة لاشتمالها كل بركة، سواء كانت في المال، أو في البدن، أو في العمر، أو في الأجر.

3- حرز من الشيطان : قال رسول الله ﷺ: " **لا تجعلوا بيوتَكم مقابرَ، وإنَّ البيتَ الَّذي تُقرأُ فيهِ البقرةُ لا يدخلُهُ الشَّيطانُ** "[5] .

---

(1) يدل على ذلك حديث النبي ﷺ الذي رواه عنه المقداد بن الأسود: " تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل" قال سليم بن عامر– راوي الحديث عن المقداد بن الأسود–: "فوالله ما أدري ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين". صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها، رقم الحديث 2864، ص 1403.

(2) يوم القيامة تتشكل المعاني والأمور المعنوية إلى حقائق حسية لها وجود كما أخبر الرسولﷺ عن الموت أنه يؤتى به على شكل كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، وكذلك الأعمال فإنها توضع في الميزان، ولا يوزن إلا ما كان محسوساً. انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد ابن ناصر السليمان، دار الوطن – دار الثريا، 1413هـ، (2/ 44).

(3) مسند أحمد، رقم الحديث : 22950 (38/ 41)، قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(4) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم الحديث: 804، ص 367 .

(5) سنن الترمذي، كتاب ثواب القرآن عن رسول اللهﷺ ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، ، رقم الحديث: 2877، ص 643، قال الألباني: حديث صحيح.

4- تتنزل الملائكة عند قراءتها: عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ[1] قَالَ:" **بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنْ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتْ[2] الْفَرَسُ فَسَكَتَ، فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ، فَجَالَتْ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ، وسَكَتَتْ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ، فَجَالَتْ الْفَرَسُ، فَانْصَرَفَ، وكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ[3] رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: "اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ" قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى وكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ[4] فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لَا أَرَاهَا قَالَ: وتَدْرِي مَا ذَاكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: "تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، ولَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُم"** [5].

5- سبب في إبطال السحر والوقاية منه: قال النبي ﷺ: "**ولا يستطيعها البَطَلَةُ**"، والبطلة هم السحرة[6]، فكما أنها تصرف شر شياطين الجن، فهي كذلك تصرف شر أعوانهم من شياطين الإنس.

ثانياً: فضل آية الكرسي:

1- أعظم آية في القرآن:

عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: " **يَا أَبَا الْمُنْذِرِ ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ**

---

(1) هو أسيد بن حضير بن سماك الأنصاري الأوسي، شهد بيعة العقبة الثانية، وكان نقيباً لبني عبد الأشهل، كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، توفي سنة 20هـ. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير الجزري، (1/ 111-113).

(2) جالت بمعنى اضطربت بشدة. انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323هـ (7/ 466).

(3) اجتره: بمعنى سحب أسيد ابنه يحيى من المكان الذي كان فيه حتى لا يصيبه الفرس بأذى. انظر المصدر السابق (7/ 466) .

(4) الظلة هي السحابة كانت فيها الملائكة، ومعها السكينة. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله ابن محمد المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، الهند، ط 3،1404 هـ، 1984 م (181/7).

(5) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة، والملائكة عند قراءة القرآن، رقم الحديث: 5018، ص997.

(6) انظر: مرقاة المفاتيح (5/ 17).

مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : {اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} . قَالَ : فَضَرَبَ فِي صَدْرِي ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ."[1].

وإنما كانت هذه الآية أعظم آية في القرآن؛ لما اشتملت عليه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، فقد ورد فيها ثمانية عشر اسماً ما بين ظاهر وخفي، واجتمع فيها ما لم يجتمع في غيرها، حيث أخبر الله عن نفسه أنه الواحد في ألوهيته، فلا يستحق العبادة أحد غيره، ثم سمى نفسه الحي القيوم، والحي: هو الذي له كمال الحياة، والقيوم: هو الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع خلقه، وهذان الاسمان يحتويان على جميع صفات الكمال الذاتية والفعلية التي يتصف بها الله تعالى، ثم أعقب ذلك بما يدل على كمال حياته وقيوميته بنفي النعاس والنوم عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإثبات ملكه لجميع العوالم العلوية والسفلية، وأن الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذنه، وأنه تعالى محيط علمه بكل الأشياء دقيقها وجليلها، ولا سبيل إلى معرفة شيء من معلوماته إلا إذا شاء تعليمه للناس بواسطة رسله، ثم ذكر ما يدل على عظيم ملكه وواسع سلطانه، فأخبر أن كرسيه قد وسع السماوات والأرض، ثم ختم الآية بوصفه نفسه أنه العلي الذي له علو الذات، وعلو القدر، العظيم الموصوف بالعظمة، فلا شيء أعظم منه ولا أجلّ منه[2] .

2- سبب في دخول الجنة :

قال النبي ﷺ: **"من قرأ آيةَ الكرسي دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ لم يمنعْه من دخولِ الجنَّة إلَّا أن يموتَ"**[3].

3- سبب في حفظ صاحبها من الشيطان، ومن كل سوء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: **"وكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو**[4] **مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، وقُلْتُ: واللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وعَلَيَّ عِيَالٌ، ولِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ**

---

(1) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم الحديث: 810، ص369.

(2) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس، خرج أحاديثه: علوي السقاف، دار الهجرة، ص84-88.

(3) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد حسن الشافعي، رقم الحديث 8068،(6 /79) إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث 6464 ، (1103/2).

(4) أي يغرف من الطعام، ويضع في وعائه. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1421هـ-2001م، (12/ 205).

سَبِيلَهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وسَيَعُودُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وسَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ، وهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ، ولَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: مَا هِيَ؟ قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}، وقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ، ولَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ، وهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ"[1] .

ففي الحديث دليل على فضل آية الكرسي، وأنها الحصن الحصين الذي يلجأ إليه الإنسان ليصون نفسه من كل مكروه، ويبقى بمنأى عن الأرواح الشريرة من الجن والشياطين طوال الليل[2].

ثالثاً : خواتيم سورة البقرة :

لقد ختم الله تعالى سورة البقرة بآيتين عظيمتين بدأت بقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾، وانتهت بقوله تعالى:﴿ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة: 285-286)، فقد

(1) صحيح البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز، رقم الحديث 2311، ص 433-434 .

(2) انظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، سوريا، 1410 هـ - 1990 م،(3 / 324).

ورد في فضلهما قول النبيﷺ : "**مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ** "[1] ، وجاء في معنى كفتاه أقوال منها: أنها تكفيه عن قيام الليل، ومنها: أنها تكفيه عن قراءة القرآن مطلقاً، ومنها أنها تكفيه من شر الإنس والجن، ومن كل سوء[2].

ومن هذه الأقوال يظهر أن لها فضلاً عظيماً لقارئها والمحافظ على تلاوتها.

ومما ورد في فضلها ما رواه ابن عباس ﷺ: " **بينما رسول الله ﷺ وعندَه جبريل عليه السلام إذ سمع نقيضاً[3] فوقه، فرفع جبريلُ عليه السلام بصرَه إلى السماءِ، فقال: هذا بابٌ قد فُتِح من السماءِ ما فُتِح قَطْ، قال: فنزل منه مَلَكٌ فأتى النبيَّ ﷺ فقال: أبشرْ بنورين أُوتيتَهما لم يؤتَهما نبيٌّ قبلَك فاتحةُ الكتابِ، وخواتيمُ سورةِ البقرةِ، لم تقرأ حرفاً منهما إلا أُعطيتَه**"[4] .

---

(1) سنن أبي داود، كتاب شهر رمضان، باب تحزيب القرآن، رقم الحديث 1397، ص169، قال الألباني: صحيح.

(2) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الفكر (8/ 188).

(3) النقيض هو: صوت كصوت الباب إذا فتح. مرعاة المفاتيح (7 / 196).

(4) سنن النسائي، كتاب الافتتاح، باب فضل فاتحة الكتاب، رقم الحديث: 912، ص151، قال الألباني: صحيح.

المطلب الرابع

مجمل الأمور العقدية الواردة في السورة

سورة البقرة من السور المدنية التي عالجت مسائل التشريع والأحكام، ولم تغفل الجانب العقدي، فأكدت على الأصول العقدية التي قررتها السور المكية مثل: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره .

ففي مقام الإيمان بالله نجد الآيات تثبت وحدانية الله سبحانه وتعالى، واستحقاقه للعبادة؛ لأنه هو الخالق المنعم، مدبر أمر السماوات والأرض، وكذلك فإنها تثبت لله الأسماء الحسنى، وصفات الكمال، وتنزهه عن كل نقص لا يليق به مثل: السِّنَة، والنوم، والولد، وتبين الآيات مدى انحراف أهل الكتاب– خاصة اليهود– في الإلهيات، حيث إنهم زعموا إمكانية رؤية الله فطلبوا ذلك من موسى عليه السلام؛ بل جعلوه شرطاً لإيمانهم، ونسبوا لله الولد ورد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهم بأن له ما في السماوات وما في الأرض، فهو الغني عن الولد.

والسورة بينت أن لله ملائكة طائعين يسبحون بحمده ويقدسونه، وأنهم مع علو منزلتهم وعظم شأنهم إلا أنهم لا يعلمون الغيب؛ لأنهم لو كانوا يعلمون الغيب لأحاطوا بالأسماء التي خص الله بها آدم عليه السلام، وبينت السورة حسد الشيطان لآدم عليه السلام وعداوته له، والتي دفعته لرفض السجود لآدم عليه السلام، ثم ما كان من وسوسة الشيطان لآدم وامرأته لأجل أن يأكلا من الشجرة، وما أعقب ذلك من خروجهما من الجنة.

وكذلك تعرضت السورة للحديث عن الكتب التي أنزلها الله سبحانه وتعالى، وكان في مستهلها القرآن الكريم، حيث بدأت الآيات بنفي الريب عن القرآن الكريم، ثم إظهار عجز الخلق عن الإتيان بمثله، وبيان موقف أهل الكتاب من الكتب، حيث إنهم حرفوا الكلم عن مواضعه، وتاجروا بآيات الله، وآمنوا ببعض أحكام الكتاب، وكفروا ببعض حسب أهوائهم، واستبدلوا كتب السحر والشعوذة بكتب الله، وبينت السورة الغاية من إنزال الكتب، والتي تتمثل في هداية البشرية إلى طريق الحق والعدل، ثم كان الحديث عن عاقبة المكذبين للكتب، الكافرين بأحكامها، الكاتمين لتعاليمها بأن لهم اللعنة والخلود في النار.

وبينت السورة أن الله سبحانه وتعالى أرسل للناس رسلاً كراماً، وأيدهم بالمعجزات؛ لتكون شاهدة على صدقهم، فأرسل إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وعيسى، ومحمد عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، وفضَّل بعضهم على بعض، وأكدت الآيات على وجوب الإيمان بهم جميعاً، فمن كفر برسول واحد فكأنما كفر بهم جميعاً.

كذلك أكدت السورة على قضية البعث بعد الموت، وذلك من خلال ذكر بعض الوقائع التي حصلت فيما مضى، مثل: قصة قتيل بني إسرائيل الذي بعثه الله بعد ضربه بعضوٍ من أعضاء بقرة مذبوحة، وقصة النفر الذين طلبوا رؤية الله سبحانه وتعالى فأماتهم الله ثم بعثهم، وقصة الألوف الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت فأماتهم الله ثم بعثهم، وما حصل مع عزير وإبراهيم عليه السلام، وكثيراً ما نجد اقتران الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله؛ للتأكيد على أهمية هذا اليوم وضرورة الإيمان به، وبينت السورة ما يحصل يوم القيامة من تبرؤ الأتباع من المتبوعين، وانقطاع الأواصر بينهم، وبينت ما فيه أهل النار من الشقاء والبؤس، وعلى النقيض فهناك آيات تتحدث عن أهل الجنة وما هم فيه من السعادة والنعيم.

كذلك أثبتت الآيات القضاء والقدر، وأنه لا يكون شيء إلا بإذن الله، وأن الله خالق الهدى والضلال، والكفر والإيمان، وأنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويفعل ما يريد، وأنه ختم على قلوب الكافرين وسمعهم وأبصارهم، فهم لا يقبلون الهدى.

الفصـــل الأول

الإيمان بالرسل والكتب السماوية

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الأنبياء والرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ

المبحث الثاني: الكتب السماوية

المبحث الأول

الأنبياء والرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ

ويشتمل على تسعة مطالب:

المطلب الأول: معنى النبي والرسول، والفرق بينهما.

المطلب الثاني: أفضلية بعض الرسل على بعض.

المطلب الثالث: الأنبياء والرسل المذكورون في السورة.

المطلب الرابع: عصمة الأنبياء والرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

المطلب الخامس: وظائف الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

المطلب السادس: معجزات الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

المطلب السابع: الشفاعة.

المطلب الثامن: التوحيد في حياة الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

المطلب التاسع: واجبنا نحو الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ .

المطلب الأول

معنى النبي والرسول والفرق بينهما

أولاً: معنى النبي والرسول لغة:

أ- معنى النبي لغة:

النبوة لغة: إما أن تكون مشتقة من الفعل (نَبَوَ) والذي يدل على ارتفاع الشيء عن غيره، ومنه النَّبْوة وهي المكان المرتفع من الأرض، وسمي النبي بذلك لارتفاع قدره، وهو من أشرف الخلق عند الله تعالى، وإما أن تكون مشتقة من (نبأ)، والنبأ هو الخبر ذو الفائدة العظيمة، وسمي النبي بذلك لأنه يخبر عن الله ﷻ، والنبي في اللغة هو الطريق الواضح، وهذا ينطبق على الأنبياء فهم طرق الهدى[(1)].

وبهذا يتبين أن لكلمة نبوة معانٍ مختلفة كلها تدور حول الارتفاع عن الشيء، أو الخبر ذو الفائدة العظيمة، أو الطريق الواضح.

ب- معنى الرسول لغة:

إن كلمة رسول مشتقة من رسل، والتي تتضمن معنى الانبعاث[(2)]، والرَّسول هو الذي يُتابع أخبار الذي بعثه، أَخذاً من قولهم: "جاءت الإبل رَسَلاً": إذا جاءت متتابعة، وجاءوا أرسالاً: أي متتابعين، والإرسال: التوجيه، وبه فسر إرسال الله ﷻ الأنبياء عليهم السلام كأنه سبحانه وجَّههم لإنذار عباده [(3)].

ثانياً: معنى النبي والرسول في الاصطلاح، والفرق بينهما:

اختلف أهل العلم في تعريف النبي والرسول اصطلاحاً، وتعددت آراؤهم، وانقسموا إلى فريقين:

الفريق الأول: ذهب إلى أن الكلمتين مترادفتان، ولا فرق بينهما، فكل نبي رسول، وكل رسول نبي، ولكنه يسمى رسولاً بالنظر إلى ما بينه وبين الناس من حيث إنه قد أرسل إليهم،

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة (5/ 384)، ولسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، ص 4315-4316.

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة (2/ 392).

(3) انظر: تاج العروس(29 / 72 -73)، ولسان العرب، ص 1644 -1645.

ويسمى نبياً بالنظر إلى ما بينه وبين الله ﷻ من حيث إنه نبي وأوحي إليه، وهذا هو مذهب بعض المعتزلة، يقول القاضي عبد الجبار[1]: "فاعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين النبي والرسول"[2].

الفريق الثاني: ذهبوا إلى التفريق بين النبي والرسول، وهذا القول هو المشهور بين علماء المسلمين[3]، وهو الراجح لأدلة منها:

1- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ (الحج :52) فعطْفُ النبي على الرسول يدل على تغايرهما[4].

2- أن الله تعالى وصف بعض الأنبياء بالنبوة والرسالة، منهم: موسى ؑ، فقال في شأنه: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ (مريم:51)، وهذا يعني أن الرسالة ليست مساوية للنبوة، وإنما هي قدر زائد عليها [5].

3- الأحاديث الدالة على وجود فرق بين النبي والرسول منها: قوله ﷺ للبراء بن عازب: "**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَن، وقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً ورَغْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ ولَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ، فَقُلْتُ: أَسْتَذْكِرُهُنَّ، وبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، قَالَ: لَا، وبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**"[6]، والشاهد في الحديث هو: قول البراء ﵁ حين أراد أن يكرر الحديث فقال: "وبرسولك الذي

---

(1) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبدالجبار، وهو الذي تلقبه المعتزلة بقاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على سواه، ومن أشهر كتبه شرح الأصول الخمسة، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تنزيه القرآن عن المطاعن. انظر: الأعلام: (3/ 273-274).

(2) شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1416هـ-1996م، ص567 .

(3) مثل: البغوي، وابن عطية، وابن تيمية. انظر: معالم التنزيل(5 / 393)، المحرر الوجيز(2 / 462) ، النبوات(2/ 714).

(4) انظر: مفاتيح الغيب، محمد الرازي، دار الفكر، ط1، 1401هـ-1981م، (23 /50) .

(5) انظر: الرسل والرسالات، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط4، 1410هـ-1989م، ص14.

(6) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب إذا بات طاهراً، رقم الحديث 6311، ص 1214.

أرسلت"، فصوب له النبي ﷺ مقالته، وقال: "**لا، وبنبيك الذي أرسلت**"، فدل هذا على وجود الفرق [1].

ولكن أصحاب المذهب القائل بوجود فرق بين النبي والرسول اختلفوا فيما بينهم في وجوه التفريق إلى عدة أقوال:

القول الأول: النبي هو من أوحي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه، فإن أمر بتبليغه فهو رسول[2].

ومما يؤكد بطلان هذا القول عدة أمور منها[3] :

الأول: أن الإرسال ثبت في حق الأنبياء كما ثبت في حق الرسل، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ** ...﴾(الحج :52)، والإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

الثاني: أن ترك البلاغ كتمان للعلم، وهذا ما يستحيل في حق الأنبياء عليهم السلام.

الثالث: قول الرسول ﷺ: "**عُرِضتْ عليَّ الأممُ، فرأيتُ النبيَّ، ومعهُ الرُّهيطُ** [4]**، والنبيَّ ومعهُ الرجلُ والرجلانِ، والنبيَّ ليس معهُ أحدٌ** "[5]، فدل هذا على أن الأنبياء جميعاً بلغوا الرسالة، وإن تفاوتت أعداد المستجيبين لهم.

الرابع: قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ** ﴾(البقرة: 246) فالآية دلت على أن النبي يوحَى إليه الأمر من السماء، ويوجبه على قومه، وهذا لا يحصل إلا بالتبليغ.

---

(1) انظر: العقيدة الإسلامية، محمود عبيدات، ص 364 .

(2) ذهب إلى هذا القول مجموعة من العلماء منهم: ابن أبي العز، والألوسي، والسفاريني. انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ، ص 97، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (173/17)، لوامع الأنوار (49/1). .

(3) انظر: روح المعاني (17/ 172)، الرسل والرسالات، ص 14-15 .

(4) الرهيط تصغير رهط، وهم الجماعة دون العشرة . شرح النووي على مسلم (3 / 94) .

(5) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم الحديث 220، ص 132.

القول الثاني: الرسول يأتي بشرع جديد، والنبي يأتي لتقرير شرع مَنْ قبله[1].

وهذا القول يُرَدُّ عليه بأنه لا يشترط في شريعة الرسول أن تكون جديدة؛ بل قد يكون الرسول على شريعة مَنْ سبقه من الرسل كما ثبت في حق يوسف عليه السلام فإنه كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم عليه السلام، وداود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة، قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾(غافر:34)[2].

القول الثالث: النبي هو الذي ينبئه الله تعالى بالأوامر الشرعية ليبلغها لقوم مؤمنين موافقين له في الدين[3]، والرسول هو الذي ينبئه الله تعالى، ثم يأمره بأن يبلغ رسالته من خالف أمره كنوح عليه السلام، فقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض[4].

وقد ذكر العلماء مجموعة من الأقوال في الفرق بين النبي والرسول[5]، وجميعها لا تسلم من الاعتراض، وأرجح الأقوال هو القول الثالث، ومما يدل على صحته أن كلمة التكذيب في القرآن الكريم لم تأت إلا في تكذيب الرسل؛ لأن الرسل جاءوا بخلاف ما كان عليه أقوامهم[6]، وهذا معنى كون نوح عليه السلام هو أول الرسل كما جاء في الأحاديث الصحيحة، حيث إنه أرسل إلى قوم مكذبين كفار، وأما آدم عليه السلام فهو نبي وليس برسول؛ لأن القوم الذين أرسل إليهم آدم عليه السلام كانوا على فطرة

(1) وهذا هو قول البيضاوي، وعمر الأشقر. انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،ط1، 1418هـ(4/ 75)، والرسل والرسالات، عمر الأشقر، ص 15.

(2) انظر: النبوات، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان،أضواء السلف، الرياض، ط1، 1420هـ-2000م، (2/ 718-719) .

(3) انظر: النبوات (2/ 714).

(4) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله (وعلم آدم الأسماء كلها)، رقم الحديث 4476، ص845-846.

(5) من هذه الأقوال: قول الزمخشري:" الرسول هو من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه، والنبي من لا كتاب له، كيوشع عليه السلام"، وقول الفراء والحسن النيسابوري أن الرسول هو من أوحي إليه بواسطة الملك، والنبي هو الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً. انظر: الكشاف(4/ 203-204)، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد الخميس، دار الصميعي، الرياض- السعودية، ط1، 1416هـ-1996م، ص468.

(6) انظر: شرح الطحاوية، سفر بن عبد الرحمن الحوالي(1/ 1656).

التوحيد، ولم يحصل الاختلاف إلا في عهد نوح ﷺ والدليل ما جاء عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال :" كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا"[1] .

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، (4 / 275) .

المطلب الثاني

أفضلية بعض الرسل على بعض

إن رسل الله سبحانه وتعالى وأنبياءه هم صفوته من خلقه، وخيرته من عباده، فضَّلهم الله سبحانه وتعالى على مَنْ سواهم، وخصَّهم بحمل الدين وتأدية الرسالة، فسبقوا مَنْ قبلهم ومَنْ بعدهم في الفضل، إلا أنهم بنص القرآن الكريم يتفاوتون فيما بينهم في مقدار هذا الفضل، وهذا ما بينته سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ** ﴾(البقرة:253) .

والمراد بتفضيل بعضهم على بعض: "أن الله جعل لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر، فكان الأكثر مزايا فاضلاً، والآخر مفضولاً"[1] .

وتفضيل بعض الأنبياء على بعض من الأمور المجمع عليها عند علماء المسلمين، ومما أجمع عليه العلماء أيضاً كون الرسول محمد ﷺ أفضل الأنبياء والرسل.

يقول الخازن[2]: "وأجمعت الأمة على أن الأنبياء بعضهم أفضل من بعض، وأن نبينا محمداً ﷺ أفضلهم" [3].

ثم يليه في الفضل أولو العزم من الرسل، الذين تحمَّلوا مشاق الدعوة، وصبروا على أذى أقوامهم، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا** ﴾(الأحزاب: 7).

وأفضل أولي العزم بعد النبي محمد ﷺهو: إبراهيم عليه السلام للحديث الذي رواه أنس ابن مالك: "**جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا خيرَ البريَّة، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "ذاك إبراهيمُ عليه السلامُ**"[4] [5]، وهذا الحديث خُص منه محمد ﷺ بالإجماع، فيكون أفضل من سائر الأنبياء،

---

(1) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة (1 / 460) .

(2) هو علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي نسبة إلى شيحة من أعمال حلب، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادي الأصل، ولد ببغداد سنة (678 هـ)، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة، ولذلك لقب بالخازن، توفي بحلب سنة 741 هـ. انظر الأعلام(5/ 5).

(3) تفسير الخازن، علي بن محمد البغدادي، مكتبة مصطفى الحلبي، ط2، 1375هـ-1955م، (1 / 265).

(4) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، رقم الحديث 2369، ص 1178 .

(5) مجموعة الفتاوى، أحمد بن تيمية، تحقيق: عامر الجزار، أنور الباز، دار الوفاء، (4/ 194).

والمرسلين[1]، وأما من ذكر أفضلية آدم، ونوح، وإبراهيم -عليهم السلام- على نبينا محمد ﷺ بحجة أنهم آباؤه فهو غير صحيح؛ لأن قياسه يقتضي أن يكون إسماعيل عليه السلام وغيره من الأنبياء أفضل من رسول الله ﷺ، وهذا لم يرد[2]، واختلف العلماء في الثلاثة الباقين من أولي العزم أيُّهم أفضل من الآخر على قولين:

الأول: تفضيل موسى عليه السلام، ثم عيسى عليه السلام، ثم نوح عليه السلام، قال بعض العلماء: "لعل تقديم موسى عليه السلام لأنه كلَّمه الله، ثم عيسى عليه السلام لأنه كلمة الله".

الثاني: تفضيل نوح عليه السلام، ثم موسى عليه السلام، ثم عيسى عليه السلام[3].

ولعل التوقف في مسألة أي الثلاثة أفضل أسلم من الترجيح؛ لعدم ورود النص القاطع، فالواجب اعتقاد أفضلية الأفضل بناء على ورود نص، وأما إذا لم يرد نص فلا بد من الكف عن التفضيل؛ لأن التفضيل راجع لاختيار الله سبحانه وتعالى، وعليه فإنه يجب اعتقاد أفضلية الثلاثة بعد إبراهيم عليه السلام على من سواهم دون تفضيل أحد من الثلاثة على الآخر[4].

ويلي أولي العزم بقية الرسل، ثم الأنبياء غير الرسل مع تفاوت مراتبهم عند الله تعالى[5].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "أفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم"[6].

وتفضيل الرسل والأنبياء على غيرهم من الأمور التي أجمعت عليها الأمة كما تقرر سابقاً؛ إلا أنه قد خالف في هذه المسألة طوائف من الذين ينتسبون إلى الإسلام، ومن هؤلاء: الشيعة

(1) انظر: لوامع الأنوار البهية(2/ 300)، شرح كتاب الفقه الأكبر، الملا علي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1404هـ- 1984م، ص173.

(2) أصول الدين، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 1401هـ-1981، ص 165.

(3) انظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، تحقيق علي جمعة الشافعي، ط4، 1429هـ- 2008م، دار السلام، ص216، ولوامع الأنوار (2 / 300)، وانظر: شرح كتاب الفقه الأكبر، ص 174.

(4) انظر:حاشية الإمام البيجوري، ص 216، انظر: لوامع الأنوار البهية، (2 / 300)، انظر: إتمام الدراية لقراء النقاية، جلال الدين السيوطي، تحقيق: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ - 1985م، (1 / 17) .

(5) انظر: شرح العقيدة السفارينية، محمد مانع، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1418هـ- 1997م، ص 286-287 .

(6) مجموعة الفتاوى،(11/ 92).

الإمامية الإثنا عشرية[1] الذين زعموا أن مرتبة الأئمة تفوق مرتبة الملائكة والرسل [2]، فقد جاء في كتاب الحكومة الإسلامية وهو أحد الكتب التي يستند إليها الشيعة في معتقداتهم ما نقلوه عن الأئمة عليهم السلام وهم منه براء:" إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل"[3] ، وممن شَذَّ عن الإجماع أيضاً غلاة المتصوفة الذين زعموا أن الولاية أفضل من النبوة، وزعم هؤلاء أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، وورد عنهم أنهم يقولون:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي[4]

فهم يجعلون النبي أعلى مقاماً من الرسول، والولي أعلى من كليهما، وما قالوه هو من أبطل الباطل؛ لأن فيه قَلْباً للشريعة، وتَقَوُّلاً على الله بغير علم، فلم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله أن هناك خاتماً للأولياء، ولم يرد أنه أفضل من غيره من الأولياء فضلاً عن أن يكون خيرهم[5].

وسبب تقديم الولي على النبي عند الصوفية –على زعمهم– أن الولي يأخذ عن الله مباشرة دون أي واسطة، أما النبي فإنه يأخذ بواسطة الملك[6]، وهذا جهل منهم، فإن الولي عليه أن يتبع

(1) الشيعة الاثنا عشرية: تعتبر هذه الفرقة أشهر فرق الشيعة، وأكثرها انتشاراً في العالم، وإليها ينتمي أكثر الشيعة في إيران، والعراق، وباكستان، وغيرها من البلدان التي ظهر فيها المذهب الشيعي، سموا بالاثني عشرية لاعتقادهم بإمامة اثني عشر رجلاً كلهم من آل البيت، ويطلق عليهم القطعية لأنهم قطعوا بموت بن جعفر الصادق، وزعموا أن الإمام بعده هو محمد بن الحسن العسكري المختفي في السرداب. انظر: الفرق بين الفرق، القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، ص 64، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية،جدة، ط4،1422هـ–2001م (1/ 348–350).

(2) انظر: الرسل والرسالات، ص 212.

(3) الحكومة الإسلامية، السيد روح الله الخميني، ط3، ص 52 .

(4) هذا البيت نسبه ابن تيمية لابن عربي. انظر: درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد سالم، إدارة الثقافة والنشر، ط2، 1411هـ– 1991م، (10/ 204)، وجاء في كتاب الفتوحات المكية:

بين الولاية والرسالة برزخ فيه النبوة حكمها لا يجهل.

الفتوحات المكية، محمد بن عربي، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ–1999م (3/ 380).

(5) انظر: الرسل والرسالات، ص215.

(6) انظر: الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، سليمان بن سحمان، تحقيق عبد السلام ابن برجس، دار العاصمة، الرياض– السعودية، ط1، 1409هـ، ص226، التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، صالح بن فوزان الفوزان، دار العاصمة، ص 241.

النبي، ويعرض كل ما جاء به على شرع النبي، فإن كان موافقاً له أخذ به، وإلا رده لأن الولي غير معصوم [1].

وكلامهم مردود عليهم، قال الطحاوي[2]: "ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء" [3].

ومن الإشكالات التي وردت في باب المفاضلة بين الأنبياء أن هناك العديد من النصوص الصحيحة التي تنهى عن المفاضلة، مثل قوله تعالى: ﴿ **لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ** ﴾(البقرة: 285)، وقوله ﷺ: " **ما ينبغي لعبدٍ أنْ يقولَ : أنا خيرٌ من يونسَ بنِ متَّى**"[4]، وقوله ﷺ: "**لا تخيِّروني من بينِ الأنبياءِ، فإنَّ الناسَ يُصعقون يومَ القيامةِ، فأكون أولَ من يُفيق، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائمِ العرشِ، فلا أدري أفاق قبلي، أم جُوزِيَ بصعقةِ الطورِ**"[5]، وظاهر هذه الأحاديث يوهم التعارض مع ما ذكر من النصوص التي فيها إثبات أفضلية بعضهم على بعض، مثل قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ (البقرة: 253)، وقوله ﷺ: "**أنا سَيِّدُ ولدِ آدَمَ ولا فخرَ**"[6]، ولقد عالج العلماء ذلك الإشكال بعدة أجوبة منها:

1- أن ما ورد من النهي عن التفضيل بين الأنبياء إنما كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل، وقبل أن يعلم أنه سيد الأولين والآخرين، فلما أعلمه الله ذلك بلَّغه أمته[7].

2- أن التفضيل المنهي عنه هو التفضيل الخاص؛ بمعنى أن يفضل رسولاً بعينه على آخر، وأما قول النبي ﷺ: "**أنا سَيِّدُ ولدِ آدَمَ ولا فخر** " فهو تفضيل عام[8].

---

(1) انظر: جامع الرسائل، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد سالم، ط2، 1405هـ-1984م، مطبعة المدني، القاهرة-مصر(1 / 206).

(2) هو أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، كان شافعي المذهب ثم تحول إلى المذهب الحنفي، توفي بالقاهرة سنة 321هـ، من مصنفاته كتاب: شرح معاني الآثار، أحكام القرآن، والاختلاف بين الفقهاء. انظر: الأعلام(1/ 206)، الفهرست في أخبار العلماء، محمد بن إسحاق النديم، تحقيق: رضا تجدد، ص260 .

(3) شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ص492.

(4) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: (ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين)، رقم الحديث 4630، ص 881.

(5) المصدر السابق، كتاب الديات، باب إذا لطم المسلم يهودياً عند الغضب، رقم الحديث 6917، ص 1318-1319.

(6) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، رقم الحديث 4308، ص 714، قال الألباني: صحيح.

(7) انظر: لوامع الأنوار البهية (2 / 298)، الجامع لأحكام القرآن،(4/ 254).

(8) انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ص161.

3- التفضيل المنهي عنه هو ما جرّ إلى الخصومة والفتنة [1].

4- النهي عن التفضيل الذي يؤدي إلى تنقيص المفضول والإزراء به؛ لأنه ربما أدى ذلك إلى فساد الاعتقاد، والإخلال بحقوق الأنبياء[2].

5- أن التفضيل المنهي عنه ما كان بالرأي والهوى، وأما إن قام عليه دليل من الكتاب والسنة فلا بأس فيه [3].

6- أن ما ورد من النصوص التي تنهى عن التفضيل قالها النبي ﷺ على سبيل التواضع والأدب[4].

7- المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة التي هي خصلة مشتركة لجميع الأنبياء والرسل، فهم لا يتفاضلون من هذه الجهة، وإنما يتفاضلون بأمور أخرى زائدة عليها[5].

8- وأما قول الله تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾(البقرة: 285) فهو بمعنى: "لا نؤمن ببعض الأنبياء، ونكفر ببعض، ونتبرَّأ من بعضٍ، ونتولى بعضًا، كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد عليهما السلام، وأقرّت بغيرهما من الأنبياء، وكما تبرأت النصارى من محمد ﷺ، وأقرّت بغيره من الأنبياء، بل نشهد لجميعهم أنّهم كانوا رسلَ الله وأنبياءَه بُعثوا بالحق والهدى "[6]، وكل مَنْ فرَّق بين الرسل في الإيمان بهم كَفَر بنص القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾(النساء: 150 – 151).

---

(1) لوامع الأنوار البهية(2/ 298).

(2) انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1408هـ-1988م، (5/ 495).

(3) انظر: شرح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي، ص161-162، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (6 / 446).

(4) تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت-لبنان،1415هـ- 1995 م، ص 109، الجامع لأحكام القرآن (4/ 254).

(5) انظر: المصدر السابق، (4/ 255)، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، تحقيق: محمد إسماعيل، وأحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان ط1، 1420هـ – 1999م (1/ 101)، فتح الباري(6/ 446) .

(6) جامع البيان، الطبري (6/ 126).

ويتفرع عن الكلام في مسألة التفاضل بين الأنبياء مسألة أخرى وهي: هل الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لهم نفس الدرجة في الجنة، أم أنهم متفاوتون في درجات الجنة؟

ومما لا شك فيه أن درجة رسولنا محمد ﷺ في الجنة تفوق درجة سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، يشهد لذلك قول النبي ﷺ : "**إذا سمعتُمُ المؤذِّنَ فقولوا مثْلَ ما يقولُ، ثمَّ صلُّوا عليَّ، فإنَّهُ مَن صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى اللَّهُ عليه بِها عشْرًا، ثمَّ سلوا اللَّهَ ليَ الوسيلَةَ، فإنَّها منزِلةٌ في الجنَّةِ، لا تنبغي إلَّا لعبدٍ من عبادِ اللَّهِ، وأرجو أن أكونَ أنا هو، فمن سأل ليَ الوسيلةَ حلَّتْ لهُ الشَّفَاعةُ** "[1]، والوسيلة هي أعلى درجة في الجنة، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه سئل: ما الوسيلة؟ قال: "**أعلى درجة في الجنة**"[2] ليس فوقها إلا عرش الرحمن ﷻ، وليست هي لأحد غيره ﷺ" [3]، وما ورد في الحديث من صيغة الترجي لم يقلها النبي ﷺ ظناً، وإنما قالها تأدباً؛ لأنه إذا لم يكن ذلك المقام لأفضل الأنام فلمن يكون؟ [4]

ومن الآيات التي أشارت إلى تفاوت الأنبياء والمرسلين في درجات الجنة قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ** ﴾(البقرة: 253) يقول ابن كثير: "﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ كما ثبت في حديث الإسراء[5] حين رأى النبي ﷺ الأنبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله ﷻ"[6].

يقول البغدادي[7]: "وكما تفاضلوا في الدنيا في مراتب النبوة، كذلك يكون تفاضلهم في

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبيﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، رقم الحديث 384، ص 190.

(2) سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل النبيﷺ، رقم الحديث 3612، ص822، قال الألباني: صحيح .

(3) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حافظ بن أحمد الحكمي، علق عليه وخرج أحاديثه: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، السعودية، ط3، 1415هـ- 1995م، (1122/3).

(4) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرءوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1391هـ- 1972م (1/ 384).

(5) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلاة، رقم الحديث:162، ص99-100.

(6) تفسير القرآن العظيم(428/2).

(7) هو عبد القاهر بن طاهر، أبو منصور البغدادي، ولد في بغداد، ونشأ فيها، ثم رحل مع أبيه إلى خراسان، واستقر في نيسابور، وتفنَّن في العلوم حتّى قيل إنّه كان يعرف تسعة عشر علماً ، وأكثر مصنفاته في علوم الدين

درجات الثواب في الجنة"[1]، ويقول ابن القيم: "الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فمنها: أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ليلة الإسراء" [2].

مما سبق يتبين أن الأنبياء والرسل– عليهم السلام– يتفاوتون في سُلَّم الفضل، فأعلاهم منزلة هو محمد ﷺ ثم إبراهيم ثم موسى، وعيسى، ونوح –عليهم السلام – مع عدم القطع بتفضيل أي واحد من الثلاثة على الآخر، وهؤلاء الخمسة المذكورون هم أولو العزم من الرسل، وهم أفضل ممن سواهم من الرسل، ثم يليهم باقي الرسل، ثم الأنبياء غير الرسل مع تفاوت مراتبهم ومنازلهم، وهذا التفاضل لا يكون في الدنيا فحسب؛ بل إنهم كذلك يتفاضلون في البرزخ وفي الآخرة.

منها: تفسير القرآن، الناسخ والمنسوخ، الفرق بين الفرق، أصول الدين، توفي سنة 429هـ . انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م (9/ 425)، الأعلام(4/ 48).

(1) أصول الدين، البغدادي، ص 164.

(2) الروح، أبو عبد الله بن قيم الجوزية، تحقيق: عصام الدين الصباطي، دار الحديث– القاهرة، ط2، 1419هـ– 1998 م، ص159.

المطلب الثالث

الأنبياء والرسل المذكورون في السورة

أولاً– آدم عليه السلام:

لقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه العزيز عن أول نبي وهو آدم عليه السلام، وهو أبوالبشر، خلقه الله تعالى بيده ليكون خليفة في الأرض، وقد وردت قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة، وأخبرت السورة عن خلافته، ومظاهر تكريمه، وهذا يتضح في الآتي:

1– جعله خليفة في الأرض:

قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:30)** أي جعل الله آدم عليه السلام وذريته خلفاء في الأرض يخلف بعضهم بعضاً، وفي هذا تكريم لآدم عليه السلام إذ جعله الله خليفة في الأرض ليعمرها، ويقيم شرع الله فيها فهو أقدر على ذلك من غيره[1].

2– تعليمه أسماء كل شيء:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (سورة البقرة:31– 33)

بينت الآية أن الله تعالى علّم آدم الأسماء، أي أعيان الأشياء التي يتعارف بها الناس مثل دابة، وإنسان، وبحر، وجبل، ثم عرض الأسماء على الملائكة طالباً منهم أن يخبروه بأعيانها، فتوقفت الملائكة عن الإجابة، فأمر الله آدم عليه السلام أن يخبرهم، فلما أخبرهم علمت الملائكة أن آدم فُضّل بالعلم[2]، وهذا المقام فيه تشريف لآدم عليه السلام بما اختص به من علم الأسماء دون الملائكة.

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري (451/1).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(1/ 351).

3- سجود الملائكة له:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:34)

إن سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان أمراً إلهياً كما تبينه هذه الآية، وهذا السجود يعتبر مظهراً من مظاهر التكريم لآدم عليه السلام، ولم يكن سجود الملائكة لآدم عبادة له، وإنما هو عبادة لله تعالى لأنه سبحانه الآمر[1]، وقد حسده إبليس على هذا التكريم والشرف الذي منحه الله له فأبى السجود له، وأعلن العداوة لآدم عليه السلام حتى قيام الساعة.

4- إسكان آدم الجنة:

قال تعالى:﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (**البقرة: 35**).

لقد كرّم الله آدم عليه السلام بالعلم، وسجود الملائكة له، وزاده الله تعالى تكريماً حين أسكنه الجنة، مبيحاً له كل ما فيها من نعيم يأكل منها رغداً طيباً باستثناء شجرة واحدة منعه إياها اختباراً، والجنة التي أسكنها الله عز وجل آدم عليه السلام هي على الراجح جنة المأوى التي وعد الله عباده المتقين، وسيأتي تفصيل ذلك في مطلب مستقل .

5- نبوة آدم:

من مظاهر تكريم الله عز وجل لآدم عليه السلام أن جعله نبياً، وقد أنكر البعض[2] نبوة آدم عليه السلام بحجة عدم وجود دليل صريح ينص على نبوته، وهذا الكلام فيه نظر، صحيح أن الأدلة من القرآن الكريم لم تكن صريحة في إثبات نبوته، فلم يُذكر لفظ النبوة في حق آدم عليه السلام كما ذُكِر ذلك في حق غيره من الأنبياء كإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إلا أن مفهوم الآيات القرآنية تؤكد نبوته، فسورة البقرة أثبتت تكليم الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام بدون واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب فأمره ونهاه، وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل إليه

(1) انظر: بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: علي معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ-1993م (1/ 110).

(2) منهم محمد رشيد رضا، والشيخ عبد الله بن زيد آل محمود. انظر: تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنارة، القاهرة، ط2، 1366هـ-1947م (7/ 606-608)، والإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم، عبد الله بن زيد آل محمود، المكتب الإسلامي، قطر ص10-11.

رسولاً، وهذا يُحقِّق معنى النبوة، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾(البقرة: 33)[1]، ويقول في موضع آخر: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(البقرة:35)، ويقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(آل عمران:33) قال الطبري في تفسير هذه الآية: "فضَّلهم الله على العالمين بالنبوّة، على الناس كلهم، كانوا هم الأنبياء الأتقياء المصطفين لربهم"[2].

ومن الأحاديث التي تؤكد نبوته وتثبتها صراحة قوله ﷺ: "**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد، ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر**"[3]، والشاهد من الحديث هو قوله ﷺ: **(وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه)** فهو دليل على أن آدم عليه السلام أول نبي أوحى الله إليه وإلا لما بدأ به.

وبهذه النصوص تثبت نبوة آدم عليه السلام ، ومن أنكر نبوته فقد كفر، قال مُلَّا علي القاري[4]: "والأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ كلهم أي جميعهم الشامل لرسلهم ومشاهيرهم، وغيرهم أولهم آدم عليه السلام على ما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، فما نقل عن بعض من إنكار نبوته يكون كفراً"[5].

وقد جرى خلاف بين العلماء حول آدم عليه السلام هل هو رسول أو نبي؟ والراجح: أنه نبي وليس برسول؛ لأنه بعث إلى بنيه وكانوا على الشريعة والتوحيد، فلما وقع الشرك أرسل الله تعالى

---

(1) انظر: قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار الفكر، بيروت، ص10، والنبوة والأنبياء، محمد الصابوني، ط2، 1400هـ-1980م، ص 124-125.

(2) جامع البيان، الطبري (6/ 327).

(3) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة بني إسرائيل، رقم الحديث3148، ص706-707، قال الألباني: صحيح.

(4) هو علي بن (سلطان) محمد، الملا الهروي القاري، فقيه حنفي، ولد في هراة، وسكن مكة، وتوفي بها، له مصنفات كثيرة منها: تفسير القرآن، الفصول المهمة، شرح الشفا، مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح، توفي سنة1014هـ . انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: حسين العمري، دار الفكر، دمشق -سوريا، ط1، 1419هـ-1998م، ص 449 . انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبي، دار صادر، بيروت، (3/ 185-186)، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1414هـ-1993م،(2/ 446).

(5) شرح كتاب الفقه الأكبر، ص88.

نوحاً عليه السلام، فهو أول الرسل[1]، يشهد لذلك ما جاء في حديث الشفاعة من قول الناس لنوح عليه السلام: " **يا نوحُ، أنتَ أوَّلُ الرُّسلِ إلى أَهلِ الأرضِ، وقد سمَّاكَ اللَّهُ عبدًا شَكورًا، اشفع لنا إلى ربِّكَ** "[2]، فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول[3].

قال الإمام النووي[4] في معرض كلامه عن حديث الشفاعة ما نصه: " فإنَّ آدم إنما أرسل لبنيه ولم يكونوا كفاراً؛ بل أُمر بتعليمهم الإيمان، بخلاف رسالة نوح إلى كفار أهل الأرض [5].

ثانياً: إبراهيم عليه السلام:

لقد ذُكِر إبراهيم عليه السلام في تسعة وستين موضعاً من القرآن الكريم على سبيل المدح والذكر، منها: خمسة عشر في سورة البقرة وحدها، وهو أحد أولي العزم من الرسل؛ بل هو أفضل أولي العزم بعد الرسول محمد ﷺ ، ومن عظيم ما مَنّ الله به على إبراهيم عليه السلام أن جعل في ذريته النبوة والكتاب، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عليه السلام إلا وهو من سلالته، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام حتى كان آخرهم عيسى عليه السلام ، ثم ختمت النبوة والرسالة بمبعث محمد ﷺ من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام [6].

1- ابتلاء الله ﷻ لإبراهيم عليه السلام:

تَعَرَّض إبراهيم عليه السلام للعديد من الابتلاءات، كما هي سنة الله في خلقه، ومن هذه الابتلاءات: ابتلاؤه بالكلمات، واختلف العلماء في بيان هذه الكلمات على أنها سنن الفطرة، ومفارقة قومه، ومحاجة النمرود، وإلقاؤه في النار، وابتلاؤه بذبح ولده، فكان أهلاً للصبر عليها،

---

(1) انظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبد الله بن صالح الفوزان، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1422هـ-2001م، ص 197 .

(2) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الشفاعة ، رقم الحديث 2434، ص548، قال الألباني: صحيح .

(3) قصص الأنبياء، النجار، ص 11.

(4) هو يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي، ولد في نوا، وأقام في دمشق زمناً طويلاً، برع في أصناف العلوم في الفقه، ومتون الأحاديث، واللغة، والتصوف، له مؤلفات كثيرة منها : تهذيب الأسماء واللغات، المنهاج في شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، توفي سنة 676هـ . انظر: الأعلام(8/ 149-150)، طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، محمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، (8/ 395-396).

(5) صحيح مسلم بشرح النووي، (55/3).

(6) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(10/ 507).

فشكر الله تعالى له ذلك بأن جعله إماماً يؤتم به، يقول تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(البقرة:124)[1].

2- **رفع قواعد البيت الحرام:**

من الشائع عند كثير من المفسرين أن سيدنا إبراهيم عليه السلام هو الذي بنى البيت الحرام وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(البقرة:127)، وهذا الفهم خاطئ، لأن الآية تبين أن إبراهيم عليه السلام رفع قواعد البيت الحرام وهذا يعني أن قواعده موجودة مسبقاً، وهو لم يضع القواعد وإنما رفعها، وفرق بين الوضع والرفع، فالوضع يكون لبداية تأسيس الشيء، أما الرفع فهو تحديث البناء[2]، وأول من بنى البيت الحرام ووضع قواعده هو آدم عليه السلام، ثم اندثر البيت الحرام حتى بوأه الله تعالى إبراهيم عليه السلام فبناه[3]، ومما يؤكد أن البيت الحرام كان موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام بزمن هو قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾(إبراهيم:37) لأن إبراهيم عليه السلام حينما دعا بهذا الدعاء كان إسماعيل عليه السلام طفلاً رضيعاً[4]، وحين أصبح إسماعيل عليه السلام شاباً يافعاً أوعز الله تعالى إليه وإلى أبيه عليه السلام مهمة تجديد بناء البيت الحرام وتطهيره من الأذى الحسي المتمثل في القذارات والأوساخ، والأذى المعنوي المتمثل في الشرك؛ ليكون محلاً لعبادة الله تعالى، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (البقرة:125)، وبالفعل امتثل إبراهيم وإسماعيل–عليهما السلام– أمر الله عز وجل، وشَرَعا في إعادة بناء البيت الحرام، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ

(1) انظر: تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2،(278/1)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، ط1، 1424هـ–2003م، (1/ 579–580).

(2) انظر: الاعتداءات الباطنية على المقدسات الإسلامية، كامل الدقس، هجر ، القاهرة، ط1، 1409هـ–1986م، ص 24

(3) انظر: جامع البيان، الطبري، (3 /57).

(4) http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=01-09-0001&value= بتاريخ 6/ 12 /2013

﴿ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(البقرة:127)، ولقد شرف الله تعالى هذا البيت فجعله مثابة للناس، فكل النفوس تحن إليه، ولا تقضي منه وطراً، وفي ذلك استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام حين دعا ربه: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ (إبراهيم:37)[1].

3- اصطفاء الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بالخلة والإمامة:

يقول الله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (البقرة:130)، واصطفاء الله تعالى له يتمثل في جعله رسولاً، وإماماً يقتدى به في وجوه الخير كلها، كما أنه تعالى اصطفاه لخلته، والخلة هي: أعلى مراتب المحبة[2] يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء:125)، ومن وجوه اصطفائه أيضاً: اتخاذ مقامه مصلى، وتطهير البيت، والنجاة من نار نمرود، وأذانه بالحج، إلى غير ذلك مما ذكر الله في كتابه من خصائصه ووجوه اصطفائه[3]، وسبب هذا الاصطفاء: أنه أسلم نفسه لعبادة الله تعالى، وخضع له وانقاد، فعند ذلك اختصه الله تعالى بهذه الفضائل[4].

4- دين إبراهيم عليه السلام:

ليست هناك أية وشيجة أو صلة تربط إبراهيم عليه السلام باليهود أو النصارى، وما زعمه هؤلاء من كونه عليه السلام يهودياً أو نصرانياً هو من جملة ادعاءاتهم التي كذَّبها القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(البقرة:140) يعني: " أتزعمون أن إبراهيم عليه السلام وبنيه كانوا على دينكم وملتكم، والله تعالى أعلم بدينهم منكم، وقد أخبر الله عز وجل أنهم لم يكونوا على اليهودية أو النصرانية،

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم،ابن كثير، (2/ 59) .
(2) انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ص293.
(3) انظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1413هـ-1993م، (1 / 566).
(4) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (78/4).

فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى" [1]، ومن الأدلة التي تدحض مزاعم اليهود والنصارى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾(آل عمران: 65)، وهذه الآية من أظهر الحجج وأقواها في الرد على اليهود والنصارى، إذ كيف يمكن لإبراهيمعليه السلام وغيره من الأنبياء أن يتبعوا ديناً لم يأت بعد؟ فالتوراة والإنجيل لم ينزلا إلا بعد إبراهيم بدهر طويل [2].

وأما الدين الذي كان يدين به إبراهيم عليه السلام فهو الإسلام، وهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده جميعاً، ولا يقبل من أحد سواه، ولذلك كان من دعاء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ (البقرة:128)، وجاء في موضع آخر من السورة قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة:131)، وهذه الكلمة هي التي وصَّى بها إبراهيم عليه السلام بنيه، وجعلها باقية في عقبه يقول تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾(البقرة:132)

ثالثاً: إسماعيل عليه السلام:

هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، بكر إبراهيم من هاجر القبطية المصرية، وهو الذبيح خلافاً لليهود الذين يزعمون أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام [3].

ومما ورد بشأنه في سورة البقرة أنه رفع قواعد البيت الحرام مع أبيه إبراهيم عليه السلام؛ ليكون محلاً لعبادة الله تعالى، ونفى الله تعالى عنه أن يكون يهودياً أو نصرانياً يقول تعالى: ﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ (البقرة: 140)، كذلك فإن الله تعالى أمرنا بالإيمان بما أُنزل على إسماعيل عليه السلام وغيره من الأنبياء، يقول تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ

(1) تفسير الخازن (1 / 117).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(3/ 85).

(3) انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر(1/ 442).

﴿وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾(البقرة:136)، وهذا يعني أن له كتاباً، وإن كنا لا ندري محتواه، فالمقصود هو الإيمان الإجمالي[1].

رابعاً: إسحاق عليه السلام:

هو إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وأمه سارة، وهو الولد الثاني لإبراهيم عليه السلام الذي بشرت الملائكة به إبراهيم عليه السلام، ومن نسله جاء أنبياء بني إسرائيل، حيث إن النبوة كانت في ذرية إبراهيم في ولديه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام [2].

ولقد أمرنا الله باتباع دين الإسلام الذي كان عليه الأنبياء ومنهم إسحاق عليه السلام، كما قال جل ذكره: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (البقرة:136)، وإسحاق عليه السلام كغيره من الرسل عليهم السلام كان موحّداً لله رب العالمين، لذلك لما أراد يعقوب عليه السلام أن يطمئن على مصير أولاده العقدي سألهم: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي ﴾، فأجابوه قائلين: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾(البقرة: 133).

خامساً: يعقوب عليه السلام:

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ويسمى يعقوب إسرائيل، أنجب من الأولاد اثني عشر ولداً منهم: يوسف عليه السلام، وكان كل واحد منهم أباً لسبط من أسباط بني إسرائيل، وكان من وصيته عليه السلام لبنيه أن يلتزموا الإسلام في كل وقت وحين، كما قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(البقرة:132).

سادساً: الأسباط :

ذكر الله تعالى الأسباط في جملة الأنبياء والرسل الموحى إليهم يقول تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (البقرة:136)، ويقول تعالى: ﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ

---

(1) انظر: تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1،1423 هـ (87/2) .
(2) انظر: النبوة والأنبياء، الصابوني، ص 244 .

﴿ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾(البقرة: 140)، واختلف العلماء في تحديد المراد من الأسباط على قولين، الأول: هو أن الأسباط هم بنو يعقوب من صلبه أي: يوسف وإخوته، والقول الثاني: أن الأسباط هم القبائل من ذرية يعقوب عليه السلام، والقول بنبوة إخوة يوسف عليه السلام ضَعَّفه كثير من العلماء، يقول ابن كثير: " اعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف، وظاهر سياق القرآن يدل على خلاف ذلك، ومن الناس من يزعم أنهم أوحي إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مُدَّعي ذلك إلى دليل، ولم يذكروا سوى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾ (البقرة:136) " [(1)].

والذين نفوا نبوة إخوة يوسف استدلوا بالآتي:

1- دلالة اللغة، وهذا من وجهين، الوجه الأول: أن كلمة الأسباط تطلق على بطون بني إسرائيل، كما يطلق على بطون العرب قبائل، والوجه الثاني: لو كان المراد بالأسباط أبناء يعقوب لقال: "ويعقوب وبنيه" فإنه أوجز.

2- قوله ﷺ حين سئل من أكرم الناس؟ فقال: " **فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ، نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ**" [(2)]، فلو كان إخوة يوسف عليه السلام أنبياء لشاركوه في هذا الكرم.

3 - أن القرآن يدل على أنه لم يأت أهل مصر نبي قبل موسى عليه السلام سوى يوسف عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ ﴾ (غافر: 34)، ولو كان من إخوة يوسف عليه السلام نبي لاشتهر خبر نبوته في مصر، فلما لم يكن ذلك عُلِم أنه لم يكن منهم نبي[(3)].

وأما من قال بنبوة إخوة يوسف فإنهم ذهبوا إلى أن ما صدر منهم من المعاصي المتمثلة في تدبيرهم لقتل أخيهم وكذبهم وعقوق أبيهم إنما كان هذا قبل النبوة، والنبوة تجبُّ ما قبلها، يقول ابن تيمية: "والتائب من الكفر والذنوب قد يكون أفضل ممن لم يقع فى الكفر والذنوب،

---

(1) تفسير القرآن العظيم (16/8).

(2) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه) إلى قوله: (ونحن له مسلمون)، رقم الحديث: 3374، ص 647.

(3) انظر: جامع المسائل، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1422هـ، (3/ 298-299).

وإذا كان قد يكون أفضل، فالأفضل أحق بالنبوة ممن ليس مثله فى الفضيلة، وقد أخبر الله عن إخوة يوسف بما أخبر من ذنوبهم، وهم الأسباط الذين نبأهم الله تعالى"[1].

والراجح –والله أعلم– أن إخوة يوسف ليسوا أنبياء، ومن قال بنبوتهم ظنّ أنهم هم الأسباط الموحى إليهم وليس الأمر كذلك، إنما الأسباط هم القبائل من ذرية يعقوب عليه السلام، وهم لم ينبئوا جميعاً، وإنما كانت النبوة في أفراد معينين.

سابعاً: موسى عليه السلام:

هو موسى بن عمران، وينتهي نسبه إلى يعقوب عليه السلام بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام[2]، أرسل إلى بني إسرائيل، ومما يدل على ذلك في سورة البقرة أنه تعالى خاطب بني إسرائيل قائلاً: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(البقرة: 47) ثم قال عقبها: ﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾(البقرة:53)، فهو سبحانه يعدد النعم التي أكرمهم بها، ومن أعظم هذه النعم نعمة إرسال موسى عليه السلام بغرض هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وعلى الرغم من سمو الهدف الذي كان يسعى موسى عليه السلام لتحقيقه إلا أنه لاقى في دعوته أذى وغلظة من قومه؛ لذلك جعله الله تعالى في عداد أولي العزم من الرسل.

1- موقف بني إسرائيل من دعوة موسى عليه السلام:

إن موسى عليه السلام كغيره من الرسل دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ولكن بني إسرائيل لم تحتمل نفوسهم أن يعبدوا إلهاً مغيباً عن أنظارهم؛ لذلك طلبوا من موسى عليه السلام رؤية الله عز وجل كما أخبر الله عنهم: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾(البقرة:55)، وكانت المادية مسيطرة على نفوسهم، ورغبوا في أن يكون لهم صنماً محسوساً كسائر الشعوب، ولكن موسى عليه السلام انتهرهم وكانوا يخشونه، فلما ذهب لمناجاة ربه، استغلوا فترة غياب موسى عليه السلام، فجمع السامري ذهبهم وحليهم وأوقد عليها النار ثم صاغ لهم عجلاً، فاتخذوه إلهاً، وعبدوه من دون الله تعالى، يقول تعالى: ﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾(البقرة:51)، ويقول تعالى في موضع آخر:

---

(1) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية (10/ 180-181)

(2) انظر: قصص الأنبياء، إسماعيل بن كثير، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: حلمي بن إسماعيل، دار العقيدة ص 241.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾(البقرة:92) وقد خلص حب العجل إلى قلوبهم وتداخل فيها كما يتداخل الصبغ الثوب، والشراب أعماق البدن[1]، يقول الله تعالى: ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(البقرة:93).

2- نعم الله تعالى على بني إسرائيل:

لقد أنعم الله تعالى على بني إسرائيل بنعم كثيرة منها:

أ- تظليل الغمام:

خلال مدة التيه التي قضاها بنو إسرائيل قبل دخولهم الأرض المقدسة كان بنو إسرائيل يتأذون من حر الشمس، ولم يكن لهم شيء يسترهم ولا يستظلون به، لذلك شكوا حالهم إلى موسى عليه السلام، فبعث الله تعالى لهم الغمام، يقول الله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ (البقرة:57)، والغمام هو: السحاب الأبيض الرقيق ليقيهم حر الشمس، فكان يسير معهم حيث ساروا، وجاء في الأثر: إن هذا الغمام هو الذي يأتي الله فيه يوم القيامة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل[2].

ب- إنزال المن والسلوى:

وهذا أيضاً من النعم التي منَّ الله بها على بني إسرائيل فترة التيه، يقول تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(البقرة:57)

واختلف في حقيقة المن على أقوال منها: أنه العسل، أو أنه الخبز الرقاق، أو هو شيء كالصمغ يسقط على الشجر طعمه كالشهد، أو أنه: اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعب، سواء كان طعام أم شراب أو غير ذلك[3].

(1) أنوار التنزيل(1/ 94).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1 / 267)، تفسير الخازن (1 /63) .

(3) انظر: الخازن(1/ 63)، جامع البيان، الطبري (90/2).

والسلوى طائر صغير يقال له السماني، طيب اللحم، وكان يسقط عليهم المن والسلوى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يأخذ الرجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإذا تعدى ذلك فسد ولم يبق، حتى إذا كان يوم الجمعة أخذ ما يكفيه ليوم الجمعة والسبت؛ لأن يوم السبت يوم عيد[1].

ج- تفجير الماء من الحجر:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: 60)، وهذه النعمة أنعمها الله تعالى على بني إسرائيل فترة التيه، وذلك أنهم استولى عليهم العطش، وبلغ منهم مبلغه، فاستغاثوا بموسى ﷺ، وطلبوا منه السقيا، فأوحى الله تعالى إليه أن يضرب بعصاه أي حجر، فضرب، فانفجرت منه عيون الماء، وكانت اثنتي عشرة عيناً بعدد أسباط بني إسرائيل، لكل سبط منهم عين ماء مستقلة حتى لا تقع بينهم الشحناء[2] ، فهذه النعمة جامعة لنعم الدنيا والدين، أما في الدنيا: فلأنهم كانوا في حاجة مُلِحّة إلى الماء، ولولاه لهلكوا في التيه فقد قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾(الأنبياء: 30)، وأما كونها من نعم الدين: فلأنها من أقوى البراهين على وجود الله تعالى المتصف بصفات الجلال والعظمة[3].

3- إيذاء بني إسرائيل لموسى ﷺ:

من المعهود عن بني إسرائيل أنهم من أكثر الشعوب إيذاءً لأنبيائهم، ولقد كان لموسى ﷺ نصيب وافر من هذا الأذى، وهذا واضح جليٌّ في سورة البقرة، حيث إن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لما أمرهم موسى ﷺ بذبح البقرة قالوا له: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾(البقرة: 67)، فاتهموه بأنه يسخر منهم، ومثله لا يجوز في حق الأنبياء والرسل، ثم جادلوه في شأن البقرة، وأكثروا السؤال عن حالها وهيئتها بقصد التعنت، وكان لزاماً عليهم أن يبادروا إلى تنفيذ أمره وألا يعترضوا عليه، ولكنهم أبوا إلا الاعتراض، فهو متأصل في شخصيتهم[4]، ثم لما أخبرهم ﷺ بكامل أوصافها أجابوه: ﴿الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾(البقرة:71) أي: أنه قبل سرد أوصاف البقرة لم يأتهم

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1/ 267).

(2) انظر: التفسير المنير (1 / 168).

(3) انظر: مفاتيح الغيب(3 / 101).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4،1426هـ-2005م ، ص 55.

بالحق، وإنما جاء بخلافه، وهذا فيه انتقاص لموسى عليه السلام، ولا غرابة في أن يصدر هذا القول من بني إسرائيل الذين ما كفوا عن أذية الأنبياء والمرسلين، ومن صور الإيذاء أيضاً: أنهم أرادوا تعجيز موسى عليه السلام بكثرة أسئلتهم، لذلك عاب الله تعالى عليهم ذلك، وأمر المسلمين بمخالفة سبيلهم، فقال تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (البقرة:108)، وقال الرسول ﷺ: "**ذروني ما تركتُكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم، فإذا أمرتُكم بشيء فأتوا منهُ ما استطعتم، وإذا نهيتُكم عن شيء فدعوهُ** "[1]، والسؤال المنهي عنه: ما كان على وجه التعنت والاعتراض، وأما السؤال الذي يقصد به صاحبه التعلم والاسترشاد في مسألة ما فلا بأس به يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(النحل:43)[2] ، ومن صور الإيذاء الذي واجه به بنو إسرائيل نبيهم أنهم طلبوا منه تغيير الطعام وقد كان يأتيهم رزقهم من المن والسلوى، وهما من أطيب الطعام وألذه، فأرادوا استبداله بالبصل والثوم والعدس كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾(البقرة:61) وهم إنما قالوا ذلك على وجه التملل والازدراء بنعم الله تعالى ولما كان الأمر كذلك جازاهم الله تعالى على ذلك بأن غضب عليهم وأحاطهم بالذلة والمسكنة[3].

3- تكليم الله عز وجل لموسى:

من الفضائل التي خَصَّ الله تعالى بها موسى عليه السلام أنه كلمه دون أن يرسل إليه رسولاً؛ لذلك سمي موسى عليه السلام بكليم الله تعالى، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: 253)، حيث إن الله تعالى كلمه في الوادي المقدس طُوى فقال له: ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ (طه:12-16).

(1) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، رقم الحديث 1337، ص 627.
(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص62.
(3) انظر: المصدر السابق، ص 53.

وقد يقول قائل قد ثبت التكليم لآدم ومحمد عليهما السلام، فلمَ خُصَّ موسى عليه السلام بأنه كليم الله؟ قال العلماء: "لأن الله تعالى كلم موسى عليه السلامعلى الأرض وهو على طبيعته البشرية، بخلاف تكليم الله لآدم عليه السلام فإنه كلمه وهو في السماء، وتكليم الله لمحمد ﷺ فإنه كلمه وقد عرج بروحه وجسده إلى السماء، أما تكليمه لموسى فهو على الأرض، وهذا فيه خصوصية لموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم"(1).

قال ابن عطية(2): "وقد تأول بعض الناس أن تكليم آدم عليه السلام كان في الجنة، فعلى هذا تبقى خاصية موسى عليه السلام"(3).

ثامناً: هارون عليه السلام:

هو هارون بن عمران، شقيق موسى الأكبر، ووزيره الذي كان يعاونه في الدعوة، ويخلفه في هداية بني إسرائيل عند غيابه، وقد طلب موسى عليه السلام من رب العزة أن يجعل هارون عليه السلام وزيراً له حين أمره أن يصدع بدعوة فرعون وقومه قائلاً: ﴿**وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢**﴾(طه:29-32)(4)، فهو وموسى عليهما السلام رسولا رب العالمين إلى بني إسرائيل.

ذُكر اسمه في سورة البقرة مرة واحدة في سياق حديث الله تعالى عن التابوت، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ** ﴾(البقرة: 248)، واختلف المفسرون في البقية التي تركها موسى وهارون عليهما السلام التي كانت دليلاً على ملك طالوت، قال بعضهم: هي عصا موسى عليه السلام، وبقايا الألواح التي كتبت عليها التوراة، وقال آخرون: عصا موسى عليه السلام، وعصا هارون عليه السلام،

---

(1) كتاب تيسير لمعة الاعتقاد عبد الرحمن المحمود (1 / 152).
بتاريخ25/ 2012/5 http://www.afaqattaiseer.com/vb/showthread.php?t=320

(2) عبد الحق بن غالب بن عطية، مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث والشعر، وله كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز في عشر مجلدات، توفي سنة 541 هـ. انظر: معجم المؤلفين، عمر كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1414 هـ- 1993م،(22/ 59).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ- 2001م، (1/ 338).

(4) انظر: النبوة والأنبياء، الصابوني، ص 270، أولو العزم من الرسل، طه وادي، دار النشر للجامعات، مصر، ط2، 1418هـ-1998م، ص 82 .

وشيء من الألواح، وقال البعض: العصا والنعلان، وقيل غير ذلك[1]، ومعرفة ذلك لا يكون إلا بالخبر اليقيني، وهذا غير موجود؛ لذلك لا يُرجح قول على آخر، قال الطبري: "وجائز أن يكون تلك البقية: العصا، وكسر الألواح والتوراة أو بعضها، والنعلين، والثياب، والجهاد في سبيل الله، وجائز أن يكون بعض ذلك، وذلك أمر لا يدرك علمه من جهة الاستخراج ولا اللغة، ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر يوجب عنه العلم، ولا خبر عند أهل الإسلام في ذلك للصفة التي وصفنا، وإذا كان كذلك، فغير جائز فيه تصويب قول وتضعيف آخر غيره"[2].

تاسعاً: داود عليه السلام:

هو نبي الله داود عليه السلام يرجع نسبه إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وهو أحد الرسل الذين نزلت عليهم الكتب السماوية بعد موسى عليه السلام، وأعطاه الله الزبور.

ومما ورد بشأنه في سورة البقرة أنه قتل جالوت قائد الكنعانيين، وذلك حينما قامت المعركة بين بني إسرائيل من جهة، والكنعانيين من جهة أخرى، قال تعالى: ﴿ **وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ** ﴾(البقرة:251)، ومنذ ذلك الحين اشتهر داود بين الناس، وورث ملك بني إسرائيل، وآتاه اللّه النبوة التي هي أشرف من الملك زيادةً في ترقيته في سلم الشرف والكمال، ولم يجتمع الملك والنبوة لأحد قبله؛ لأن النبوة كانت في سبط، والمُلك في سبط آخر[3]، ومن المزايا التي خصه الله بها أنه سخر له الجبال يسبحن معه بالعشي والإبكار، وعلّمه منطق الطير، وألان له الحديد، وآتاه الله الحكمة وفصل الخطاب[4].

عاشراً: سليمان عليه السلام:

هو سليمان بن داود من ولد يعقوب عليه السلام، وينتهي نسبه إلى إبراهيم عليه السلام، ورث عن أبيه الملك، كما أعطاه الله النبوة، فكان نبياً ملكاً، قال تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ** ﴾(النمل:16)، قال ابن كثير: "أي: ورثه في النبوة والملك"[5]، وعلمه الله منطق الطير، وسائر لغات الحيوانات، وآتاه الحكمة، وسخر له الريح والجن ومردة الشياطين لخدمته، ولم يكن هذا التسخير لأحد من الأنبياء

---

(1) انظر: تفسير الخازن (1 / 257)، جامع البيان، الطبري (5 / 331-334).

(2) جامع البيان، الطبري (5 / 334).

(3) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991م(2 / 430).

(4) انظر: تفسير البحر المحيط، (2 / 278).

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(182/6).

غير سليمان عليه السلام لقوله عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾(ص:35) [1].

نسب إليه اليهود أنه كان ساحراً ولم يكن نبياً، وأنه حكم مملكته بسحره، فبرأه الله تعالى مما قالوا، ونفى عنه الكفر؛ ذلك لأن السحر كفر، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾(البقرة:102)، ولعل اتهام اليهود لسليمان عليه السلام بالسحر حتى يصبغ السحر بصبغة دينية؛ ليعطوا لأنفسهم الشرعية في تعلمه والعمل به، والواقع أثبت أن اليهود هم أكثر الأمم استعمالاً للسحر.[2]

الحادي عشر: عيسى عليه السلام:

هو عيسى ابن مريم، عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، لقب بالمسيح، وهو آخر أنبياء الله ورسله من بني إسرائيل[3]، وهو من أولي العزم من الرسل، بعثه الله تعالى في الثلاثين من عمره، وكانت رسالته مصدقة لرسالة موسى عليه السلام، وناسخة لبعض أحكامها، ولقد أمرنا الله تعالى بالإيمان برسالة عيسى عليه السلام وما أوتي من معجزات فقال تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(البقرة:136).

أيَّد الله سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام بروح القدس في جميع مراحل حياته من لحظة تخليقه في بطن أمه إلى أن رفع إلى السماء، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾(البقرة:253)، قال ابن عرفة[4]: " فإن قلتَ: وكل رسول أُيّد بروح القدس وهو

(1) انظر: النبوة والأنبياء، الصابوني، ص 285-286.
(2) انظر: معارج القبول، (2/ 552).
(3) انظر: قصص الأنبياء، النجار، ص 371 .
(4) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي المالكي إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، تولى إمامة الجامع الأعظم، من تصانيفه: المختصر الكبير، الحدود الواضحة في عمل المناصحة، توفي سنة 803هـ. انظر: الأعلام (43/7)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، (9 / 240-242) .

جبريل؟ قلتُ: عيسى اختص من ذلك بقدر زائد من صغره إلى كبره لتكونه من نفخ جبريل عليه السلام في فرج مريم، وتكلّمه في المهد"[1].

الثاني عشر: محمد ﷺ:

هو الرسول الخاتم محمد بن عبد الله، أفضل الأنبياء والرسل -عليهم السلام- على الإطلاق.

إثبات العبودية والرسالة في حقه ﷺ:

لم يذكر محمدﷺ باسمه في سورة البقرة، وإنما ذكر تارة بلفظ الرسول، وتارة بلفظ العبد كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ (البقرة:23)

ولهذا الوصف في هذا الموضع دلالات منوعة متكاملة، حيث إنه يدل على أن مقام العبودية هو أسمى مقام وأشرف منزلة، كما أن النبيﷺ لم يستنكف أن يكون عبداً لله بل أحب ذلك وتشرَّف بمقام العبودية وهو النبي الموحى إليه، وبلوغ مرتبة الوحي وتكليم الملائكة لا يصل إليها إلا من اصطفاه الله من البشر، وهؤلاء هم فئة مختارة ، فإن كان النبي الموحى إليه تشرَّف بمقام العبودية، فمن باب أولى مَنْ هو دونه، وفي هذا دعوة لسائر الناس إلى عبادة الله تعالى وحده، والتخلي عما سواه [2].

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن هذا الوصف التصق بالنبيﷺ في المقامات العالية: في الدفاع عنه؛ وفي بيان تكريمه بالمعراج والإسراء؛ وفي بيان تكريمه بإنزال القرآن، وأفضل أوصاف الرسولﷺ هي العبودية والرسالة[3].

ولقد أثبت الله تعالى لنبيّه ﷺ الرسالة في غير موضع من السورة منها على سبيل المثال: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾(البقرة:119)، وقوله تعالى:﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾(البقرة:252) وفي إثبات الرسالة في هذا الموضع نكتة وهي أن القصص التي أخبر الله عنها وبلَّغها لنبيّه ﷺ هي قصص

(1) تفسير ابن عرفة، محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2008هـ،(1/ 306).

(2) انظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب، دار الشروق- القاهرة، ط32، 1423هـ-2003م، (1/ 48)

(3) انظر: تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين (1/ 81-82).

لأناس لم يلقاهم النبي ﷺ وقد أخبر عنهم من غير تعلم ولا دراسة وهذا يدل على أنه عرفها بوحي من الله تعالى [1].

تهديد المنافقين لدعوة النبيﷺ :

لا يخفى على ذي لُبٍّ أن خطر من يدَّعي الولاء لأي طرف كان، وهو في حقيقة الأمر لا يكنُّ سوى الحقد والكراهية أشد على النفس من خطر العدو ظاهر العداوة، ولما كان هذا حال المنافقين، كانت الحاجة مُلِحّة في وجوب التحذير منهم، لذلك فإن القرآن الكريم قد تعمق في بيان خطر المنافقين، وتعداد صفاتهم حتى يكون المسلم حذراً في التعامل معهم.

وسورة البقرة هي إحدى السور التي عنيت بإبراز الوجه الحقيقي للمنافقين وكشف زيوفهم، فأفردت لهم ثلاث عشرة آية، وفي المقابل ذكرت الكافرين في آيتين، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن المنافقين يشكلون تهديداً عظيماً لمستقبل الدعوة الإسلامية، هو في حد ذاته أعظم من خطر الكفار أنفسهم.

وقبل الحديث عن خطر المنافقين لابد من بيان الصفات التي يتميز بها هؤلاء كما عرضتها سورة البقرة ومن هذه الصفات:

1- قلوبهم مريضة:

قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾(البقرة:10)، والمرض هو الشك في اعتقادات قلوبهم وأديانهم، وما هم عليه في أمر محمدﷺ وما جاء به[2].

2- شتم العلماء والمصلحين وجميع المؤمنين وبغضهم وعداوتهم[3] كما قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾(البقرة:13) وهذا هو ديدنهم في كل عصر، تراهم ينتقصون العلماء ويسخرون من المؤمنين، يدعون أن التمسك بتعاليم الإسلام رجعية وتخلف، وأن التحرر من الدين هو عين الحضارة والتطور، وهذا من عظيم سفههم.

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي(6/ 209).

(2) جامع البيان، الطبري (1 / 281).

(3) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله الجبرين، دار العصيمي، ط2، ص 258.

3- التذبذب والمراوغة، فهم يترددون مع مصالحهم، فإن أصاب المؤمنين خير، صاروا معهم حتى ينالوا نصيبهم من الخير، وهم مع الكفار قلباً وقالباً كما قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ (البقرة:14)

4- الإفساد في الأرض، فهم مولعون في تهييج الفتن والحروب، وبث الإشاعات بين الناس، لنزع استقرارهم، ومن فسادهم أيضاً أنهم اتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾(البقرة:11-12) والواقع هو خير شاهد على ولاء المنافقين لليهود والنصارى فهم يقيمون علاقات ود واحترام معهم في مختلف المجالات، وأصبح هذا الأمر مألوفاً عندهم، وصار المنكر على هؤلاء المنافقين متهماً.

هذه بعض الصفات التي ذكرت في سورة البقرة، وهي تنم عن عظيم الخطر الذي يتربص بالمؤمنين في كل وقت وحين، وهذا الخطر الذي يحدق بالمؤمنين لن يزول طالما أن هناك عين للمنافقين تطرف.

ولقد ظهرت بوادر النفاق في العصر المدني بعد أن قويت شوكة المسلمين واشتد بأسهم،

وكان هؤلاء المنافقون يشكلون خطراً عظيماً على دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأنهم يعيشون بين ظهراني المسلمين، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، وهذا الوضع كفيل بأن يجعل المنافقين على دراية بكل أحوال المسلمين وأسرارهم والثغرات التي يمكن من خلالها تدمير بيضة الإسلام، وكانت العلاقة وطيدة بين المنافقين وبين اليهود القاطنين في المدينة حيث إن المنافقين كانوا يظهرون الإيمان في أول النهار وكانوا إذا رجعوا إلى شياطينهم من اليهود الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول قالوا إنا معكم أي: إنا على مثل ما أنتم عليه من الكفر والتكذيب [1] "وهؤلاء اليهود كانوا يجدون في المنافقين أداة لتمزيق الصف الإسلامي وتفتيته، كما أن المنافقين كانوا يجدون في اليهود سنداً وملاذاً"[2].

وهذا ما دفع بعض المنافقين إلى معاونة اليهود حربياً كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾(الحشر:11)، وفي حادثة أخرى نجد زعيم المنافقين عبد الله بن أبي ينسحب بثلث الجيش من غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم

(1) انظر: جامع البيان، الطبري (297/1).
(2) في ظلال القرآن (1/ 45).

بهدف إحداث شرخ في جيش المسلمين وإضعاف قوتهم، وبعضهم لجأ إلى الكفار مستعيناً بهم على دولة الإسلام وراسل أعوانه وأمرهم ببناء مسجد الضرار ليكون مقراً للتآمر والمكر والإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم ولهدم الإسلام ولإطفاء نور الله ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون والمنافقون[1].

وما خربت البلاد اليوم وما تعطلت مصالح الأمة المحمدية اليوم إلا بسبب هؤلاء الذين دمروا البلاد والعباد، وكانوا يداً للظالم الكافر على المسلمين في كل مكان، وما أكثر الخيانات في هذا الزمن: خيانات سياسية وعسكرية وخيانات عقدية وغيرها كثير، وكل هزيمة في الأمة وكل مصيبة إلا ومَنْ هذه صفاتهم وراء كل فتنة فهم مسعرو الحروب والفتن، ولكن من الداخل وفي الخفاء[2].

ولله درّ ابن القيم الذي قال في المنافقين:" بلية الإسلام بهم شديدة جداً؛ لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوتهم في كل قالب، يظن الجاهل أنه علم وإصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد، فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه، وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه، وكم من علم له قد طمسوه، وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه... فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقهم من شبههم سرية بعد سرية، ويزعمون أنهم بذلك مصلحون"[3].

---

(1) http://twitmail.com/email/331212814/17

(2) http://twitmail.com/email/331212814/17

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط1، 1419هـ–1999م (266/1).

المطلب الرابع

عصمة الرسل والأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ

أولاً: تعريف العصمة لغة واصطلاحاً:

1- تعريف العصمة لغة:

العصمة عند أهل اللغة هي بمعنى: المنع، يقال: اعتصمت بالله، أي: بلطفه منعني من المعصية، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه، وقد تأتي بمعنى الحفظ [1].

2- تعريف العصمة اصطلاحاً:

هي:" لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر، مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء" [2].

وقيل: "هي: حفظ الله ظواهر الأنبياء والرسل وبواطنهم من التلبس بمعصية "[3].

ومعنى حفظ ظواهرهم من التلبس بمعصية أي أنهم لا يرتكبون معصية كالزنا، والسرقة، ونحو ذلك من المنهيات الظاهرة، ومعنى حفظ بواطنهم: أن بواطنهم محفوظة من الكبر، والعجب، والحسد، وسائر الأمراض القلبية [4].

وعرفها البعض بأنها: "خاصية في نفس الشخص أو في بدنه، يمتنع بسببها صدور الذنب عنه"[5]، بمعنى أن النبي يكون مسلوب القدرة على فعل المعصية، ومما يدل على فساد هذا التعريف: أنه لو كان النبي ﷺ مكرهاً على ترك الذنب ما استحق المدح؛ لأن المكره لا يمدح، ولا يذم على فعل أو ترك أمر خارج عن اختياره، وأيضاً فالإجماع على أن الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ مأمورون بترك الذنوب، مثابون بها، ولو كان صدور الذنب ممتنعاً عنهم لكان الأمر بترك الذنوب لغواً من القول، وأيضاً فقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾(الكهف: 110) يدل على

---

(1) انظر: لسان العرب، ص 2976، تاج العروس(33 / 100).

(2) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، أحمد بن محمد الخفاجي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1421هـ-2001م، (5/ 144).

(3) أركان الإيمان، وهبي الألباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1420هـ-1999م، ص 144.

(4) انظر: المصدر السابق: ص 144.

(5) المواقف في علم الكلام، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت، ص 366.

مماثلتهمعَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ لسائر الناس فيما يرجع إلى البشرية، وأنهم يمتازون عنهم بالوحي، فلا يمتنع صدور الذنب عنهم كما لايمتنع صدوره عن سائر البشرية [1].

العصمة في التبليغ:

أجمع علماء الأمة على عصمة الأنبياء والرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ فيما يتعلق بالتبليغ، فهم لا يكتمون شيئاً من الوحي؛ لأن الكتمان خيانة، والرسل يستحيل في حقهم ذلك، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ** ﴾ (المائدة: 67)، بالإضافة إلى أن كتمان العلم إثم ومعصية توعد الله صاحبها بالعذاب الشديد كما أخبر بذلك النبيﷺ : "**من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار**" [2][3].

كما أنهم معصومون في كل ما يخلّ بالتبليغ، كالجهل ببعض الأحكام الشرعية، أو الشك فيه، وتلبيس الشيطان عليهم، كأن يأتي بصورة ملك فيوحي إليهم ما يشاء، أو أن يسيطر عليهم بالوساوس، كما أنه يستحيل في حق الأنبياء عليهم السلام تعمد الكذب في أي خبر أخبروا به عن الله تعالى، وتعمد بيان أي حكم شرعي خلاف ما أنزل إليهم[4].

والعصمة في التبليغ عليها مدار الرسالة، وبها يتحقق المقصود من البعثة، وهو إيصال وحي الله تعالى إلى عباده دون تحريف أو تغيير، قال ابن تيمية رحمه الله: "فإن أهل السنة متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى، وهذا هو مقصود الرسالة" [5].

العصمة من الذنوب:

اختلفت آراء العلماء حول عصمة الأنبياء والرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ من ارتكاب الذنوب ما بين كبيرة[6]وصغيرة[7]، عمداً أو سهواً، أما الكفر فالعلماء متفقون على أن الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ

---

(1) انظر: المواقف في علم الكلام، ص 366.

(2) سنن الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كتمان العلم، رقم الحديث 2649، ص597، قال الألباني: صحيح.

(3) انظر: الرسل والرسالات، ص 97، دراسات في العقيدة الاسلامية، أحمد الجلي، ط1، 1423هـ-2002م، ص 174 .

(4) حجية السنة، عبد الغني عبد الخالق، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1407هـ-1986م، ص 96 .

(5) منهاج السنة النبوية، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد سالم (1 / 470- 471).

(6) الكبيرة هي ما كان حراماً محضاً شرع عليها عقوبة محضة بنص قاطع في الدنيا والآخرة. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1403هـ-1983م، ص 183.

(7) الصغيرة هي الذنب القليل . المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية،ط3،(1/ 535).

معصومون منه سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها [1]، غير أن الأزارقة[2] من الخوارج جوّزوا عليهم الذنب، وكل ذنب عندهم كفر[3]، وجوَّزت الرافضة أن يقع منهم الكفر على سبيل التقية[4]، وأما سائر الذنوب فقد جوَّز الرازي من الأشاعرة وقوع الكبائر من الأنبياء سهواً لا عمداً [5].

ومنهم من يرى أن الأنبياء معصومون من جميع الذنوب، صغيرها وكبيرها، قبل البعثة وبعدها، ولا يصدر منهم شيء من ذلك لا سهواً ولا عمداً؛ لأن ذلك مما يوجب هضمهم في النفوس واحتقارهم، وهذا يتناقض مع الحكمة من إرسالهم، وهذا ما عليه الرافضة والقاضي عياض[6][7] ، "وأكثر المعتزلة منعوا صدور الكبائر منهم، وجوَّزوا وقوع الصغائر منهم على جهة العمد".[8]

ومنهم من يرى أن الأنبياء معصومون من الكبائر والصغائر التي تدل على خساسة الطبع، والتي تؤدي إلى نفور الناس منهم، كسرقة حبة أو لقمة، وأما صغائر الذنوب التي لا تدل على خساسة قدر وضعة منزلة، فمذهب السلف جواز وقوعها من الأنبياء لا على جهة العمد، إلا

---

(1) انظر: شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني، تحقيق أحمد السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1407هـ-1987م، ص 89، وكبرى اليقينات الكونية، ص 203 .

(2) الأزارقة هم: أتباع نافع بن الأزرق، وهم أكثر فرق الخوارج عدداً، وأشدهم قوة، من عقائدهم التي يدينون بها: أن من خالفهم فهو مشرك، فاستباحوا قتل نساء مخالفيهم، وقتل أطفالهم، وزعموا أن أطفال مخالفيهم كفار، ومخلدون في النار، وأنكروا الرجم، وأحدثوا من البدع الكثير، لذلك حكمت عليهم الأمة بالكفر. انظر: الفرق بين الفرق، ص82-84 .

(3) انظر: شرح المقاصد سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ-1989م (5/ 49).

(4) التقية عند الشيعة هي: إظهار الموافقة للمخالف ولو كان محقاً، مع إبطان مخالفته، والاستمرار على ما عندهم من ضلالات، والحذر من إظهار عقائدهم، وهي عين النفاق الذي هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر. انظر: فتح الباري (12 / 314).

(5) انظر: تفسير آيات العقيدة، عبد العزيز حاجي، دار الصابوني، ط1، 1424هـ-2003م ص 290.

(6) هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي قضاء سبتة، وتوفي بمراكش مسموماً سنة 544هـ، من تصانيفه: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك .انظر: الأعلام (5 / 99).

(7) انظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، ص 481، الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، السعودية، ط1، 1424هـ-2003 م، (228/1) .

(8) المواقف، ص358.

أن الله لا يقرهم عليها؛ بل سرعان ما ينزل الوحي مصححاً وهادياً، وهذا القول هو قول أكثر العلماء، ولم ينقل عن السلف إلا ما يوافق هذا القول[1].

والذين منعوا وقوع الصغائر من الأنبياء احتجوا على ذلك بقولهم: أن تجويز وقوع الصغائر منهم يتعارض مع ما أُمرنا به من التأسي بهم والاقتداء بأفعالهم، والجواب هو أننا أُمرنا بالتأسي بهم فيما أقروا عليه لا فيما نهوا عنه، والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قد يقع منهم الذنب، ولكنهم لا يقرون عليه ألبتة [2]، بل إن صدور الصغائر من الأنبياء يجعل الاقتداء بهم أسهل وأيسر، فهم كسائر البشر من حيث كونهم عرضة للخطأ في التصرفات والاجتهادات الشخصية، وإن كانوا يتميزون عن البشر بأنهم لا يصرون على الخطأ، وسرعان ما يتوبون منه كما أن الله تعالى لا يقرهم على الخطأ، فلو أنهم أصبحوا بعد بعثتهم نوعاً آخر من الخلق غير بقية البشر، لا يقع في تصرفاتهم كلها ما يقع للبشر العاديين، لاستحال الاقتداء بهم[3]

ومما احتجوا به أيضاً: ظنهم أن الذنوب تنافي الكمال، وأنها تكون نقصاً وإن تاب المذنب منها.

وهو غير صحيح فإن التوبة تجُبُّ ما قبلها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن ثم فإن صغائر الذنوب لا تنافي الكمال، ولا يتوجه إلى صاحبها اللوم، بل إن الله تعالى يرفع العبد التائب إلى درجة أعظم مما كان عليه، وذلك لما يشعر به من الندم والخوف والخشية، ولما يقبل عليه من الاستغفار والدعاء والعمل الصالح رجاء أن تمحو الحسنات السيئات، لذلك قال بعض السلف: "كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة"[4].

ثانياً: ما ورد بشأن آدم عليه السلام في العصمة:

يقول الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾(البقرة :35 – 36).

---

(1) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية (4/ 195)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد (4/ 670).

(2) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية (15/ 87)، المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محب الدين الخطيب، ص 50.

(3) انظر: دراسات في العقيدة الاسلامية، أحمد الجلي، ص 177.

(4) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية(172/10)، الرسل والرسالات ص 110.

تبين هذه الآيات أن الله ﷻ نهى آدمعليه السلام عن الأكل من الشجرة، ولكن الشيطان زين له فعل المنهي عنه، وأغراه بأن الأكل من الشجرة سيجعله ملكاً، أو من الخالدين، فاستجاب آدم عليه السلام لهذا الإغراء، وأكل من الشجرة، ثم عوقب بالإخراج من الجنة.

ولقد ذكر العلماء بعض التوجيهات في سياق تفسير ما وقع من آدمعليه السلام، ومن هذه التوجيهات:

1- أن آدم عليه السلام أكل من غير الشجرة التي نهي عنها، ظناً منه أن النهي واقع على عين الشجرة، وليس على جنسها [1].

وردُّ هذا القول أنه مخالف لظاهر قوله تعالى: (فأكلا منها)، فهو دليل على أنهما أكلا من عين الشجرة.

2- ومن العلماء من قال إن آدم عليه السلام تأول النهي فحمله على الندب، وردُّ هذا القول بأن النهي اقترن بالوعيد، فلا يصح حمله على الندب [2].

3- أن آدمعليه السلام أكل من الشجرة ناسياً، وهذا هو الصواب، وهو ما يتناسب مع السياق القرآني، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾(طه: 115)

والعلماء فسروا نسيان آدم عليه السلام الوارد في الآية بأحد معنيين:

الأول: أن المراد بالنسيان: الترك، فمعنى قوله: (فنسي) أي: ترك الوفاء بالعهد، وخالف ما أمره الله به من ترك الأكل من تلك الشجرة.

والثاني: هو أن المراد بالنسيان في الآية: النسيان الذي هو ضد الذكر، لأن إبليس غرَّ آدم عليه السلام حينما أقسم بالله أنه ناصح حتى أنساه عهد الله له بألا يأكل من الشجرة، فهو لم يكن يضمر معنى المخالفة، ولم يكن يسر نية العصيان[3]، وإلى هذا المعنى أشار ابن قتيبة[4] فقال: "أكل آدم من

(1) انظر: قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص 11 .

(2) عصمة الأنبياء في الكتاب والسنة، محمد الخضر ضيف الله، ص 26 -27 .

(3) انظر: أضواء البيان (4/ 647).

(4) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد، وسكن الكوفة ثم تولى قضاء الدينور مدة فنسب إليها، من مصنفاته: تأويل مختلف الحديث والمعارف والمعاني، توفي ببغداد في رجب سنة 276هـ . انظر: الأعلام للزركلي (4/ 137)، لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ط1، 1423هـ-2002م، (5/9) .

الشجرة التي نُهِي عنها باستزلال إبليس وخدائعه إياه، والقسم له بالله إنه له لمن الناصحين، حتى دلاه بغرور، ولم يكن ذنبه عن اعتقاد متقدم ونية صحيحة"[1].

فإن قيل كيف يؤاخذ آدم عليه السلام على النسيان، والناسي معذور؟ والجواب: أن آدم عليه السلام لم يكن معذوراً بالنسيان لأن العذر بالنسيان والخطأ هو من خصائص أمة محمد ﷺ، والدليل قوله ﷺ: "**إنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ، والنِّسْيَانَ، ومَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**"[2] فقوله "تجاوز لي عن أمتي" يدل على الاختصاص بأمته[3]، فنسيان آدم عليه السلام لعهد الله تعالى يعد معصية، لذلك أخبر الله تعالى عن آدم أنه عصى فقال: ﴿ **وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ** ﴾(طه:121)، وهذه المعصية لا تقدح في نبوته، ولا تنقص من درجته عند الله تعالى؛ لأنه سرعان ما تاب منها كما قال تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾(البقرة:37)، يقول ابن تيمية: "وإنما ابتلى الله الأنبياء بالذنوب رفعاً لدرجاتهم بالتوبة، وتبليغاً لهم إلى محبته، وفرحه بهم، فإن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويفرح بتوبة التائب أشد فرح، فالمقصود كمال الغاية لا نقص البداية، فإن العبد يكون له الدرجة لا ينالها إلا بما قدَّره الله له من العمل أو البلاء "[4].

ومن قال إن آدم عليه السلام ما عصى ربه فهو مكذب لصريح النصوص القرآنية، فإن الله تعالى قال:﴿ **وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ** ﴾(طه:121)، والمعصية هي: مخالفة الأمر الشرعي، وليست بمعنى الخروج عن قدر الله كما ظن البعض، فمن خالف أمر الله الذي أرسل فيه رسله، وأنزل به كتبه فقد عصاه، وإن كان داخلاً فيما قدَّره الله وقضاه[5]، ومن أقوال الصوفية التي تنبئ عن جهلهم قولهم: "آدم كان مأموراً باطناً بالأكل من الشجرة، ولو كنت مكان آدم لأكلت الشجرة كلها" وهذا القول لا

(1) في صميم العقيدة، حسن البنا، تحقيق: عصام تليمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، ط1، 1427هـ-2006م، ص 190-191 .

(2) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ-1993م، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر الإخبار عما وضع الله بفضله عن هذه الأمة، ، رقم الحديث 7219، (16 / 202) ، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(3) انظر: أضواء البيان (4/ 647 -649).

(4) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، (20-53).

(5) انظر: دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، تحقيق: محمد الجليند، ط2، 1404هـ-1984م، مؤسسة علوم القرآن، دمشق-سوريا (4/ 369-370) .

يستقيم؛ لأنه يتنافى مع حكمة الله تعالى وعدله، إذ كيف يأمر الله تعالى بأمر وهو يريد خلافه من المكلف، ثم يعاقبه على فعل المأمور؟ والعمل بهذا القول فيه هدم للتكليف(1).

أما بالنسبة لوقت المعصية، فقد رجح بعض العلماء أنها كانت قبل النبوة، يقول أبو بكر ابن فورك(2): " قوله: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ (طه:121–122) فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان" (3)، وجاء في تفسير المنار: "إن تلك المخالفة صدرت منه قبل أن يدركه عزم النبوة كما قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾(طه:115)، والاتفاق إنما هو على العصمة عن مخالفة الأوامر بعد النبوة "(4).

والراجح –والله أعلم– هو: أن آدم عليه السلام كان نبياً قبل أن يأكل من الشجرة، بدليل أن الله تعالى كلَّمه بلا واسطة، وعلَّمه الأسماء، ثم أمره بسكنى الجنة، ونهاه عن الأكل من الشجرة، والتكليم بلا واسطة يقتضي النبوة، يقول القرطبي: "قد استنبط بعض العلماء نبوة آدم عليه السلام قبل إسكانه الجنة من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾(البقرة:33)، فأمره الله تعالى أن ينبئ الملائكة بما ليس عندهم من علم الله ﷻ" (5).

ثالثاً: ما ورد بشأن إبراهيم عليه السلام في العصمة:

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ (6) إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة:260)

من الناس من أخطأ في فهم هذه الآية الكريمة فظن أن سيدنا إبراهيم عليه السلام قد وقع منه الشك في قدرة الله على إحياء الموتى، وهذا ما نحا إليه بعض المفسرين كأمثال الطبري، حيث

(1) انظر: في صميم العقيدة، ص 192 .

(2) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصفهاني، من فقهاء الشافعية، بلغت مصنفاته في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن مائة مصنف، منها: مشكل الحديث وغريبه، الحدود في الأصول، أسماء الرجال .الأعلام للزركلي (6/ 83)

(3) في صميم العقيدة ، ص 191 .

(4) تفسير القرآن الحكيم (280/1).

(5) الجامع لأحكام القرآن (1/ 306).

(6) أي: اجمعهن. فتح القدير،(1/ 481).

اعتبر أن سؤال إبراهيم عليه السلام كان سببه ما ألقاه الشيطان في نفس إبراهيم عليه السلام من الشك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، واستدل الطبري على صحة هذا القول بحديث رسول الله ﷺ : "**نحنُ أحقُّ بالشَّكِّ مِن إبراهيمَ إذ قالَ: ربِّ أرِني كَيفَ تُحْيي المَوتَى قالَ أوَ لَم تؤمِن قالَ بلَى، ولكِن ليطمَئنَّ قلبي** "[1][2]، والحديث الذي استدل به الطبري لإثبات وقوع الشك من إبراهيم عليه السلام هو حجة عليه لا له؛ لأن معنى قوله ﷺ : (نحن أحق بالشك من إبراهيم): أن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقاً إلى إبراهيم عليه السلام، لكنت أنا أحق به من إبراهيم عليه السلام، وما دام الشك منتفياً في حقي، فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام أولى بألا يشك، قال ذلك تواضعاً وتقديماً لإبراهيم عليه السلام على نفسه[3].

فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام، إذ إن الشك في قدرة الله على إحياء الموتى كفر ينزه عنه المؤمنون فضلاً عن الأنبياء والمرسلين، وأيضاً فإن السؤال بـ (كيف) إنما هو سؤال عن حالة شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤول، لا عن شيء مشكوك في وجوده أصلاً، فسؤال إبراهيم عليه السلام كان عن هيئة الإحياء لا عن نفس الإحياء، فإنه ثابت عنده ومقرر، كما أن الإحاطة بالكيفية لا تقدح في الإيمان[4].

وأما قوله تعالى: (أو لم تؤمن) فإنه أراد به أن ينطق إبراهيم عليه السلام بقوله: (بلى آمنت) لدفع الشك، لكون الآية التي قبلها قد يسبق منها إلى بعض الأذهان الفاسدة إمكانية وقوع الشك من إبراهيم عليه السلام [5].

كذلك فإنه لا يعقل أن يؤمن صاحب لُبٍّ بالفكرة ونقيضها، وإبراهيم عليه السلام كان مؤمناً بقدرة الله على الإحياء والإماتة، وهذا ظاهر في محاجته للنمرود حين قال له: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾(البقرة: 258)، فكيف يُنسب له فيما بعد أنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى ؟

وبهذا يعلم أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكاً في قدرة الله على إحياء الموتى، ولكن لماذا طلب إبراهيم عليه السلام من ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى ؟

---

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله ﷻ(ونبئهم عن ضيف إبراهيم)، رقم الحديث 3372، ص646.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري (5/ 491).

(3) انظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، ط1، 1416هـ- 1996 م، دار ابن عفان- السعودية،(1/ 172)، وشرح النووي (2/ 161).

(4) انظر: المحرر الوجيز(1/ 353).

(5) انظر: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود الزمخشري، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ-1998م، (1 / 492).

أجاب العلماء عن هذا السؤال بأجوبة عديدة:

الأول: أنه ﵇ إنما طلب المعاينة؛ لأن النفوس متشوقة إلى رؤية ما أُخبرت به، ولهذا قال الرسول ﷺ: **"لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ"**(1).

والثانى: أنه لما جاءته البشارة بأن الله قد اتخذه خليلاً أراد علامة على ذلك؛ ليطمئن قلبه بأنه قد اصطفاه لنفسه خليلاً.

والثالث: أنه لما احتج على المشركين بأن ربه سبحانه وتعالى يحيي ويميت، طلب من الله أن يظهر ذلك الدليل عياناً.

الرابع: أنه رأى جيفة بساحل البحر يتناولها السباع، والطير، ودواب البحر، فتفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة، وتطلعت نفسه إلى مشاهدة ميت يحييه ربه، ولم يكن شاكاً في إحياء الموتى، ولكن أحب رؤية ذلك كما أن المؤمنين يحبون أن يروا النبي ﷺ والجنة، ويحبون رؤية الله تعالى مع الإيمان بكل ذلك، وزوال الشكوك عنه.

الخامس: أنه سؤال على طريق الأدب، والمراد: أقدرني على إحياء الموتى؛ ليطمئن قلبي بهذه الأمنية(2).

نخلص من هذا إلى أن الشك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى كفر ينزه عنه الأنبياء والرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، وهو ما يتنافى مع العصمة التي ميزهم الله بها عن سائر البشر، وسؤال إبراهيم ﵇ ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى له دوافعه وأسبابه غير المرفوضة شرعاً، فالأنبياء هم أعرف الناس بربهم وخالقهم، ولأجل ذلك جعلهم الله تعالى سفراء بينه وبين عباده.

---

(1) مسند أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، رقم الحديث 1842، ص 168، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث 5374 ، (2/ 948).

(2) انظر: الشفا، أبو الفضل عياض اليحصبي، اعتنى به وراجعه: هيثم الطعيمي، نجيب ماجدي، ص286-287، إكمال المعلم بفوائد مسلم، أبو الفضل عياض بن موسى، ط1، 1427هـ- 2006م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، (333/7).

المطلب الخامس

وظائف الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ

إن المهمات التي كُلِّف بها الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ هي مهمات ثقال لا يقدر عليها أي إنسان عادي، لذلك لم تكن النبوة جزافاً، وإنما كانت وفق الحكمة الإلهية، فالله سبحانه وتعالى نظر إلى قلوب عباده فاختار أنقاها وأتقاها وأعلمها وأحكمها.

ولقد ذكرت سورة البقرة بعض الوظائف التي أنيطت بالرسل عليهم السلام وهي:

أولاً: التبشير والإنذار:

لما كانت نفوس البشر مجبولة على حب الخير وطلبه، وكراهية الشر ودفعه، بعث الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين، فهم يبشرون أهل طاعته بالنعيم في الدنيا والآخرة، وينذرون العصاة بالضنك والبؤس في الحياة الدنيا والآخرة.

والتبشير والإنذار جزءان لا ينفصلان عن دعوة الرسل البتة؛ لأنهما أدعى للإجابة والقبول[1]، ونظراً لأهمية التبشير والإنذار في دعوة الأنبياء والرسل، فإن الله تعالى قد اشتق لأنبيائه ورسله وصفاً منهما، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (البقرة: 119)، ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ (البقرة: 213).

ومن تأمل سورة البقرة وجد فيها الكثير من الآيات التي اشتملت على التبشير والترغيب، والكثير من الآيات التي فيها إنذار وترهيب، ومن الأول قول الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة: 25)

ففي هذه الآية بشرى للمؤمنين الذين اقترن إيمانهم بصالح أعمالهم بأنهم خالدون في جنات النعيم، يتلذذون بأطيب الثمار، ولهم زوجات من أهل الجنة، مطهرات من الخبث وكل ما يشين.

---

(1) انظر: الرسل والرسالات، ص47 .

ومن البشارات أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: 38)، وهذا وعد من الله تعالى لأوليائه الذين اتبعوا الهدى أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإذا انتُفي الخوف والحزن، حصل ضدهما من الأمن والسعادة [1]، ونظيره قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ [2] مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(البقرة: 62)

ويقول تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(البقرة: 155-157)، فثواب الصابر المسترجع عند المصائب ثناء الله له، ومغفرته لذنوبه، ورحمته، وهدايته إياه إلى طريق الحق.

هذه بعض الآيات التي فيها البشارة، وإنما سقناها على سبيل المثال لا الحصر، وأما الآيات التي فيها إنذار ووعيد فهي كثيرة، وسنذكر بعضاً منها:

يقول الله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة: 24) هذه الآية تتضمن تهديداً ووعيداً لمن شك في هذا القرآن، وزعم أنه من عند محمد ﷺ، أو أن أحداً من الخلق قادر على معارضته، أنهم سيكونون وقود النار يوم القيامة.

ويقول تعالى في شأن المكذبين لآيات الرسل، سواء أكانت الآيات لفظية متلوة، أم معجزات حسية أيد الله تعالى بها رسله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: 39)، توعدهم الله تعالى بأنهم خالدون في النار.

ويقول تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(البقرة: 79) فهذا إنذار ووعيد شديد لمن افترى على الله كذباً، فأضاف في كتاب الله ما ليس منه بأن لهم الويل يوم القيامة.

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص50.

(2) هم قوم دينهم قريب من دين النصارى، غير أنهم يتوجهون في قبلتهم نحو الجنوب. انظر: تفسير القرآن العظيم(433/1).

ومن الآيات التي فيها إنذار وترهيب قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(البقرة:114)، فكل من خرب المساجد خراباً حسياً بالتدمير، أو معنوياً بصد الناس عن العبادة فيها، يتناوله الوعيد المذكور، وهو الخزي في الحياة الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة.

ويقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة:217) فكل من ارتد بعد إيمانه، ومات على الكفر، ذهب ثواب عمله، حتى لو كانت حسناته كجبل أحد، ومصيره النار خالداً مخلداً فيها.

هذا بعض ما تضمنته رسالة محمد ﷺ بما فيها من وعد ووعيد، تبشير وإنذار، وهو غيض من فيض، ولا شك أن رسالات الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانت على نفس الشاكلة؛ لأن مصدر الرسالات واحد.

ثانياً: تزكية النفوس:

1- التزكية في اللغة:

(زكى) : الزاء، والكاف، والحرف المعتلّ أصلٌ يدل على معنيين، أحدهما: الزيادة والبركة، والثاني: التطهير، ومنه تسمية ما يخرجه الرجل من ماله بالزكاة؛ لأنه يرجى بها زيادة المال وتنميته بالإضافة إلى تطهيره [1].

2- التزكية في الاصطلاح:

المراد بتزكية النفس: تطهيرُها بالأعمال الصالحة، وتنمية بواعث الخير فيها، وترك الأعمال السيّئة[2].

إن تزكية النفوس هي إحدى المهمات المسندة إلى رسل الله تبارك وتعالى، يقول ابن القيم: "تزكية النفوس مُسَلَّم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية، وولّاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة وتعليماً وبياناً وإرشاداً، لا خلقاً ولا إلهاماً، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم"[3].

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة (3/ 17).
(2) انظر :إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، بيروت (2 / 344).
(3) مدارج السالكين(240/2).

لذلك دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يبعث في أمة العرب مَنْ يطهر نفوسهم من أدران الشرك والضلالات، فقال عليه السلام كما حكى الله تعالى عنه: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(البقرة: 129)، فكان مبعث محمد ﷺ تحقيقاً لدعوة إبراهيم عليه السلام ، يقول الله تعالى مُمْتنَّاً على عباده المؤمنين أن أرسل فيهم محمداً ﷺ: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾(البقرة 151)، فبعثة محمد ﷺ هي من أجلِّ النعم التي أنعم الله بها على عباده، والتي تستدعي شكر المنعم سبحانه وتعالى، لذلك قال تعالى عقبها: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾(البقرة: 152).

يقول السعدي[1] في تفسير قوله تعالى: (ويزكيكم)" أي: يطهر أخلاقكم ونفوسكم بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتكم من الشرك إلى التوحيد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع إلى التحاب والتواصل والتوادد، وغير ذلك من أنواع التزكية "[2]

وأصل ما تزكو به القلوب هو التوحيد والإيمان، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وإثبات إلهية الحق في القلب، وهذه هي الترجمة الحقيقية لكلمة التوحيد التي اتفقت عليها دعوة المرسلين[3].

ولا تكون تزكية القلوب إلا باتباع ما جاء به الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة، وبأي وسيلة لم يجيء بها الرسل، فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه ويدع رأي الطبيب، فالرسل هم أطباء القلوب، ولا يتأتى تطهير القلوب وصلاحها إلا على أيديهم[4].

---

(1) هو عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، ولد في مدينة العنيزة بالقصيم، حفظ القرآن، وتعلم الحديث، والفقه، والتفسير، والنحو، من مصنفاته: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، القواعد الحسان لتفسير القرآن، الدرة المختصرة في محاسن الإسلام. توفي سنة 1376هـ. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ، ط2، 1394هـ، ص 392-397.

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص74 .

(3) انظر: أمراض القلوب وشفاؤها، أحمد بن تيمية، المطبعة السلفية- القاهرة (6/1).

(4) انظر: مدارج السالكين (2 / 240).

ثالثاً: تعليم الناس معالم دينهم:

يقول الله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾(البقرة: 151)

في هذه الآية تذكير من الله تعالى لعباده المؤمنين بنعمة النبي الذي انتقلوا ببركة رسالته من حال إلى حال، فبعد أن كانوا غارقين في الجهل، أصبحوا أعمق الناس علماً[1]، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أنَّ رسل الله سبحانه وتعالى هم مرجعية الأمة في الإجابة عن الأسئلة التي تتعلق بأمور دينهم، وذلك لأنهم مؤيَّدون بالوحي من الله تعالى، ولذلك كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ يتوجهون بالأسئلة إلى الرسول ﷺ، فسألوه عن النفقة لمن تكون، وفي أي شيء تكون، وعن القتال في الشهر الحرام، وسألوه عن الخمر والميسر، وسألوه عن اليتامى، وغيرها من الأسئلة، وكان الوحي ينزل بالجواب على قلب الرسولﷺ .

كما أن الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ علَّموا الناس كثيراً من الحقائق الغيبية التي لا يمكن للعقل البشري أن يدركها بنفسه، ومنها الدار الآخرة، والجنة، والنار وما فيهما، ولولا الرسل الذين اصطفاهم الله لبقيت هذه الحقائق الغيبية في سجون الغيوب بحسب سنة الله في كونه، ولبقي الناس غارقين في بحور المادية والخرافات [2].

فكل علم نالته أي أمة من الأمم إنما هو على أيدي الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، فلهم الفضل بعد الله تعالى في أنهم أخرجوا الناس من غياهب الضلال والجهل إلى نور العلم والمعرفة.

رابعاً: الشهادة على الأمة:

يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ (البقرة: 143)، وهذه المهمة لا تكون في الدنيا وإنما تكون يوم القيامة حين يبعث الله تعالى من كل أمة رسولها، فيشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، ويشهد لمن تبعه بالإيمان والتصديق، ويشهد على من خالفه بالتكذيب والكفر.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(2/ 124).

(2) انظر: العقيدة الاسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، ط2، 1399هـ-1979م، ص 308 .

يقول الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾(النساء: 41)، وهذه الآية هي التي بكى عندها رسول الله ﷺ كما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: " قال لي رسول الله ﷺ: "**اقْرَأْ عَلَيَّ**" ، **قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ:** " **فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**" ، **فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاء حَتَّى بَلَغْتُ:** ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾(النساء: 41) **قَالَ:** "**أَمْسِكْ**"، **فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ**" [1].

يقول القرطبي: " قال علماؤنا: بكاء النبي ﷺ إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع، وشدة الأمر؛ إذ يُؤتَى بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب، ويُؤتَى به ﷺ يوم القيامة شهيداً [2].

والحقيقة أن أمة محمد ﷺ قد امتازت عن سائر الأمم بفضيلة، وهي شهادتها للرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بأنهم بلغوا ونصحوا، وذلك بعد إنكار أقوامهم لهم، وهذا يعني أن أمة محمد ﷺ شاركت الرسل في هذه المهمة، وهذا من تكريم الله سبحانه لهذه الأمة [3].

يقول النبي ﷺ: "**يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: 143)"[4].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً)، رقم الحديث 4582، ص 870 .

(2) الجامع لأحكام القرآن (6 / 326).

(3) انظر: العقيدة الاسلامية للميداني، ص 314-315 .

(4) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ، رقم الحديث 4284، ص 710، قال الألباني: صحيح.

المطلب السادس

معجزات الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ

أيد الله سبحانه وتعالى رسله بالعديد من المعجزات الخارجة عن قوانين الكون وسننه؛ لتكون شاهدة على صدق الرسول، فتقوم الحجة على الناس لاتباع ما جاء به من البينات والهدى، وعلى الرغم من كون المعجزة دليلاً على صحة دعوى النبوة؛ إلا أن أمماً كثيرة استغشوا ثيابهم، وأعموا أبصارهم عنها، وأصروا على كفرهم وضلالهم، فباءوا بالخسران المبين.

أولاً: تعريف المعجزة:

1- تعريف المعجزة لغة:

العجز: أصله التأخر عن الشيء، وهو ضد القدرة، يقال: عَجَز فلان عن الأمر وأعجزه الأمر، إذا حاوله فلم يستطعه، ولم تتسع له مقدرته وجهده، والتعجيز: التثبيط والنسبة إلى العجز [1].

2- تعريف المعجزة اصطلاحاً:

جاء في تعريف المعجزة أنها: "أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قُصِد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله سبحانه "[2]، وقد أضاف البعض قيد الاقتران بالتحدي إلى التعريف، فقالوا في تعريف المعجزة: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة، يُظهره الله تعالى على يد مدعي النبوة تصديقاً له في دعوى النبوة[3].

ولكن هذا القيد يخرج الكثير من المعجزات عن كونها معجزة؛ لأنه لم يقصد بها التحدي مثل: إحياء الطيور الميتة لإبراهيم عليه السلام، وخروج الماء بين أصابع النبي ﷺ ، وتكثير الطعام القليل له ﷺ ، وغيرها من المعجزات، وعليه فإن التعريف المختار هو الأول لأنه لا يشترط في المعجزة أن تكون بقصد التحدي.

---

(1) انظر: القاموس المحيط، الفيروزابادي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1406هـ-1986م ص 663، ولسان العرب، ص 2817.

(2) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق القنوجي، تحقيق: عاصم بن عبد الله القريوتي ط1، 1404 هـ-1984م، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ص 100.

(3) انظر: لوامع الأنوار البهية (2 / 290)، ومعجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، ط1، 1416هـ-1996م، ص 409.

ثانياً: معجزة موسى عليه السلام:

لقد أيد الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام بالكثير من المعجزات، وأكثر هذه المعجزات كانت حسية؛ لأن بني إسرائيل فاقوا سائر الأمم في الجهل وغلاظة الطبع، فهم أجهل الأمم، وأغلظهم طبعاً، وأبعدهم عن الحق [1]، ولكن سورة البقرة لم تذكر من هذه المعجزات سوى معجزة واحدة وهي:

فرق البحر:

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (البقرة:50)

لما أرسل الله تعالى موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه، يدعوهم إلى توحيد الله، وإلى أن يُخلِّي بينه وبين شعب إسرائيل بإطلاقهم من ذلك الاستعباد والتعذيب، لم يزدهم فرعون إلا تعذيباً وتعبيداً، ثم أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج مع بني إسرائيل من مصر، فخرج فرعون وقومه في طلبهم، فلما انتهوا إلى البحر، ضرب موسى عليه السلام عصاه على البحر فانفلق، فكان كل فرق في ارتفاعه كالجبل العظيم، وصار لكل سبط منهم طريق يابس يعبرون منه، فلما جاوز موسى عليه السلام البحر، واقتحمه فرعون وجنوده أطبقه الله عليهم فغرقوا جميعاً، ولم يبق منهم أحد إلا هلك[2].

وهذا اليوم الذي أنجى الله فيه موسى عليه السلام ومن معه هو يوم عاشوراء، وكانت اليهود تصومه، فأمر النبي ﷺ بصيامه ومخالفة اليهود بصيام يوم قبله أو بعده، عن ابن عباس رضي الله عنهما: " **قدمَ النَّبيُّ ﷺ المدينةَ، فوجدَ اليَهودَ صيَّامًا، فقالَ: ما هذا؟ قالوا: هذا يومٌ أنجى اللَّهُ فيهِ موسى، وأغرقَ فيهِ فرعونَ، فصامَهُ موسى شُكرًا، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: نحنُ أحقُّ بموسى منْكم فصامَهُ، وأمرَ بصيامِه** "[3].

وعلى الرغم من أن هذه المعجزة تحمل على الإيمان والشكر، إلا أن بني إسرائيل كفروا بأنعم الله، ويتضح ذلك جلياً عندما طلبوا من موسى عليه السلام أن يصنع لهم إلهاً، ولم يكن هناك فاصل زمني بين طلبهم هذا ونجاتهم من فرعون، يقول الله تعالى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ

---

(1) إيثار الحق على الخلق، محمد بن المرتضى، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ص 75 -76 بتصرف.
(2) انظر: تفسير السمرقندي(1/ 117)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1414 هـ- 1994م، (1/ 101) .
(3) سنن ابن ماجه، كتاب الصيام، باب صيام يوم عاشوراء، رقم الحديث 1734، ص 302، قال الألباني: صحيح .

قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف: 138).

ثالثاً: معجزة إبراهيم عليه السلام:

إحياء الطيور الميتة بإذن الله:

لما سأل إبراهيم عليه السلام ربه عن كيفية إحياء الموتى؛ وذلك ليرتقي من علم اليقين إلى عين اليقين، أمره الله تعالى أن يأخذ أربعة أصناف من الطير، ثم أمره أن يذبحها، ويقطعها قطعاً صغيرة، وأن يمزج لحوم الطيور بعضها ببعض مع الدم والريش، وأن يضع من هذا الخليط جزءاً على كل جبل تقويةً لتفرق تلك الأجزاء، فإنها فُرِّقت بالفصل من أجسادها، وبوضعها في أماكن متباعدة، ففعل إبراهيم عليه السلام ما أمر به، ثم دعى الطيور، فجاءته تعدو على أرجلها حتى يكون أبلغ له في الرؤية التي سألها [1]، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(البقرة: 260).

رابعاً: معجزة عيسى عليه السلام:

لقد أشارت سورة البقرة إلى تأييد عيسى عليه السلام بالمعجزات، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾(البقرة: 87)، والبينات هي: "الحجج الواضحة، والبراهين الساطعة الدالة على نبوته، فتشمل كل معجزة أوتيها عليه السلام" [2]، وهذه المعجزات ذكرها الله تعالى مفصلة في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: 49).

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن(3 / 297).

(2) روح المعاني(316/1).

والآية المذكورة تشمل خمس معجزات أيد الله بها عيسى عليه السلام معظمها في مجال الطب، وهو نفس المجال الذي برع فيه قومه، وهذه المعجزات هي:

1- نفخ الروح في الطير، فينفخ فيه، فيكون طيراً بإذن الله.

2- أنه يمسح الأكمه، والأكمه هو الذي ولد أعمى[1]، فيبرئه بإذن الله.

3- أنه يمسح على الأبرص[2]، فيشفيه بإذن الله.

4- أنه يحيي الموتى بإذن الله.

5- أنه يُنبئ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وهذا نوع من الإخبار بالمغيبات.

وهذه المعجزات التي أيد الله بها عيسى عليه السلام ضلَّ النصارى فيها، فجعلوها سبباً لتأليهه، ولكن الله تعالى أعلمهم أن تلك المعجزات بإذنه، وأكد ذلك تأكيداً يرفع توهم حول أو قوة لأحد سوى الله تعالى، ونزَّه نبيه عيسى عليه السلام عن نسبة شيء من ذلك لنفسه مستقلاً بإيجاده، أو ادعاء فعل شيء إلا بقدرة ربه سبحانه وإذنه، وبرَّأه الله تعالى من شنيع مقالتهم[3].

معجزة محمد ﷺ:

أيد الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ بالعديد من المعجزات، وأعظم هذه المعجزات القرآن الكريم، وإن المتأمل في معجزات الأنبياء يجدها شيئاً آخر مستقلاً عن رسالاتهم، فطب عيسى عليه السلام غير إنجيله، وعصا موسى عليه السلام غير توراته، إلا أنَّ مشيئة الله اقتضت أن تكون معجزة الرسالة الأخيرة شيئاً لا ينفصل عن جوهرها، فجعل حقائق الرسالة ودلائل صحتها كتاباً واحداً[4]، ولذلك قال النبي ﷺ : "**ما منَ الأنبياءِ نبيٌّ إلا أُعطِيَ ما مِثلُه آمَن عليه البشرُ ، وإنما كان الذي أوتيتُه وحيًا أوحاه اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ**" [5].

وفي هذا الحديث فضيلةٌ عظيمةٌ للقرآن المجيد على كل معجزة أُعطيها نبيٌّ من الأنبياء وعلى كل كتاب أنزله، وذلك أنَّ معنى الحديث: ما من نبي إلّا أعطي من المعجزات ما كان دليلًا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر، ثم لما مات الأنبياء، انقرضت المعجزة

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري (6/ 428).

(2) انظر: التحرير والتنوير (3/ 251)

(3) انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلّاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ- 1983م، (1/304-305) .

(4) انظر: عقيدة المسلم، محمد الغزالي، دار الريان للتراث، ص210.

(5) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، رقم الحديث: 4981، ص: 991.

بانقراض عصورهم، ولم يبق سوى مجرد الحديث عن المعجزة، وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فإنما كان معظم ما آتاه الله وحيًا منه إليه، منقولًا إلى الناس بالتواتر، ففي كل حينٍ هو كما أنزل، فلهذا قال ﷺ: "**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا**"، وكذلك وقع فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته، ودوامها إلى قيام الساعة، واستمرار معجزته فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون مما يدل على صحة دعواه، فالمعجزات التي أيد بها الأنبياء السابقون لمحمد ﷺ هي معجزات حسية تُشاهَد بالأبصار، وأما معجزة القرآن فهو مشاهد بعين البصيرة، وما كان كذلك فهو أبقى وأدوم [1].

ولقد بلغ إعجاز القرآن مبلغاً لا يقدر أحد مهما ارتقى في درجات الفصاحة والبلاغة أن يعارض ولو سورة واحدة منه، وهذا ما بينته سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(البقرة:23)

وأما وجوه إعجاز القرآن الكريم فقد اختلف أهل العلم فيها:

- فذهب قوم[2] إلى أن القرآن مُعجز ببلاغته التي وصلت إلى مرتبة لم يُعهد لها مثيل.
- وقال آخرون[3]: إن إعجازه في النظم والتأليف، وهو خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، ومباين لأساليب خطاباتهم، على الرغم من كون حروفه في كلامهم، ومعانيه في خطابهم، وألفاظه من جنس كلماتهم.
- وقال آخرون[4]: إعجازه في الإخبار عن المغيبات المستقبلة التي لا يُطَّلع عليها إلا بالوحي، أو الإخبار عن الأمور التي تقدمت منذ بدء الخلق، بما لا يمكن صدوره من أميٍّ لم يتصل بأهل الكتاب.
- وذهب الخطابي[5] إلى أن إعجاز القرآن يتمثل في تأثيره في النفوس، فليس هناك كلام غير القرآن إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة

---

(1) انظر: فضائل القرآن لابن كثير، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية– القاهرة، ط1، 1416هـ، ص 42، الإتقان في علوم القرآن (2/ 228).

(2) منهم الرماني. انظر: المدخل إلى علوم القرآن، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن – حلب، ط1، 1426 هـ – 2005 م، ص232.

(3) وهو قول القاضي أبو بكر الباقلاني. انظر: الإتقان(8/4).

(4) وهو قول الباقلاني. انظر: المدخل إلى علوم القرآن. ص 234

(5) هو حمد بن محمد بن الخطاب البستيّ، فقيه محدّث، من أهل بست (من بلاد كابل)، من مصنفاته: معالم السنن، بيان إعجاز القرآن، إصلاح غلط المحدثين، توفي سنة 388 هـ. انظر: الأعلام(2 /273).

والمهابة في حال أخرى ما يخلص منه إليه، قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾(الحشر:21)، وما زلنا نلحظ هذا التأثير القرآني الذي يخلص إلى نفوس السامعين فيكون سبباً في هدايتهم

- ومنهم من قال بأن إعجاز القرآن يتمثل في الإعجاز العلمي المتعلق بمجال الكشوف الحديثة في الكون والطب.
- ويرى فريق آخر أن القرآن مُعجِز بما فيه من أحكام تشريعية خالدة تستهدف خير الإنسانية، والحفاظ على الحقوق والواجبات[1].

ونقل الزركشي[2] عن أهل التحقيق قولهم: " إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده، فإنه جمع ذلك كله، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع"[3].

والحقيقة أن للقرآن الكريم وجوهاً كثيرة في الإعجاز، والعلماء لم يحيطوا بكل وجوه إعجازه.

---

(1) انظر: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، دار المحراب، ص 185، والتبيان في علوم القرآن، محمد الصابوني، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1390هـ–1970م، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، الدار السعودية، ص 221–222، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، ط1، 1413 هـ – 1992 م،(127/1–134).

(2) هو: محمد بن بهادر الزركشي، عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، له تصانيف كثيرة منها: لقطة العجلان في أصول الفقه، والديباج في توضيح المنهاج. انظر: الأعلام (6/ 60–61).

(3) البرهان في علوم القرآن، محمد الزركشي، تحقيق: محمد بن إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ–1984م، (2/ 106)

المطلب السابع

الشفاعة

لا شك أن الشفاعة مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية التي تتجلى في يوم الفصل، حيث إن الله تعالى يأذن لمن شاء من عباده الصالحين أن يشفعوا فيمن استحقوا الشفاعة، وهذا المطلب له ارتباط وثيق بالأنبياء والرسل عليهم السلام، حيث إن الأنبياء والرسل عليهم السلام جميعاً يشفعون عند ربهم ولكن هناك بعض الشفاعات الخاصة بالنبي ﷺ لا يشاركه فيها أحد .

أولاً: تعريف الشفاعة لغة واصطلاحاً:

1- تعريف الشفاعة لغة:

الشفاعة في لغة العرب مشتقة من الشفع، وهو: الزوج خلاف الوتر، والشفيع من الأعداد: ما كان زوجاً، تقول: كان وتراً فشفعته بآخر، والشفعة: الزيادة ، والشاة الشافع: التي معها ولدها[1].

2- تعريف الشفاعة اصطلاحاً:

جاء في كتاب لوامع الأنوار البهية أن الشفاعة هي: "سؤال الخير للغير"[2]، أو هي: "السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم" [3]، وعرَّفها ابن عثيمين[4] بأنها: "التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة" [5].

وهذه التعريفات كلها تؤدي المعنى المطلوب، إلا أنها تشمل الشفاعة الدنيوية والأخروية، وبالتالي فإنه ينبغي إضافة قيد إلى التعريف حتى يصبح قاصراً على الشفاعة الأخروية، وعليه تعرف الشفاعة بأنها: سؤال الله تعالى الخير للناس يوم القيامة.

---

(1) انظر: لسان العرب، ص 2289، و تاج العروس (21 / 279-287).

(2) لوامع الأنوار البهية(2 / 204).

(3) النهاية في غريب الحديث (485/2).

(4) هو محمد بن صالح بن محمد آل عثيمين، من الوهبة من بني تميم، ولد في عنيزة إحدى مدن القصيم في السعودية، حفظ القرآن قبل أن يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، له عشرات الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى، توفي في مدينة جدة عام 1421هـ.

http://www.ibnothaimeen.com/all/Shaikh.shtml بتاريخ 1/9 /2013.

(5) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، شرح محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أشرف بن عبدالمقصود، مكتبة طبرية، الرياض، ط3 1415هـ- 1995م، ص 128.

ثانياً: أنواع الشفاعة:

تقسم الشفاعة من حيث الإثبات والنفي إلى قسمين، هما: الشفاعة المثبتة، والشفاعة المنفية.

1- الشفاعة المثبتة:

وهي الشفاعة التي أثبتها القرآن الكريم، والتي توفر فيها شرطي الشفاعة من إذن الله تعالى للشافع، ورضاه عن المشفوع له كما سيأتي تفصيله.

والشفاعة المثبتة أنواع (1):

النوع الأول: الشفاعة العظمى في موقف القيامة في أن يأتي الله تعالى لفصل القضاء بين عباده، وهي خاصة بنبينا محمد ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وهي المقام المحمود الذي وعده الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ **عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا** ﴾ (الإسراء: 79)، وذلك أن الناس إذا ضاق بهم الموقف، وطال المقام، وألجمهم العرق، التمسوا الشفاعة في أن يفصل الله بينهم، فيأتون آدم، ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى بن مريم عليهم أفضل الصلاة والسلام، وكلهم يقول(نفسي، نفسي) حتى ينتهي الأمر إلى نبينا ﷺ فيشفع عند ربه ﷻ لأهل الموقف، فهي شفاعة عامة لجميع الناس على اختلاف أديانهم.

النوع الثاني: الشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوها، لأن أهل الجنة إذا عبروا الصراط، ووصلوا إليها وجدوها مغلقة، فيطلبون من يشفع لهم، فيشفع النبي ﷺ إلى الله في فتح أبواب الجنة لأهلها، والدليل على هذا النوع قول الرسول ﷺ: " **أنا أولُ الناسِ يَشفعُ في الجنةِ، وأنا أكثرُ الأنبياءِ تبَعًا**"(2)، وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: "**آتي بابَ الجنةِ يومَ القيامةِ فأستفتِحُ ، فيقولُ الخازِنُ: مَنْ أنت ؟ فأقولُ: محمدٌ، فيقولُ : بك أُمرتُ لا أفتحَ لأحدٍ قبلَك** "(3).

(1) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ الحكمي، تحقيق: أحمد مدخلي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1418هـ-1998م (144-145)، ونور اليقين في أصول الدين في شرح عقائد الطحاوي، حسن البوسنوي، تحقيق: زهدي البوسنوي، ، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ -1997م، ص 160-161.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبيﷺ (أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً)، رقم الحديث:196، ص 124.

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ (أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً)، رقم الحديث 197، ص 125.

النوع الثالث: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ.

النوع الرابع: الشفاعة في رفع درجات من دخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، والدليل عليها دعاء النبي ﷺلأبي سلمة حين موته :" **اللهمَّ اغفِرْ لأبي سلمةَ، وارفَعْ درجتَه في المَهديِّينَ، واخلُفْه في عَقِبِه في الغابرين**[1]**، واغفرْ لنا وله ربَّ العالَمينَ** "[2].

النوع الخامس: الشفاعة في أقوام قد أمر بهم إلى النار ألا يدخلوها، ودليله قوله ﷺ: "**ونبيُّكم قائمٌ على الصراطِ، يقول: رب سلِّم سلِّم**"[3][4].

النـوع السادس: الشفـاعة فـي أهل الكبائر ممن دخـل النـار فيخرجون منها، ويشهد له قول الرسول ﷺ: "**شَفَاعتي لأهلِ الكَبائرِ من أمَّتي**"[5].

النوع السابع: الشفاعة في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

النوع الثامن: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة ابن محصن[6] حين دعا له رسول الله ﷺ أن يكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب[7].

---

(1) في الباقين. مرعاة المفاتيح(5/ 318).

(2) سنن أبي داود،كتاب الجنائز، باب تغميض الميت، رقم الحديث: 3118، ص 353، قال الألباني: صحيح.

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث 195، ص 124.

(4) انظر: فتح الباري، (11/ 428).

(5) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الشفاعة، رقم الحديث 7439، ص516، قال الألباني: صحيح.

(6) هو عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس الأسدي حليف بني عبد شمس، من السابقين الأولين، شهد بدراً، وهو من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، استشهد عكاشة في قتل أهل الردة. انظر: الإصابة (4/ 256).

(7) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب وعذاب، رقم الحديث 218، ص 131.

2- الشفاعة المنفية:

لقد ورد في سورة البقرة ثلاث آيات تنفي الشفاعة، وهي قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾ (البقرة :48) ، وقوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾ (البقرة :123) ، وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (البقرة: 254)

هذه الآيات وأمثالها استدل بها المعتزلة والخوارج[1] في نفي الشفاعة لأهل الكبائر، وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين ماتوا على معصية علمية، وهم مصرين عليها، عالمين بتحريمها، مؤمنين بما جاء فيها من الوعيد الشديد، فقضوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون، وهامان، وقارون[2]، كما أن إثبات الشفاعة ينقض أصلاً من الأصول التي قام عليها مذهب المعتزلة، وهو القول بالمنزلة بين منزلتين، والذي يعني أن العاصي يأخذ حكم المسلم في الدنيا، وحكم الكافر في الآخرة، ولا شك أن الشفاعة تنافي هذا الأصل[3].

والحقيقة أن الشفاعة المنفية الواردة في الآيات التي استدل بها المعتزلة يراد بها أحد أمرين:

أ- الشفاعة في أهل الشرك حيث يقول تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾ (البقرة: 48) فقد أجمع المفسرون على أن هذه الآية لا يراد بها العموم، وإنما هي خاصة بالنفس الكافرة فهي التي لا يُقبل منها[4]، فالكفار لا ينتفعون بشفاعة الشافعين، وإن عظم شأن الشافع، كما قال الله تعالى: ﴿ **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ (المدثر:48)، وذلك لأنه يشترط في الشفاعة رضا الله تعالى عن المشفوع له كما سيأتي، والله تعالى لا يرضى لعباده الكفر، وعليه فإن الشفاعة نائلة كل من مات من أمة

(1) الخوارج هم الذين خرجوا على علي ﷺ ممن كان معه في حرب صفين، وكبار الفرق منهم: المحكمة، والأزارقة، والنجدات، والبهيسية، والإباضية، يجمعهم القَوْل بالتبري من عُثْمَان، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويكفرون أَصْحَاب الْكَبَائِر، ويرون الْخُرُوج على الإِمَام إذا خَالف السّنة حقًّا واجِبا، إِلَى غير ذَلِك. انظر: الفرق بين الفرق، ص54-92.

(2) انظر: معارج القبول (2 /896).

(3) انظر: التحرير والتنوير(1 / 487).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن (2 / 78).

محمد ﷺ لا يشرك بالله شيئاً، وأما المشركون فلا حظ لهم في الشفاعة، يقول النبي ﷺ: "**لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ، فتَعَجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إن شاء اللهُ من مات لا يشركُ بالله شيئاً** "[1] [2].

يقول الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾(البقرة:254) : "لما قال تعالى : ﴿ **وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ** ﴾ أوهم ذلك نفي الخلة والشفاعة مطلقاً، فذكر تعالى عقيبه: ﴿ **وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾ ليدل على أن ذلك النفي مختص بالكافرين، وعلى هذا التقدير تصير الآية دالة على إثبات الشفاعة في حق الفساق "[3].

ب- الشفاعة الشركية التي أثبتها الكفار لآلهتهم : ذلك أن المشركين كانوا يجعلون ما يشركون به شفعاء يشفعون لهم إلى الله، ويظنون أن الله يقبل شفاعتهم كما ذكر الله ذلك في قوله : ﴿ **وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ** ﴾(يونس:18)

فالشفاعة التي نفاها القرآن تتضمن نفي ما كان يفعله مشركو العرب والنصارى، وما يفعله الآن بعض المبتدعة من هذه الأمة من طلب الشفاعة من الملائكة، والأنبياء، والصالحين، والتوسل إلى الله بهم، ويقولون هؤلاء خواص الله، ونحن نتوسل إلى الله بهم، ويقولون إنهم عند الله تعالى كخواص الملوك عند الملوك، فهم يتوسطون لدى الملك دون الحصول على الإذن المسبق للشفاعة، ولهم على الملوك أن يقضوا حوائجهم، فيجعلونهم شركاء لله تعالى في ملكه[4] ، وفعلهم هذا من أبطل الباطل؛ لأن الله تعالى لا يحتاج إلى أحد، ولا يشفع أحد عنده ابتداءً، بل لابد من إذن الله تعالى للشافع، كما أن الشفاعة كلها لله مثلما أن الملك له وحده، بعكس الملوك المفتقرين إلى الوجهاء والخواص لتكميل ملكهم ونفوذهم [5]، وقد أبطل الله تعالى

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، رقم الحديث 198، ص 125.

(2) انظر: القول السديد، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: صبري شاهين، دار الثبات، الرياض، ط1، 1425هـ-2004م ص 147.

(3) مفاتيح الغيب(6/ 223).

(4) انظر: الرد على المنطقيين، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الصمد الكبتي، مؤسسة الريان،ط1، 1426هـ-2005م، (1 /571)، القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص 143.

(5) انظر: المصدر السابق، ص 143-144.

هذه الشفاعة في سورة البقرة، فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: 48)

ثالثاً: شروط الشفاعة:

إن الشفاعة التي أثبتها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه والتي أخبر عنها الرسول ﷺ لا تتحقق إلا إذا استوفت شروطها، وباستقراء الآيات من سورة البقرة نجد أن السورة قد أشارت إلى شرط من هذه الشروط وهو:

1- إذن الله تعالى للشافع:

وهو ما نصت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾(البقرة: 255)

أي : لا يجرؤ أحد أن يشفع لأحد من الخلق ما لم يأذن الله تعالى؛ لأن الشفاعة ملك لله وحده لا تطلب من غيره، ولا تقع إلا بإذنه، والمقام المحمود الخاص بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو مقام الشفاعة لا يكون إلا بعد أن يأذن الله تعالى[1].

والإذن الإلهي نوعان: إذن قدري كوني وهو المتعلق بمشيئة الله كقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(البقرة:102)، فالسحر واقع بمشيئة الله وقدرته مع كونه ممنوعاً شرعاً، وإذن شرعي بمعنى الإباحة والإجازة [2]، وأما قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾(البقرة: 255) فإنه يراد به الإذن الكائن بقدره وشرعه، فالمأذون له لا يمكن أن تحصل منه الشفاعة إلا بعد أن يأذن الله له كوناً بأن يشفع، فإذا منعه الله كوناً أن يشفع ما حصلت منه الشفاعة، ولا تحرك بها لسانه، كذلك الإذن الشرعي في الشفاعة بأن تكون الشفاعة ليس فيها شرك، وأن يكون المشفوع ليس من أهل الشرك[3]، ولذلك فإن الكفار لا ينتفعون من الشفاعة سواء كان ذلك مما عبدوه من الأصنام أو الملائكة، أما من جهة أصنامهم لاستحالة الإذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق، وأما من جهة من يعبدونه من الملائكة لأن الملائكة لا يؤذن لهم أن يشفعوا إلا

---

(1) انظر: آية الكرسي وبراهين التوحيد، عبد الرزاق البدر، ص 38-39.

(2) انظر: الحسنة والسيئة، أحمد بن تيمية، دار الجيل، بيروت،1410هـ-1990 م، ص108.

(3) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد، ط1، 1424هـ - 2003م ص 224.

لمن كان أهلاً للشفاعة، لقوله تعالى ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾(النبأ:38)، والشفاعة للكفار بعيدة عن الصواب[1].

فإن قيل : فمن الشفعاء من يشفع بدون إذن الله الشرعي وإن كان خالقاً لفعله كشفاعة نوح لابنه، وشفاعة إبراهيم لأبيه، وشفاعة النبي ﷺ لعبد الله بن أبي بن سلول حين صلى عليه بعد موته، قيل: المنفي من الشفاعة بلا إذن هي الشفاعة التامة، وهي شفاعة المطاع الذي تقبل شفاعته فهذه لا تكون إلا بإذن الله تعالى قدراً وشرعاً، وأما إذا شفع شفيع فلم تقبل شفاعته كانت كعدمها، وكان على صاحبها التوبة والاستغفار منها، كما قال نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(هود: 47)[2].

"واشتراط الإذن في الشفاعة أعظم دليل على ملكوت الله، وعظم كبريائه، بحيث لا يمكن أن يقدم أحد على الشفاعة عنده إلاَّ بإذن منه تعالى" [3].

يقول السعدي رحمه الله: "ومن تمام ملكه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكل الوجهاء والشفعاء عبيد له، مماليك، لا يقدمون على الشفاعة لأحد حتى يأذن لهم﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الزمر: 44)[4].

2- رضا الله تعالى عن المشفوع له:

هذا هو الشرط الثاني الذي يلزم من عدمه عدم حصول الشفاعة يقول الله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾(النجم:26)، ويقول تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾(الأنبياء: 28)، والذين ارتضاهم الله تعالى هم أهل كلمة التوحيد، فمن قال لا إله إلا الله بإخلاص، وعَمِل بمقتضى هذه الكلمة، حقت له شفاعة الشافعين؛ لقوله ﷺ حين سأله أبو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك؟ فأجاب: " **لقد ظننتُ يا أبا**

(1) انظر: إرشاد العقل السليم(7 / 131).
(2) انظر: الحسنة والسيئة، ص 110.
(3) البحر المحيط (2/ 288).
(4) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص954.

هريرة أنْ لا يَسْألني عَنْ هذا الحَدِيثِ أحَدٌ أوَّل مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ من حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يومَ القِيامَةِ مَنْ قالَ لا إلَهَ إلَّا الله خالصاً مِنْ قَلْبِه"[1].

فهذا الحديث جعل أعظم الأسباب التي تنال بها الشفاعة تجريد التوحيد له سبحانه وتعالى، وليس بموالاة الشفعاء، وعبادتهم من دون الله سبحانه وتعالى، فكل من كان أكمل في تحقيق التوحيد كان أحق بالشفاعة، كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة، فإن الشفاعة من الله مبدؤها، وعلى الله تمامها[2].

وأما الكافرون فهم محرومون من الشفاعة، حتى لو شفع فيهم أهل السماوات وأهل الأرض ما قبل الله فيهم شفاعتهم لقوله تعالى: ﴿ **مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ﴾ (غافر:18) قال ابن كثير في تفسير الآية: "أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم؛ بل تقطعت بهم الأسباب من كل خير"[3]

ويستثنى من ذلك ما جاء في شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب، فهي شفاعة خاصة له لأنه آزر النبي ﷺ، وسانده في لحظات الشدة، ولكنه لا يخرج بهذه الشفاعة من النار فهو خالد فيها، وإنما يخفف عنه من عذاب النار[4].

(1) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم الحديث99، ص45.
(2) انظر: الحسنة والسيئة ص126 –127 .
(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(12/ 181).
(4) انظر: التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، ص 98.

المطلب الثامن

التوحيد في حياة الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

إن التوحيد موضوع دعوة الرسل جميعاً، فما من رسول إلا ودعا قومه إلى توحيد الله ونبذ الشرك، فكانت كلمتهم سواء ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾(المؤمنون: 32)، ولا عجب في ذلك، فالتوحيد أساس قبول العمل، ولا يقبل أي عمل ما لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى.

والأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بلغوا درجة الكمال في تحقيق التوحيد في حياتهم، فلم يشركوا بالله طرفة عين، وكانت حياتهم ومماتهم لله وفي الله، يقول الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام:162-163).

أولاً: تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً:

1- التوحيد لغة:

الواو، والحاء، والدال: أصلٌ واحد يدلُّ على الانفراد، يقال: فلان واحدُ قبيلته، إذا انعدم نظيره[1]. وقال الجرجاني[2] : "التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد"[3].

2- التوحيد اصطلاحاً:

هو الإيمان الجازم بتفرد الله تعالى ووحدانيته في ذاته، وصفاته، وأفعاله[4].

ثانياً: أقسام التوحيد:

1- **توحيد الربوبية:** هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء، ومليكه، وخالقه، والمتصرف في شأنه، لا يشاركه أحد في ملكه، أو في أي معنى من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته [5].

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة (6 /90).

(2) هو علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني، عالم حكيم مشارك في أنواع من العلوم، ولد في تاكو قرب إستراباذ، ودرس في شيراز له نحو خمسين مصنفاً منها: التعريفات، شرح مواقف الإيجي، مقاليد العلوم توفي سنة 816هـ. انظر: الأعلام (7/5)، معجم المؤلفين (2/ 515).

(3) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص69.

(4) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص 39 .

(5) انظر: أعلام السنة المنشورة ، ص 30 .

2- **توحيد الألوهية:** هو إفراده تعالى بالعبادة، والتأله له، والتوجه إليه تعالى[1]، أو هو: تخصيص الله ﷻ بكافة أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، قولاً وعملاً، ونفي العبادة عما سوى الله تعالى، وإن عظم شأنه [2].

3- **توحيد الأسماء والصفات:** الإيمان الجازم بتفرد الله سبحانه وتعالى بكل اسم وصفة وردت في كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ، وإثباتها على الوجه الذي يليق بعظمة الله تعالى وجلاله، دون تحريف[3]، أو تعطيل[4]، أو تكييف[5]، أو تمثيل[6]، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه، أو نفاه رسوله ﷺ[7].

ثالثاً: ملامح التوحيد في حياة الرسل:

1- التوحيد في حياة إبراهيم عليه السلام:

أ- توحيد الربوبية عند إبراهيم عليه السلام:

من المعلوم أن الإقرار بربوبية الله تعالى أمر فطري كامن في النفوس، وكذا هو أمر عقلي؛ إذ لا يعقل أن تكون الموجودات قد أوجدت نفسها بنفسها، أو أنها قد أوجدتها الصدفة، فإذا بطل هذا وذاك، تبين أن لهذا الكون خالقاً متصرفاً مدبراً لأمره وهو الله تعالى، ومن أنكر ذلك فقد شذَّت فطرته، وغاب عقله، ومن الغريب أن نجد أناساً قد انطبق عليهم هذا الوصف، منهم النمرود الذي أنكر وجود الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونسب لنفسه القدرة على الإحياء والإماتة، وهما من الأفعال الخاصة بالرب سبحانه لا يشاركه فيهما أحد، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى

---

(1) لوائح الأنوار السنية، محمد بن أحمد السفاريني، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، مكتبة الرشد- الرياض (257/1).

(2) انظر: أعلام السنة المنشورة، ص57.

(3) التحريف نوعان:

- تحريف لفظي : وذلك بالزيادة في الكلمة، أو النقص، أو تغيير حركة في الكلمة كتحريف كلمة استوى في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (طه: 5) إلى استولى

- تحريف معنوي: وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله ورسوله. انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء،ص77.

(4) التعطيل: هو نفي صفات الله تعالى كمن زعم أن الله تعالى لا يتصف بصفة.انظر: المرجع السابق، ص78.

(5) التكييف: تعيين كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها. انظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية، ص 25.

(6) التمثيل: هو تشبيه الخالق بالمخلوق، كمن يقول لله تعالى سمع كسمعنا أو بصر كبصرنا. انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص78.

(7) انظر: مجموعة الفتاوى (8/3)، والقول السديد شرح كتاب التوحيد، ص 40.

رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(البقرة: 258).

هذه الآية تظهر لنا بجلاء ملامح التوحيد لدى إبراهيم ، حيث إنه دعا النمرود إلى الإيمان بالله، وأتى بالدليل على وجوده واستحقاقه للعبادة، وهذا الدليل هو: ظاهرة الإحياء والإماتة، "فحدوث الأشياء بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها، دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها، فلا بد لها من موجد أوجدها، وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له"[1] ، ولكن النمرود فسر الإحياء والإماتة بطريقته فقال: "أُوتَى بالرجلين قد استحقا القتل، فآمر بقتل أحدهما فيقتل، وبالعفو عن الآخر فلا يقتل". فذلك معنى الإحياء والإماتة عند النمرود[2].

ذكر أهل العلم في هذه الآية أن إبراهيم وصف ربه تعالى بأنه يحيي ويميت، وهذه الصفة تحتمل الحقيقة والمجاز، وما قصده إبراهيم أثناء مناظرته للنمرود هو وجه الحقيقة، ولكن النمرود سرعان ما موَّه على قومه بأن قصد المجاز، ولكن إبراهيم نظراً لحكمته وفطنته لم يطل النقاش في هذا الدليل، وانتقل مع خصمه إلى دليل آخر لا مجاز فيه[3]، وهو التصرف في حركة الكواكب والأجرام السماوية، فالإله الحق هو الذي يقدر على تسيير أمور الكون خلقاً، وإحياءً، وإماتة، وهو أيضاً على تسخير الكواكب والنجوم لقادر، فإن كنت إلهاً كما تدعي، فغيِّرْ مسار الشمس بأن تأتي من المغرب بدلاً من أن تأتي من الشرق، فلما سمع النمرود قوة حجة إبراهيم، وعجزه هو عن تنفيذ المطلوب بُهِت، ولم يستطع الكلام[4].

يقول ابن القيم معلقاً على هذه المناظرة التي كانت بين النمرود وإبراهيم : "وفي هذه المناظرة نكتة لطيفة جداً، وهي أن شرك العالم إنما هو مسند إلى عبادة الكواكب والقبور، ثم صورت الأصنام على صورها.. فتضمن الدليلان اللذان استدل بهما إبراهيم إبطال إلهية تلك جملة، بأن الله وحده هو الذي يحيي ويميت، ولا يصلح الحي الذي يموت للإلهية لا في حال حياته، ولا بعد موته، فإن له رباً قادراً قاهراً متصرفاً فيه إحياءً وإماتة، ومن كان كذلك فكيف يكون إلهاً حتى يُتخذ الصنم على صورته، ويُعبد من دونه؟ وكذلك الكواكب أظهرها وأكبرها للحس هذه

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(2/ 451).
(2) انظر: المصدر السابق،(451/2) .
(3) انظر: المحرر الوجيز(1/ 346).
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(2/ 451).

الشمس، وهي مربوبة مدبرة مسخرة، لا تصرف لها في نفسها بوجه ما، بل ربها وخالقها سبحانه يأتي بها من مشرقها، فتنقاد لأمره ومشيئته، فهي مربوبة مسخرة مدبرة، لا إله يعبد من دون الله"[1].

ب- توحيد الألوهية عند إبراهيم ﵇:

وهو كما سبق بيانه: إفراد الله تعالى بالعبادة، والعبادة أنواع: عبادات قلبية مناطها القلب، وعبادات قولية تتعلق باللسان، وعبادات عملية تتعلق بالجوارح، وعبادات مالية تتعلق بالأموال[2].

وإبراهيم ﵇ عبد الله تعالى بالدعاء، والدعاء من العبادات القولية؛ بل إنه أعظمها وأكرمها عند الله تعالى كما قال ﷺ: " **ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء**"[3]، ووصفه الرسول ﷺ بأنه العبادة في قوله: "**الدُّعاءُ هو العبادةُ**"[4].

جاء في عون المعبود في شرح الحديث: " أي: هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة؛ لدلالته على الإقبال على الله، والإعراض عما سواه، بحيث لا يرجو ولا يخاف إلا إياه، قائماً بوجوب العبودية، معترفاً بحق الربوبية، عالماً بنعمة الإيجاد"[5].

ومن الأدعية التي دعا بها إبراهيم ﵇ ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾** ﴾(البقرة:126-129)، والمتأمل في هذه الآيات يجد ارتباط الدعاء والسؤال باسم الرب سبحانه وتعالى، وهذا له نظائر كثيرة في القرآن الكريم، ولعل

---

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العم والإرادة، محمد بن قيم الجوزية، دار ابن عفان، العقربية، ط1، 1416هـ-1996م، (3/ 210-211).

(2) انظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ص293-296.

(3) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، رقم الحديث: 3370، ص 765، قال الألباني: حسن.

(4) سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم الحديث 1479، ص 177، قال الألباني: صحيح .

(5) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق ، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، ط2، 1388هـ-1968 م (4/ 352).

سر هذا الارتباط يرجع إلى " أن صفات الفعل والقدرة، والتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة، وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة أخص باسم الرب"[1].

"وهذا الاسم أحق باسم الاستعانة والمسألة" [2]، ولهذا دعا إبراهيم عليه السلام به، وهذا لا يعني الاقتصار على هذا الاسم في الدعاء؛ بل إن الله تعالى يُدعَى بكل اسم هو له، أنزله في كتابه، أو علَّمه نبيه.

وكذلك من العبادات التي تعبَّد إبراهيم بها الله تنفيذه لأمر الله تعالى في رفع قواعد الكعبة، وتطهيرها من الأوثان، ولذلك لما رفع إبراهيم عليه السلام قواعد البيت سأل الله تعالى القبول، وهذا دليل على أنه لم يرفع قواعد البيت ليتخذه مسكناً يسكنه، ولكن تقرُّباً إلى الله تعالى، ولو أنه رفع قواعد البيت لينتفع منه لنفسه ما صح أن يقول: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ بأن يسأل قبول ما لا قربة فيه[3].

ج- توحيد الأسماء والصفات:

إن الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ هم أكثر الناس معرفة بأسماء الله وصفاته، وسورة البقرة عرضت ما كان من سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ أثناء رفعهما لقواعد الكعبة، يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾** ﴾(البقرة: 126-132)

---

(1) مدارج السالكين(1/ 37).

(2) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية (14/14).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري (3/72-73).

والمتأمل فيما سبق من الآيات يجد أن إبراهيم عليه السلام قد أثبت لله سبحانه وتعالى أسماءً عديدة منها: الله، السميع، العليم، التواب، الرحيم، العزيز، الحكيم، رب العالمين، كما أنه عليه السلام أثبت لله تعالى صفاتاً منها: الرزق، الإحياء والإماتة، الاصطفاء.

- **الأسماء الواردة في قصة إبراهيم عليه السلام :**

- **الرب:** والآيات التي ورد فيها هذا الاسم كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾(البقرة:126) الربّ يُطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمُرَبِي، والمُنْعِم، ولا تستعمل كلمة (الرب) في حق المخلوق إلا مضافة، فيقال: رب الدار، ورب المال، وأما في حق الخالق فإنه يجوز إطلاق الكلمة من غير إضافة[1]، فالله رب كل شيء وخالقه، والمتصرف في شأنه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، ولا يشاركه أحد في أي معنى من معاني ربوبيته، لا بشر ولا ملك، بل الكل عبيد مربوبون له سبحانه وتعالى[2].

وربوبيته تعالى لخلقه نوعان: ربوبية عامة تشمل كل المخلوقات من حيث الخلق، وتقسيم الأرزاق والنعم، وتدبير أمورهم، وربوبية خاصة بأوليائه من حيث توفيقهم للإيمان به، وهدايتهم إلى طريق الخير، وتجنيبهم طريق الشر[3].

ومن اللفتات الطيبة التي أشار إليها ابن عرفة رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: 131) قوله: "إنما قال-يعني إبراهيم عليه السلام- لرب العالمين دون أن يقول أسلمت لك؛ ليكون قد أتى بالإسلام وبدليله "[4].

- **الله:** وهذا الاسم ورد في مثل قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(البقرة:132)، والله "هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال "[5].

---

(1) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 179).

(2) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، تحقيق: عبيد العبيد، ط 1421هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (199/1).

(3) انظر: فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبدالرحمن السعدي، اعتنى به عبد الرزاق البدر، دار ابن الجوزي، ط3، ص 54 .

(4) تفسير ابن عرفة، (1/ 171).

(5) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 945 .

واسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، ولهذا الاسم خصائص لا يعلمها إلا الله ﷻ، واعتبره العلماء اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب[1].

- **السميع:** هو الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فلا يخفى عليه صوت من الأصوات، لا يعجزه تعدد اللغات، ولا تباعد الأصوات، والسر والجهر عنده سيان[2]، يقول تعالى: ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾(البقرة: 127)، وأصوات العباد عنده تعالى كصوت واحد على الرغم من اختلاف لغاتهم وتنوع حاجاتهم، كما أن خلق الخلق وبعثهم بعد موتهم بمثابة نفس واحدة [3].

قال الخطابي: "وقد يكون السماع بمعنى الإجابة والقبول كقول النبي ﷺ: " **اللهم إني أعوذُ بك من قلبٍ لا يَخْشَعُ، ومن دعاءٍ لا يُسْمَعُ** "[4] أي: من دعاء لا يستجاب، ومن هذا قول المصلي: "سمع الله لمن حمده"، معناه: قَبِل الله حمْد من حمده"[5].

- **العليم:** اسم من أسماء الله ﷻ متضمن للعلم الكامل المحيط بكل شيء، فلا يعتريه جهل ولا نسيان، سواء فيما يتعلق بأفعاله، أو أفعال أحد من خلقه، وهو سبحانه يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون[6].

- **التواب:** اسم من أسماء الله ﷻ التي دعا بها إبراهيم عليه السلام ربه في قوله: ﴿ **رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾(البقرة: 128)، والتواب هو: الذي يقبل رجوع عبده إلى الطاعة بعد المعصية، ويغفر له ما سلف من الذنوب،

---

(1) انظر: معارج القبول (1/ 67).

(2) انظر: شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة سعيد القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، ص 86.

(3) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد الإصلاحي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1429هـ، (1/ 90) .

(4) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، رقم الحديث: 3482، ص 791، قال الألباني: صحيح.

(5) شأن الدعاء، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: أحمد الدقاق، دار المأمون، دمشق، ط1، 1404 هـ-1984م، ص 59.

(6) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن عثيمين، تحقيق: أشرف بت عبد المقصود، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ-1991م، ص:9، وفقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق البدر، دار التوحيد، الرياض، ط1، 1429هـ-2008م، ص 33.

فكل من تاب إلى الله توبة نصوحاً تاب الله عليه، وتوبة الله على عبده نوعان: أحدهما: إذنه للعبد بالتوبة، وتهيئة أسبابها له، والثاني: قبول التوبة منه، وإثابته عليها بأفضل الثواب [1]

يقول ابن القيم في نونيته :

وكذلك التواب من أوصافه	**والتوب في أوصافه نوعان**
إذن بتوبة عبده، وقبولها	**بعد المتاب بمنة المنان[2]**

- **الرحيم:** يقول تعالى: ﴿**إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ**﴾(البقرة: 128) وهذا الاسم مشتق من الرحمة، وهناك فرق بين معنى الرحمن والرحيم، فالرحمن يدل على الرحمة العامة، والرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين، بأن هداهم للإيمان، وأثابهم عليه بالأجر غير المنقطع [3]، وجاء في الفرق بين اسم الرحمن والرحيم: أن اسم الرحمن يدل على الصفة الذاتية من حيث اتصافه تعالى بالرحمة، واسمه الرحيم يدل على الصفة الفعلية من حيث إيصاله الرحمة إلى المرحوم [4].

- **العزيز:** وهذا الاسم وارد في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم ﷺ : ﴿**رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾(البقرة: 129)، والعزيز هو الغالب الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، والمنيع الذي لا يغلبه أحد، وقد يكون بمعنى الذي لا مِثْل له [5]، فله سبحانه جميع معاني العزة، منها: عزة القوة، فهو العزيز لكمال قوته، ومنها عزة الامتناع عن أن يقهره أحد أو يغلبه أحد، وامتناعه عن أن ينسب إليه ما لا يليق بجلاله من العيوب والنقائص[6]، فاسم العزيز يوحي بالقوة،

---

(1) انظر: الحق الواضح المبين، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، دار ابن القيم، الدمام، السعودية، ط2، 1407هـ-1987م، ص 74.

(2) متن القصيدة النونية، محمد بن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 1417هـ،(1/ 209).

(3) انظر: معارج القبول (1/ 68).

(4) انظر: المصدر السابق(1/ 68)، التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد، محمد ابن منده، تحقيق: علي بن ناصر الفقيهي، مطابع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، ط1409،1هـ، (2/ 53).

(5) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أحمد البيهقي، تحقيق: أحمد أبو العينين، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 1420هـ-1999م، ص 50.

(6) انظر: فتح الرحيم الملك العلام، ص31 .

والغلبة، والمنعة، ونفي الكفؤ، "وغالباً ما يقترن اسم العزيز في كتاب الله باسم الحكيم؛ للدلالة على أن عزته تبارك وتعالى وقوته وامتناعه محكومة بحكمته وعدله"[1].

- **الحكيم:** يقول تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(البقرة: 129)، والعزيز هو المنزه عن الخطأ والسفه في أفعاله وأقواله، فلا يقول ولا يفعل إلا الصواب، المتقن في تدبير الأشياء، فلا يقع في خلقه تفاوت ولا قصور[2].

الصفات الواردة في قصة إبراهيم عليه السلام:

إن كل اسم من الأسماء التي أثبتها إبراهيمعليه السلام لربه عز وجل يتضمن صفة، فاسم الله مثلاً يشتق منه صفة الألوهية، واسم الرحيم يشتق منه صفة الرحمة، واسم العزيز يشتق منه صفة العزة، وهكذا باقي الأسماء، كما أنهعليه السلام أثبت لله بعض الصفات التي تشتق من أفعاله، وتلكم بعض الصفات :

- **صفة الرزق:** وهي من الصفات المختصة بالله عز وجل لا يصح نسبتها لأحد المخلوقين فالأرزاق بيده تعالى وحده، يقول تعالى: ﴿ وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾(البقرة: 126).

وقد سأل إبراهيمعليه السلام الرزق للمؤمنين خاصة مع علمه بأن الله قادر على رزق الجميع تأدباً مع الله تعالى؛ لأنه قد سأل ربه الإمامة لذريته، فلم يستجب له في الظالمين، فخشي إبراهيم عليه السلامأن يكون أمر الرزق كالإمامة، إلا أن الله تعالى أخبره أنه يرزق جميع الناس، برَّهم وفاجرهم، لأن الرزق عدل، وأما الإمامة فهي فضل، وهي ليست لكل الناس؛ وإنما لمن كان أهلاً لها[3].

- **صفتا الإحياء والإماتة:** يقول تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾(**البقرة: 258**) " يوصف الله عز وجل بأنه المحيي والمميت، وهذا

---

(1) أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرفة به، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط1، 1423هـ-2004م، ص 72.

(2) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد هراس، ص91.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص66.

ثابت بالكتاب والسنة، وهما صفتان فعليتان خاصتان بالله ﷻ، وليستا هما من أسماء الله " ﷻ[1].

قال البيهقي[2]: "المحيي: هو الذي يحيي النطفة الميتة، فيخرج منها النسمة الحية، ويحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها عند البعث، ويحيي القلوب بنور المعرفة، ويحيي الأرض بعد موتها بإنزال الغيث، وإنبات الرزق، المميت: هو الذي يميت الأحياء، ويوهي بالموت قوة الأقوياء" [3].

- **صفة الاصطفاء:** أثبت إبراهيمعليه السلام لله تعالى صفة الاصطفاء، والاصطفاء هو بمعنى الاختيار، وهذه الصفة واردة في قول الله تعالى: ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ** ﴾(البقرة:132)

قال أبو جعفر: "يعني تعالى ذكره بقوله: "إن الله اصطفى لكم الدين" إن الله اختار لكم هذا الدين الذي عهد إليكم فيه، واجتباه لكم"[4].

2- التوحيد في حياة يعقوبعليه السلام :

لقد كان يعقوبعليه السلام ينادي بالتوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى كآبائه إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، ومما أخبر الله تعالى عنه أنه لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له، والاستسلام له، وهذا يعني أن القضية التي كانت تشغل ذهن يعقوبعليه السلام وهو يعالج سكرات الموت هي قضية الإيمان والتوحيد، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ** ﴾(البقرة :133)، وهكذا كان شأنه عليه السلام في كل مراحل حياته، حيث إنه كان مهتماً بتربية أبنائه تربية عقدية، فكان يوصيهم بالتمسك بدين الإسلام

(1) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي السقاف، دار الهجرة، الرياض، السعودية، ط1، 1414هـ-1994م ، ص 230.

(2) البيهقي هو: أحمد بن الحسين بن علي، من أئمة الحديث، ولد في نيسابور، كان ينصر المذهب الشافعي، صنف زهاء ألف جزء منها: السنن الكبرى، والأسماء والصفات، ودلائل النبوة، والبعث والنشور. توفي سنة 458هـ. انظر الأعلام (1 / 116).

(3) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، ص 54.

(4) جامع البيان، الطبري (3/ 91).

حتى الممات، يقول الله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة:132)

3- التوحيد في حياة موسى عليه السلام:

أ- **توحيد الألوهية:** يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة:54).

لما اتخذ بنو إسرائيل العجل إلهاً من دون الله، أراد موسى عليه السلام أن يَرُدَّهم إلى جادَّة الصواب، فأخبرهم أن عبادة العجل تمثل قمة الظلم، فهي ظلم في حق النفس، وظلم في حق الرب، أما ظلم النفس فيكون "بتركِ ما ينفعُها وهي محتاجة إليه، أو بفِعْلِ ما يضرها"[1]، والنفوس كلها مفتقرة إلى عبادة ربها ومليكها، والمشركُ بالله ترك ما هو محتاج إليه، وألقى بنفسه في نار جهنم، وأما الظلم الذي هو في حق الرب فإنه يكون بصرف العبادة إلى غيره وهو الخالق، المالك، المتفضل على خلقه بصنوف النعم، وذكر موسى عليه السلام اسم البارئ في مقام التوبة من عبادة العجل دون غيره من الأسماء للتنبيه على عظم جرمهم، وشنيع فعلهم إذ كيف يَخلق ويُعبَد غيرُه ؟[2] ، ولذلك لما سُئِل النبي ﷺ: أيُّ الذنبِ أعظمُ عندَ اللَّهِ ؟ قال:" **أن تجعلَ للَّهِ نِدًّا وهو خلَقَك**" [3].

وتظهر ملامح توحيد الألوهية عند موسى عليه السلام في قوله عليه السلام لقومه حين نعتوه بالاستهزاء بهم فما كان منه إلا أن يستعيذ بالله قائلاً: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(البقرة:67)، والاستعاذة كما قال ابن كثير هي: "الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي

(1) جامع المسائل (45/4).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1/ 401).

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، رقم الحديث 86، ص65.

شر"[1]، ولما كانت الاستعاذة عبادة من أجلِّ العبادات، "أمر الله بالاستعاذة به وحده، واللجوء إليه من كل الشرور؛ لأن تحقيق ذلك إيمان وتوحيد، وصرفها لغير الله شرك وتنديد"[2].

ب- توحيد الأسماء والصفات:

1- الأسماء:

- **البارئ:** يقول تعالى: ﴿**ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ**﴾(البقرة: 54)، **والبارئ** هو الذي خلق الخلق بدقة متناهية من غير تفاوت في الأعضاء، فالبرء هو الخلق على صفة، فهو أخص من الخالق، فكل مبروء مخلوق، وليس كل مخلوق مبروءاً [3]، وجاء في الفرق بين الخلق والبرء أن الخلق هو تقدير الأشياء وفق حكمته، وأما البرء فهو التنفيذ والإيجاد من العدم، وليس كل من قدَّر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله ﷻ[4].

2- الصفات:

- **الكلام:** يقول الله تعالى: ﴿ **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ**[5] **وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ**[6] **بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ** ﴾(البقرة: 68)

والله تعالى يتكلم بصوت، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ: "**يَقُولُ اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ يَقُولُ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وسَعْدَيْكَ فَيُنَادَى بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ**" [7]، وأمثاله من الأحاديث، ولكن ليس ذلك كأصوات العباد، لأن الله تعالى لا يشبهه شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله [8].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، (1/ 175).
(2) القول السديد، ص 130 .
(3) انظر: فقه الأسماء الحسنى، ص 113.
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(13/ 503).
(5) فارض بمعنى مسنة. انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(1/ 449).
(6) أي متوسطة العمر لا صغيرة ولا كبيرة. انظر: المفردات في غريب القرآن، ص 354.
(7) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وترى الناس سكارى، رقم الحديث 4741، ص 918 .
(8) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، (12/ 131).

المطلب التاسع

واجبنا نحو الرسل

إن من أعظم النعم التي منَّ الله بها على عباده أن بعث فيهم أنبياء ورسلاً من أنفسهم، يعلّمونهم أمور دينهم، ويرشدونهم إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وحاجة الناس إلى هذه النعمة فوق حاجتهم لكل شيء، يقول ابن القيم في زاد المعاد: "ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوقَ كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيلَ إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا مِن جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطَّيِّب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم تُوزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال "[1].

ولما كانت حاجة الناس إلى الرسل بهذه الدرجة، فقد أوجب الله تعالى لهم جملة من الحقوق، ومن هذه الحقوق:[2]

أولاً: الإيمان بالرسل والأنبياء عليهم السلام جميعاً، وعدم التفريق بينهم، يقول الله تعالى: ﴿ **قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ** ﴾(البقرة: 136)، ثم بينت السورة استجابة الرسول ﷺ وأتباعه لأمر الله، يقول الله تعالى:﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ** ﴾(البقرة: 285).

فالإيمان بالرسل عليهم السلام متلازم، فمن كفر بواحد فكأنما كفر بالجميع، قال تعالى: ﴿ **كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ** ﴾(الشعراء: 105)، وقال تعالى: ﴿ **كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ** ﴾(الشعراء: 123)، وقال تعالى: ﴿ **كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ** ﴾(الشعراء: 141)، وهؤلاء جميعاً إنما كذبوا

---

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط27، 1415هـ-1994م، (1/ 69).

(2) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ص 163.

رسولهم الذي أرسل إليهم، ولكن لما كان الرسل حملة رسالة واحدة، ودعاة دين واحد، ومرسلهم واحد، كان التكذيب لأحدهم هو تكذيب للجميع(1).

ثانياً: موالاتهم ومحبتهم، والحذر من بغضهم وعداوتهم:

من الواجبات الشرعية التي كلف الله بها عباده المؤمنين موالاة بعضهم بعضاً، فدخل في ذلك رسل الله الذين هم أكمل المؤمنين إيمانًا، وعليه فإن موالاتهم ومحبتهم في قلوب المؤمنين هي أعظم من موالاة غيرهم من الخلق؛ لعلو مكانتهم في الدين، ورفعة درجاتهم في الإيمان، يقول ﷻ: ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ** ﴾(المائدة: 56)، ولذا حذر الله من معاداة رسله، وعطفها في الذكر على معاداة الله وملائكته، وقرن بينهما في العقوبة والجزاء، لأن الرسل هم سفراء الله إلى خلقه، فمن عاداهم فكأنما عادى الله تعالى، يقول عزَّ مِن قائل: ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ** ﴾(البقرة: 98)(2).

ثالثاً: اعتقاد تفاضلهم فيما بينهم، وأن الله تعالى خص بعضهم بمزايا دون الآخرين كما سبق بيانه، يقول تعالى: ﴿**تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ** ﴾ (البقرة: 253) فالله تعالى فضَّل بعضهم على بعض، فكان أفضلهم نبينا محمداً ﷺ، ثم أولي العزم من الرسل، ثم سائر الرسل، ويليهم الأنبياء عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

رابعاً: مخالفة النصارى واليهود في نظرتهم للأنبياء: فالنصارى قدسوا رسولهم عيسى عليه السلام حتى وصل بهم الأمر إلى تأليهه، واعتقاد تصرفه في ملكوت السماوات والأرض، وأما اليهود فكانوا على النقيض تماماً، حيث إنهم آذوا رسل الله ﷻ، تارة بتكذيبهم، وتارة بمجادلتهم وتعنتهم في السؤال، وتارة بقتلهم، ولقد سجلت سورة البقرة هذه المواقف المخزية لليهود مع أنبيائهم في غير موضع، ففي مقام الحديث عن تكذيبهم للأنبياء وقتلهم إياهم يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا**(3) **مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾ (البقرة: 87)

---

(1) انظر: الرسل والرسالات، ص 24 -25.

(2) انظر: أصول الإيمان، نخبة من العلماء، ص 164.

(3) أي أتبعناه بالرسل فكانوا خلفاً له. انظر: المفردات، ص 410 .

هذه هي طريقة اليهود في التعامل مع الأنبياء، وخصوصاً إذا كان في الشريعة ما يخالف أهواءهم، فهم يتبعون أسلوب التكذيب، أو التصفية الجسدية مع إسرافهم في قتل الأنبياء، وكانوا كما جاء في الأثر عن عبد الله بن مسعود ﷺ" يقتلون في اليوم ثلاثمائة نبي، ثم يقيمون سوق بقلهم في آخر النهار"[1] كأنهم لم يحدثوا جرماً، ولم يرتكبوا إثماً، ومن الأنبياء الذين قتلهم اليهود زكريا ويحيى عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، وحاولوا قتل عيسىعليه السلام بعد ذلك، ولكنهم لم يفلحوا، ثم حاولوا قتل النبي ﷺغير مرة كان آخر هذه المحاولات هو إرسال شاة مشحونة بالسم أرسلتها يهودية [2] إلى النبي ﷺ فأكل منها، ولا زال أثر السم يؤذي النبي ﷺ حتى توفي[3].

يقول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة :61)، ويقول تعالى في موضع آخر من السورة: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة: 87)، ويقول أيضاً: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: 91) فالواجب على المسلم إنزال الرسل منازلهم التي أنزلهم الله إياها دون إفراط ولا تفريط.

خامساً: التأدب مع الرسل والأنبياء عَلَيْهِمُالسَّلَامُ في القول، وعدم استعمال الألفاظ التي تحتمل الفحش لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا [4]وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(البقرة:104)

وكلمة راعنا من الكلمات التي كان المسلمون يخاطبون بها الرسول ﷺ، ويريدون بها المراعاة أي: أرعنا سمعك، وفرغه لكلامنا، وكانت هذه اللفظة سباً قبيحاً بلغة اليهود، ومعناها عندهم: اسمع لا سمعت، وقيل: من الرعونة، إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا: "راعنا" يعني: أحمقاً، فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين جهروا بها، فسمعها سعد بن معاذ ﷺ، ففطن لها، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: "لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله ﷺ

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (1/ 430).
(2) هي زينب بنت الحارث. شرح النووي على مسلم(14/ 179).
(3) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم، دار الراية، ط1، 1415هـ-1994م، (1/ 269-270).
(4) أي راقبنا واحفظنا. انظر: فتح القدير (1/ 247)

لأضربنّ عنقه" فقالوا: "أو لستم تقولونها؟" فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾(البقرة: 104) أي لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله ﷺ [1].

والشاتم لرسول الله ﷺ هو كافر مرتد بالإجماع، يجب قتله سواء كان مسلماً أم ذمياً، قال محمد بن سحنون[2]: "أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، و حكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر"[3]، وهذا الحكم منسحب على من سبَّ أي واحد من الرسل والأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، قال القاضي عياض –رحمه الله– : "حكم من سب سائر أنبياء الله تعالى، واستخف بهم، أو كذبهم فيما أتوا به، وأنكرهم، وجحدهم، حكم نبينا ﷺ" [4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "مِن خصائص الأنبياء أنَّ مَن سبَّ نبيًّا مِن الأنبياء قُتِل باتفاق الأئمة وكان مرتداً، كما أنَّ مَن كفر به وبما جاء به كان مرتداً، فإن الإيمان لا يتم إلا بالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله " [5].

والحكمة في تغليظ العقوبة على السابِّ هو أن في سب النبي ﷺ اعتداءً على حق الله ﷻ، وحق رسوله ﷺ، وحق المؤمنين، حيث إن السابَّ قدح في أولياء الله، وبارزهم بالمحاربة، وقدح في ألوهية الله؛ لأن الطعن في الرسول طعن في المرسِل، وقدح في دين الله؛ لأن سلامة الدين تتوقف على سلامة الرسالة، هذا ما يتعلق بحق الله ﷻ، أما حق الرسول ﷺ فيظهر من حيث إن الوقيعة في عرضه أشد إيذاءً له من القتل؛ لأن قتله لا يؤثر سلباً على رسالته بقدر ما تؤثر الوقيعة في عرضه، إذ إنها توجب نفرة الناس منه، وعدم استجابتهم لدعوته، وأما حق المؤمنين من هذه الأمة؛ فلأن عامة الخير الذي أصابهم هو بسببه، فالسب له أعظم من سب أنفسهم، وآبائهم، وأبنائهم [6].

---

(1) انظر: تفسير الخازن(1/ 92) .

(2) هو: محمد بن عبد السلام(سحنون)، أبو عبد الله، فقيه مالكي، له تصانيف كثيرة، منها: آداب المعلمين، الرسالة السحنونية، آداب المتناظرين، رحل إلى المشرق سنة 235هـ، توفي بالساحل، ونقل إلى قيروان فدفن فيها. انظر: الأعلام(6/ 205).

(3) الشفا، ص 356.

(4) المصدر السابق، ص401.

(5) الصفدية، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد سالم، دار الفضيلة،(261/1–262).

(6) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الله الحلواني، ومحمد كبير شودري، رمادي للنشر –السعودية، ط1، 1417هـ– 1997م، (531/2–532).

المبحث الثاني
الكتب السماوية

ويشتمل على ثمانية مطالب

المطلب الأول: معنى الإيمان بالكتب، وبيان أهمية الكتب السماوية، وحاجة الناس إليها

المطلب الثاني: دلالة السورة على وجوب الإيمان بالكتب السماوية

المطلب الثالث: الكتب السماوية الواردة في السورة

المطلب الرابع: تفاضل آيات القرآن الكريم

المطلب الخامس: تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية

المطلب السادس: البشارة بالنبي محمد ﷺ في الكتب السابقة

المطلب السابع: موقف اليهود من كتب الله تعالى

المطلب الثامن: عاقبة المكذبين للكتب السماوية

المطلب الأول

معنى الإيمان بالكتاب، وبيان أهمية الكتب السماوية، وحاجة الناس إليها

أولاً: معنى الكتاب:

1- معنى الكتاب لغة:

يعود أصل الكلمة إلى مادة كتب التي تعني الجمع والضم[1]، فالكتب ضم أديم إلى أديم- أي جلد إلى جلد- بالخياطة، واستعمل عُرفاً في ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها، وتأتي الكتابة بمعنى الإثبات، والتقدير، والإيجاب، والفرض، والعزم[2].

2- معنى الكتاب شرعاً:

هو: "كلام من كلام الله تعالى، فيه هدى ونور، يوحي الله تعالى به إلى رسول من رسله ليبلغه للناس"[3].

ومعنى الإيمان بالكتب: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل على رسله عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ كتباً تتضمن تعاليم ربانية وشرائع إلهية، بهدف هداية البشرية إلى طريق الحق والعدل، وهي كلام الله تعالى حقيقة لا كلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد، والإيمان بما سمى الله تعالى منها في كتابه مثل: صحف إبراهيم، وموسى عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ ، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، مع العلم بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى[4].

ثانياً: بيان أهمية الكتب السماوية، والحاجة إليها:

اقتضت حكمة الله ﷻ وعدله أن يرسل الرسل، وينزل معهم الكتاب؛ ليكون حَكَماً بين الناس عند اختلاف الأهواء وتضارب الآراء، ولو أن الله تعالى أوكل البشر لأهوائهم لفسدت الأرض، يقول الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة (158/5).

(2) انظر: تاج العروس(101/4)، والمفردات في غريب القرآن، ص 423.

(3) العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 537.

(4) انظر: معارج القبول،(2/ 672)، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، عبد العزيز السلمان، ط3، مطابع الجزيرة، الملز، ص 37 .

﴿ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾(البقرة: 213) فهذه الآية تبين أن الناس جميعاً كانوا على ملة واحدة وهي ملة التوحيد، ثم تسلطت عليهم الشياطين فاختلفوا، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، ولكن الله تعالى لم يتركهم بدون إرشاد سماوي، وإنما بعث لهم الأنبياء والمرسلين، وأنزل معهم الكتب لحسم أي خلاف، وفصل أي نزاع، فلولا إنزال الكتب ما استقامت أحوال الناس، ولا صلح معاشهم ومعادهم، فالكتب هي بمثابة النبراس الذي يضيء ظلمة الحيارى التائهين، فيهتدون بنوره إلى السعادة الأبدية، يقول الله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(الأعراف:157)

وتظهر أهمية الكتب السماوية في أن الرسول غالباً ما يحتاج في إثبات رسالته إلى كتاب من الله تقوم به الحجة على تلك الأمة التي أرسل إليها؛ حتى يؤمنوا به، ويصدقوه، ويتبعوه، ويعملوا بما جاءهم به، فالكتاب المنزل بما يحوي من تعاليم وتشريعات ربانية هو برهان على صدق الرسول[1].

كما أن في إنزال الكتب حفظ لعقائد الدين وشرائعه من أن تنالها أيدي ذوي الأهواء والبدع، فينسبون إليها ما ليس منها، أو ينسخون منها ما قد يعطل مصالحهم، ووجود الكتاب الرباني بعد موت الرسول هو استمرار وجود الرسول الذي بلغه إليهم بين ظهرانيهم من حيث بيان أصول الدين، وشرائعه، وسائر مواعظه، وآدابه، وهناك ارتباط قوي بين بقاء الدين وإنزال الكتب، ولولا بقاء الكتاب بعد الرسول لضاع الدين، أو ضاع الكثير منه، وحينئذ يعتذر الناس إلى الله بأنه لم يكن لديهم من الشرائع ما يوضح لهم السبيل إلى عبادة الله تعالى، فقطع الله تعالى عنهم العذر بإنزال الكتب[2].

كذلك فإن وجود الكتاب يضمن لدعوة الرسول ورسالته أن تنتشر في مشارق الأرض ومغاربها، خاصةً إذا كانت الدعوة عامة شاملة، وليست لأقوام معينين، كما هو الحال في دعوة النبي محمد ﷺ الذي أرسل إلى الناس كافة[3].

ولما كانت الكتب الربانية بهذه الأهمية عُلِم مدى حاجة الناس إليها، ولقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان حاجة الناس إلى الرسالة فأحسن، ومما قاله: "الرسالة ضرورية للعباد،

---

(1) انظر: عقيدة المؤمن الجزائري، ص141.

(2) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 539، وعقيدة المؤمن، الجزائري، ص141.

(3) العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 540 .

لا بدَّ لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأيُّ صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها، فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:122)[1].

(1) مجموعة الفتاوى، (19/ 52).

المطلب الثاني

دلالة السورة على وجوب الإيمان بجميع الكتب السماوية

يعتبر الإيمان بالكتب السماوية المنزلة على الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ جزء لا يتجزأ من منظومة الإيمان الكلية، فلا يقبل من الإنسان أي عمل ما لم يأت بأصول الإيمان الستة، ومن ضمنها الإيمان بالكتب السماوية جميعاً دون استثناء.

"والله تعالى افتتح البقرة، ووسَّط البقرة، وختم البقرة بالإيمان بجميع ما جاءت به الأنبياء، فقال في أولها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾(البقرة:4-5)، وقال في وسطها: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝١٣٧﴾(البقرة:136، 137)، وقال في آخرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾(البقرة: 285)"[1]

ففي الموضع الأول: رغَّب الله تعالى عباده بالإيمان بالكتب السماوية من خلال مدح من اتصف بالإيمان بها على أنهم هم أهل الهداية والفلاح في الدنيا والآخرة، " فلا سبيل إلى الهدى والفلاح – اللذين لا صلاح ولا سعادة إلا بهما – إلا بالإيمان التام بكل كتاب أنزله الله"[2].

وأما الموضع الثاني: فيه أن الله تعالى أوجب على عباده أن يؤمنوا بكل كتاب أنزله على أي نبي من أنبيائه، فقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (البقرة: 136)، وليس المقصود في هذه الآية قول اللسان فحسب، بل لابد أن يقترن

---

(1) الإيمان، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط5، 1416هـ-1996م، ص 160.

(2) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن السعدي، اعتنى به: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1419هـ-1998م، ص82-83.

به تصديق القلب[1]، ذلك لأن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، فلا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة القلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا حقق العبد هذه المتطلبات الثلاث كان مؤمناً[2]، ومن سار على هذا النهج في الإيمان بجميع الكتب السماوية فقد اهتدى، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة: 137)، وأما من لم يؤمن بالكتب أصلاً، أو آمن ببعض وكفر ببعض كاليهود والنصارى، فهؤلاء هم أكفر الخلق [3].

وفي الموضع الثالث: أثنى الله تعالى على رسوله والمؤمنين؛ لأنهم امتثلوا أمر الله تعالى في الإيمان بأصول العقيدة التي بعث بها الرسل ومنها الإيمان بالكتب السماوية.

---

(1) انظر: التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية، عبد الرزاق البدر، ط2، 1425هـ، ص 107.

(2) انظر: الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ-1996م، ص 125.

(3) انظر: إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد (352/2).

المطلب الثالث

الكتب السماوية الواردة في سورة البقرة

أولاً: القرآن الكريم:

1- تعريف القرآن لغة وشرعاً:

أ- تعريف القرآن لغة:

لفظة القرآن في اللغة مشتقة من: قرأتُ الشئ قرآناً: إذا جمعتُ أجزاءه، وضممتُ بعضَها إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة جنيناً، أي: لم تضم رحمها على ولد [1]، وسمي القرآن بذلك؛ لأنه يجمع السور والآيات فيضم بعضها إلى بعض[2]، واعتبر بعض العلماء أن القرآن سمي بذلك؛ لأنه جمع فوائد جميع الكتب السماوية السابقة وعلومها في آياته الكريمة[3].

ب- تعريف القرآن شرعاً:

هو: "كلام الله المعجز، المنزل على النبي محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته" [4].

فالقول بأنه كلام الله: يخرج به كلام الملائكة والأنبياء وغيرهم، وقوله: المعجز: يخرج غير المعجز من كلام الله تعالى كالأحاديث القدسية، وسائر الكتب السماوية، فلا تسمى قرآناً؛ لأن الله تعالى لم يتَحَدَّ البشر أن يأتوا بمثلها، وقوله: المنزل: خرج به ما استأثر الله بعلمه، أو تكلم به إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر، وقوله: على النبي محمد ﷺ: خرج به المنزل على غيره من الأنبياء كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم عليه السلام، وقوله: المكتوب في المصاحف: يخرج به غير المكتوب في المصاحف من كلام الله تعالى كمنسوخ التلاوة فلا يسمى قرآناً، وقوله: المنقول بالتواتر: يخرج به كل ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة، والقراءات غير

---

(1) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عطا، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1399هـ-1979م (1/ 65)، لسان العرب، ص 3563 .

(2) انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، علق عليه: محمد فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة (1/1)، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، عني بترتيبه: محمود خاطر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص526.

(3) المفردات في غريب القرآن، ص 402، مباحث في علوم القرآن، ص17 .

(4) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد الزرقاني، تحقيق: فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م،(21/1) .

المتواترة سواء كانت مشهورة أم آحاد، وأما قوله: المتعبد بتلاوته: فيخرج بذلك الأحاديث القدسية، فإنها وإن كانت من كلام الله تعالى، فلا يجوز التعبد بتلاوتها وقراءتها(1).

ولقد عمد علماء العقيدة إلى وضع تعريف للقرآن الكريم يُظهرون فيه معتقدهم في القرآن الكريم، وذلك للرد على أقوال الزنادقة والمبتدعة في صفات الله تعالى، وخصوصاً في صفة الكلام، قال أبو جعفر الطحاوي: "وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر" (2)(3).

2- خصائص القرآن الكريم:

لقد ختم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ النبوة بخير نبي أُرسل ألا وهو محمد ﷺ، وختم الكتب السماوية بخير كتاب أنزل وهو القرآن الكريم، ولقد اجتمع في القرآن الكريم من المزايا والخصائص ما ليس في غيره من الكتب السماوية، ومن هذه الخصائص ما يأتي:

- **إعجازه والتحدي به:** فالقرآن الكريم معجز في ألفاظه ومعانيه وعلومه، فلا يقدر أحد على معارضته، ذلك لأنه من لدن حكيم عليم، ولقد تحدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخلق على الإتيان بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، وثبت عجزهم في ذلك، يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (البقرة: 23-24)، وفي هذه الآية أمر الله تعالى من ارتاب في هذا القرآن الذي نزله على نبيه محمد ﷺ أن يأتي بسورة واحدة من مثله، وهذا يتناول أقصر سورة من سوره كما عليه العلماء (4).

وقد تحدى الله تعالى كل من خوطب بالقرآن أن يستعينوا بمن شاءوا، ومع ذلك فلم يقدروا، وظل هذا التحدي قائماً منذ نزول القرآن وإلى أن تقوم الساعة، فإن كانت العرب الذين هم أهل

---

(1) انظر: النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار الثقافة، قطر- الدوحة، 1405هـ- 1985م، وفضائل القرآن الكريم، عبد السلام الجار الله، دار التدمرية، الرياض، السعودية، ط 1429،1هـ-2008م، ص 35.

(2) شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ص 168.

(3) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1413هـ-1993م، ص 55.

(4) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ،(3/ 583) .

الفصاحة قد وقفوا عاجزين عن معارضته، فمن باب أولى أن يعجز عن معارضته من هو دونهم في الفصاحة، فلما ظهر عجز الجميع عن معارضته، دل ذلك على أنه من عند الله الذي لا يعجزه شيء [1].

قال القرطبي: "قوله: (فإن لم تفعلوا) يعني فيما مضى (ولن تفعلوا) أي تطيقوا ذلك فيما يأتي... وفيه إثارة لهممهم، وتحريك لنفوسهم ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها" [2].

وهذا التحدي هو من خصائص هذا الكتاب العزيز، ولم يقع لكتاب قبله؛ لأن القرآن الكريم يعد معجزة وكتاب شرع في آن واحد، بخلاف الكتب السماوية السابقة التي لم يقع فيها التحدي لأن معجزات الأنبياء ما خلا النبي محمد ﷺ كانت غير رسالاتهم، وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: "**ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة** "[3][4].

- **نزوله مرتين:** يختلف القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية في أنه أنزل مرتين، مرة جملة واحدة، ومرة مفرقاً، أما سائر الكتب السماوية فإنها أنزلت جملة واحدة، والنزول الأول للقرآن الكريم هو نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وتوقيت هذا النزول كان في شهر رمضان، وهو ما أفاده قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ** ﴾ (البقرة:185)، وتحديداً في ليلة القدر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾ (القدر:1)، ثم نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ مفرقاً على حسب الوقائع والأحداث في نيف وعشرين سنة، وهذا هو الإنزال الثاني[5]، ومما يدل على أن نزول القرآن الكريم يغاير نزول سائر الكتب السماوية حيث إنها أنزلت جملة واحدة هو قوله تعالى: ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ** ﴾ (آل عمران: 3)، ذلك أن لفظة التنزيل ترد في شأن ما نزل تدريجياً، وأما لفظة الإنزال فهي خاصة بما يكون فيه النزول جملة واحدة، ولذلك فإن الله تعالى لما أخبر

(1) انظر: الدلالة العقلية في القرآن، عبد الكريم عبيدات، دار النفائس، الأردن، ط1، 1420هـ-2000م، ص 378.

(2) الجامع لأحكام القرآن (1/ 351-352) .

(3) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، رقم الحديث 4981، ص991.

(4) انظر: التحرير والتنوير (14/ 163).

(5) انظر: التبيان في علوم القرآن، ص 37 .

عن نزول القرآن في شهر رمضان عبَّر عنه بلفظ الإنزال دون التنزيل[1]، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾(النساء :136)، فإن المراد بالكتاب الأول القرآن الكريم، فهو الذي نزل مفرقاً حسب الوقائع والأحداث، وأما الكتاب الثاني فهو ما سوى القرآن الكريم من الكتب السماوية[2].

ولعل الحكمة في نزول القرآن مرتين هي: تعظيم شأن القرآن وشأن المنزل عليه ﷺ، قال السيوطي: "ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله سبحانه باين بينه وبينها، فجعل له الأمرين إنزاله جملة، ثم إنزاله مفرقاً، تشريفاً للمنزل عليه"[3].

- **عموم دعوته:** من الخصائص التي يتميز بها القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية أنه أنزل لهداية الخلق كافة، إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، ولم يخص الله به قوماً دون قوم كما قال تعالى:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾(البقرة: 185)[4]، فهو كتاب هداية وإرشاد لجميع الناس، ولكن لا يهتدي به، ولا يعمل به إلا من سبق في علم الله أنه من المؤمنين.

- **اشتماله على الحق المطلق:** فالقرآن الكريم لا يتطرق إليه الباطل بأي حال من الأحوال، فهو حق بكل ما يحوي من تعاليم وأحكام وأخبار كما وصفه الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(البقرة: 2) أي أنه ليس فيه ما يوجب ارتياباً في صحته وأنه من عند الله، فلا اضطراب فيه ولا تناقض، كما أنه لا يشتمل على كلام يجافي الحقيقة أو الفضيلة، وانتفاء ذلك كله يؤدي إلى الجزم بأن هذا القرآن من عند الله؛ لأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً [5]، وعليه فالآية تنفي الريب بكل أفراده عن القرآن الكريم، ومع ذلك فقد حصل لدى الكفار من الريب في القرآن الكريم ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾(البقرة:23)، وقوله: ﴿ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾(التوبة: 45)، ووجه الجمع في ذلك أن القرآن بلغ من

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب(5/ 93).
(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(311/4).
(3) الإتقان في علوم القرآن(276/1).
(4) أصول الإيمان، نخبة من العلماء، ص 144.
(5) انظر: التحرير والتنوير(1/ 223-224) .

وضوح الأدلة وظهور المعجزة ما ينفي تطرق أي ريب إليه، فالقرآن من حيث هو قرآن لا ريب فيه، بغض النظر عن موقف من يُتلى عليهم من الكفار والمنافقين الذين وقعوا في الريب لا لعلة في القرآن، وإنما ارتابوا في القرآن لعمى بصائرهم، كما قال تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾(الرعد:19) فصرح بأن من لا يعلم أنه الحق أن ذلك إنما جاءه من قِبل عَماه، ومعلوم أن عدم رؤية الأعمى للشمس المشرقة لا ينفي ظهورها [1]، وعليه فإن القرآن بحد ذاته ليس محلاً للريب ولا للشك.

- **تعدد أسمائه:** لم يحظ أي كتاب سماوي بما حظي به القرآن الكريم من الشرف والمنزلة، ويدل على ذلك كثرة أسمائه حتى أوصلها بعض العلماء إلى ستة وأربعين اسماً[2]، وزاد آخرون فقالوا: بل هي مائة اسم[3]، ومن الأسماء التي جاءت في سورة البقرة:

– **القرآن:** وهذا الاسم هو أشهر أسمائه، يقول الطاهر ابن عاشور[4] – رحمه الله– : "فاسم القرآن هو الاسم الذي جُعل علماً على الوحي المنزل على محمد ﷺ، ولم يسبق أن أطلق على غيره قبله، وهو أشهر أسمائه، وأكثرها وروداً في آياته، وأشهرها دوراناً على ألسنة السلف"[5].

وهذا الاسم ورد مرة واحدة في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ**﴾ (البقرة :185)

– **الكتاب:** هذا الاسم من الأسماء المشتركة بين التوراة والقرآن، فقد يطلق اسم الكتاب ويراد به القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ (البقرة: 2)، وقد يطلق

---

(1) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة، ط1، 1426هـ، ص8– 9 .

(2) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد الرومي، ط14، 1426هـ –2005 م، ص 27.

(3) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق: محمد النجار، 1433هـ–2012م، (1/ 88).

(4) هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، من أشهر مؤلفاته: كتاب التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، توفي سنة 1393هـ.انظر: الأعلام (6/ 174) .

(5) التحرير والتنوير (1 /71).

على التوراة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ (البقرة: 87)

وفي تسميته بالكتاب إشارة إلى جمعه في السطور، لأن الكتابة جمع للحروف، ورسم للألفاظ؛ كما أن في تسميته بالقرآن توجيه إلى ضرورة حفظه في الصدور، وهذا دليل على أن حق القرآن أن يُحفظ في موضعين في الصدور والسطور جميعاً؛ حتى يبقى بعيداً عن خوض العابثين، وتلاعب المحرفين[1].

- **الفرقان**: وردت هذه التسمية في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة:185)، وسمي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل، والمسلم والكافر، وقد يكون سبب تسميته بذلك لنزوله مفرقاً، وعدم نزوله جملة واحدة كسائر الكتب[2].

ثانياً: صحف إبراهيم:

بينت سورة البقرة أن الله تعالى أنزل كتباً على أنبيائه ورسله عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وأمرنا بالإيمان بها، يقول تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 136)، ولم يأت في هذا الموضع حقيقة ما أنزل على إبراهيم عليه السلام، وإنما جاء ذلك في سورة الأعلى، حيث بين الله تعالى أن ما أنزل إليه هو الصحف، يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾(الأعلى:18-19) [3].

وقد أخبرنا الرسول ﷺ عن وقت نزول صحف إبراهيم عليه السلام فقال فيما رواه عنه واثلة ابن الأسقع[4] رضي الله عنه: " **أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست**

---

(1) انظر: النبأ العظيم، ص 12-13.

(2) انظر: مفاتيح الغيب(2/ 16).

(3) انظر: أضواء البيان (1/ 102) .

(4) هو: واثلة بن الأسقع بن عبد العزى أسلم، والنبيﷺ يتجهز إلى تبوك، وقيل: إنه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، وكان من أصحاب الصفة، توفي سنة 83 هـ. انظر: أسد الغابة(4/ 652-653).

مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان" [1].

ثالثاً: التوراة:

لم ترد لفظة التوراة صريحة في سورة البقرة، وإنما عبر عنها بلفظ (الكتاب)، يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾(البقرة:53)، ويقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ** ﴾(البقرة:87)، والكتاب المراد في هذه الآية والتي سبقتها هو: التوراة كما أجمع على ذلك المفسرون[2].

والتوراة: هي الكتاب السماوي الذي خطه الله تعالى بيده، وأنزله على موسى عليه السلام؛ لهداية بني إسرائيل، وإخراجهم من الظلمات إلى النور[3]، والدليل على أن التوراة مكتوبة بيد الله تعالى حديث احتجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: " **احتجَّ آدمُ وموسى، فقال موسى: يا آدمُ، أنت أبونا، خيَّبتَنا، وأخْرجتَنا من الجنةِ، فقال آدمُ : أنت موسى، اصطفاك اللهُ بكلامِه، وخطَّ لك التوراةَ بيدِهِ** "[4].

ومن الأسماء التي تطلق على التوراة والتي وردت في سورة البقرة اسم الفرقان، يقول تعالى: ﴿ **وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾(البقرة:53)، وسميت بذلك لأنها تفرق بين الحق والباطل، وفي الآية عطف الفرقان على الكتاب مع أنهما شيء واحد، نظراً لتغاير الصفتين، فكل كلمة منهما أضفت معنىً جديداً غير ما للأخرى[5].

وأما عن وقت نزولها، فقد نزلت التوراة في السادس من رمضان لحديث واثلة بن الأسقع السابق ذكره.

والتوراة المنزلة على موسى عليه السلام اشتملت على كثير من الأخبار والأحكام التي اتفقت فيها مع القرآن وصحف إبراهيم عليه السلام، ولكن لم يكتب لها البقاء لأن أيدي اليهود والنصارى طالتها بالتحريف والتغيير.

---

(1) مسند الإمام أحمد، حديث واثلة بن الأسقع، رقم الحديث 16984، ص 1201، قال الألباني: حسن. صحيح الجامع الصغير وزياداته، رقم الحديث 1497، (1 / 313).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن(2/ 106) .

(3) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز خلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط1، 1422هـ–2002م، ص 75.

(4) سنن أبي داود، كتاب السنة باب في القدر، رقم الحديث 4701، ص 512، قال الألباني: صحيح.

(5) انظر: أضواء البيان(1/ 92) .

رابعاً: الإنجيل:

قال تعالى: ﴿**قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ**﴾ (البقرة: 136)

بينت هذه الآية أن عيسى عليه السلام أُوحي إليه بشريعة، وأُنزل إليه كتاب كغيره من رسل الله تعالى، ولكن الله تعالى لم يبين في سورة البقرة اسم الكتاب الذي أنزله على عيسى عليه السلام، وإنما بيَّن ذلك في سور أخرى من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿**وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ**﴾ (المائدة:46)، والأحكام التي جاءت في الإنجيل تتفق كثيراً مع أحكام التوراة، وإن كان الله قد أحلَّ في الإنجيل بعض ما حرم على بني إسرائيل في التوراة، كما قال تعالى: ﴿**وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ**﴾ (آل عمران: 50)[1].

ولعل سائلاً يسأل هل هناك فائدة في اختلاف التعبير في الآية ﴿**قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ**﴾ (البقرة: 136)، ففي شأن موسى وعيسى عليهما السلام يقول تعالى: (وما أوتي)، وفي شأن غيره من الرسل عليهم السلام يقول تعالى: (وما أنزل)؟

والجواب – والله أعلم– هو أن هذا الاختلاف يرجع إلى غرض لفظي، وآخر معنوي، فالغرض اللفظي هو أنه لو كان التعبير بلفظ واحد لحصل تكرار، والبلاغة تكمن في الاختصار في تكرار الألفاظ، هذا هو الغرض اللفظي، أما الغرض المعنوي فهو أن موسى وعيسى عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ دينهما باقٍ إلى زمن الوحي، وأتباعهما يفتخرون بما أوتوا من معجزات، فبين الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أن هذه الأمة تؤمن بما أوتوا من آيات كونية، وآيات شرعية[2].

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(3/ 66).

(2) انظر: تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين (2 /88).

المطلب الرابع

تفاضل آيات القرآن

إن كلام الله تعالى لا يدانيه أي كلام في الفضل، ولا يوازيه أي حديث في المنزلة، ولقد تكلم الله بكلام أوحاه إلى رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وفَضَّل بعض كلامه على بعض، فكان القرآن أفضله، فهو "يعلو ولا يعلى عليه"[1]، ثم إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَضَّل بعض آيات القرآن على بعض، يشهد لذلك ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا [2] نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(البقرة:106)، ومن الآيات التي جاءت في نفس المعنى قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾(الزمر: 55)، وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ (الزمر: 17-18)، وهذه الآيات تدل على أن الآيات المنزلة ليست سواءً، فمنها ما هو حسن، ومنها ما هو أحسن، سواء كان الأحسن هو الناسخ أو كان غيره[3].

والتفاضل الذي نعنيه هو التفاضل في ذوات الآيات، وفي متعلقاتها، وأما حصر التفضيل في متعلقات الآيات بأن يقال هذه الآية أكثر ثواباً من هذه الآية فليس هو المراد فقط، بل إن من أثبت التفضيل في الثواب، ومنعه عن ذات الآيات فقد وقع في التناقض؛ لأنه لا يصح أن يقال: هذا خير من هذا، أو أكثر ثواباً منه مع تساوي الذاتين بصفاتهما، وهذا يؤدي إلى القول بالتفضيل في ذوات الآيات بما تشتمل عليه من ألفاظ ومعان[4].

وقد اختلفت وجهات النظر في مسألة التفاضل بين آيات القرآن ما بين مؤيد لها ومعارض، فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري[5]، وأبو حاتم بن حبان[6]، وأبو عمر

(1) هذا الوصف جاء على لسان الوليد بن المغيرة حين سمع النبي ﷺ يتلو بعض الآيات من القرآن.

(2) أي نتركها فلا نبطل حكمها. انظر: المفردات في غريب القرآن، ص492.

(3) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، أحمد بن تيمية، تحقيق: أبي عمر الندوي، عبد العزيز السيد ندا، ط1، 1417هـ-1996 م، دار القاسم، الرياض، ص 7-9 .

(4) انظر: المصدر السابق، ص 207.

(5) علي بن إسماعيل بن أبي بشر، إليه تنسب الطائفة الأشعرية، بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب، منها: "إمامة الصدّيق، و الرد على المجسمة، و مقالات الإسلاميين، والإبانة عن أصول الديانة، توفي سنة 324هـ. انظر: الأعلام (263/4).

(6) هو أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي كان من فقهاء الدين، وحفاظ الآثار، عالمًا بالطب، والنجوم، وفنون العلم، صنَّف المسند الصحيح، والتاريخ، وكتاب الضعفاء، توفي سنة 354 هـ. انظر: تذكرة الحفاظ، محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ- 1998م، (3 /89-90).

ابن عبدالبر[1]، وعامة المفسرين كالطبري إلى أنه لا فضل لبعض القرآن على بعض؛ لأن الكل كلام الله، وكذلك أسماؤه تعالى لا تفاضل بينها[2].

قال ابن حبان عند شرحه لحديث النبي ﷺ: "**ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل مثل أم القرآن**"[3]: "إن الله لا يعطي لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب ما يعطي لقارئ أم القرآن، إذ الله بفضله فضَّل هذه الأمة على غيرها من الأمم، وأعطاها من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه "[4]، قال: "وقوله: "أعظم سورة": أراد به في الأجر، لا أن بعض القرآن أفضل من بعض"[5].

والقول بالتفضيل هو القول المأثور عن السلف، ولم يعرف قط عن أحد منهم أنه أنكر التفضيل بين الآيات بحجة أن الجميع كلام الله تعالى وإنما حدث الإنكار عند ظهور بدع الجهمية الذين اختلفوا في القرآن[6].

➢ **أدلة المثبتين للتفضيل:**

1- النصوص الواردة في تفضيل بعض السور والآيات على بعض، وتخصيص بعضها بكثرة الثواب عند تلاوتها، وهذه النصوص كثيرة، تقدم ذكر طائفة منها في بداية المطلب، أضف إلى ذلك ما يأتي:

أ- قول الرسول ﷺ: " **أُنْزِلَ أو أُنْزِلَتْ عليَّ آياتٌ لم يُرَ مثلهنَّ قطُّ :المعوذتينِ**"[7] فقد أخبر النبي ﷺ أنه لم ير مثل المعوذتين، وهذا مما يبين فضل بعض القرآن على بعض.

---

(1) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، إمام عصره في الحديث والأثر، وما يتعلق بهما، توفي سنة 463هـ، بمدينة شاطبة من شرق الأندلس. انظر: وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان أحمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت (7 / 66-71).

(2) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي،(1 /438).

(3) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الحجر، رقم الحديث: 3125، ص702، قال الألباني: صحيح .

(4) صحيح ابن حبان (3/ 54)، البرهان للزركشي (438/1) .

(5) صحيح ابن حبان (57/3)، البرهان (1/ 438).

(6) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، (17 /29).

(7) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين، رقم الحديث 814، ص 370.

ب- ومنها أيضاً قول الرسول ﷺ لأبيّ بن كعب: " **أتحبُّ أن أعلّمكَ سورةً لم ينزلْ في التوراةِ، ولا في الإنجيلِ، ولا في الزبورِ، ولا في القرآنِ مثلُها؟** قال: نعم يا رسولَ اللهِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **كيفَ تقرأ في الصلاةِ ؟** قال: فقرأ أمّ القرآنِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "**والذي نفسي بيدهِ ما أنزلتْ في التوراةِ، ولا في الإنجيلِ، ولا في الزبورِ، ولا في الفرقانِ مثلها، وإنها سبعٌ من المثانِي، والقرآنُ العظيمُ الذي أُعْطيتهُ** "[1].

"فأخبر النبي ﷺ أنه ليس في القرآن لها مثل، فبطل قول من يقول بتماثل جميع كلام الله"[2].

ج- ومنها: الحديث الذي رواه أبيّ بن كعب: "قال لي رسول الله ﷺ: **يا أبا المنذِرُ، أتدري أيَّ آيةٍ من كتاب اللهِ معك أعظمُ؟** قال: قلتُ: اللهُ، ورسولُه أعلمُ، قال: **يا أبا المنذِرُ أتدري أيَّ آيةٍ من كتاب اللهِ معك أعظمُ؟** قال: قلتُ: اللهُ لا إله إلا هو الحيُّ القيومُ، قال: فضرب في صدري، وقال: وا**اللهِ لِيَهْنِك العلمُ أبا المنذِرِ** "[3]، ولم يستشكل أُبَي ولا غيره سؤال النبي ﷺ، فدل ذلك على أن مسألة التفاضل بين الآيات معلومة لديهم، وهي من المُسَلَّمات، بل إن النبي ﷺ شهد بالعلم لمن عرف فضل بعضه على بعض، وعرف أفضل الآيات[4].

2- أن الله تعالى فضَّل القرآن الكريم على الكتب السابقة، وجعله مهيمناً عليها، وهذا الأمر لا يختلف عليه اثنان مع أن القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية جميعها كلام الله، فكيف يقال بعد ذلك إن كلام الله كله لا فضل لبعضه على بعض؟[5]

3- من المعلوم بالفطرة والعقل أن الكلام سواء كان خبراً أو إنشاءً يتفاضل باعتبار المتكلم به، وباعتبار المتكلم فيه، فكلام الله تعالى ليس ككلام أحد من البشر، وكلام الله تعالى يتفاوت في الفضل، فالخبر الذي يتضمن الحمد والثناء على الله، ليس كالخبر الذي يذم أعداءه ويذكر

---

(1) سنن الترمذي، كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، رقم الحديث 2875، ص 642-643، قال الألباني: صحيح.

(2) درء تعارض العقل والنقل (7 /272) .

(3) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، رقم الحديث 810، ص 369 .

(4) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، (17/ 102).

(5) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، ص 55 .

أوصافهم، ولهذا كانت سورة الإخلاص أفضل من سورة تَبَّتْ، وإن كان هذا كلاماً عظيماً تكلم الله به [1].

➢ **حجة المانعين للتفضيل :**

1- القول بتفضيل بعض آيات القرآن على بعض يلزم منه القول بخلق القرآن، وعليه أنكروا التفضيل بسبب ما ظنوه من التلازم[2].

2- القول بتفاضل آيات القرآن يقتضي نقص المفضول، والقرآن صفة من صفات الله، وصفات الله كلها فاضلة في غاية التمام لا نقص فيها[3].

3- كلام الله واحد على أصله، فهو كل واحد لا يتبعض، فلا يعقل فيه معنيان فضلاً أن يعقل فيه فاضل ومفضول، وهذا مذهب أبي الحسن الأشعري[4].

وهذه الأدلة معلوم بطلانها، أما الدليل الأول فيُرَد عليه بأنه لا تلازم بين القول بخلق القرآن وإنكار تفضيل آيات القرآن؛ إذ إن سلف الأمة يقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق، ويؤمنون بما جاء في النصوص القرآنية والنبوية من أن كلام الله بعضه أفضل من بعض[5]، والمنكرون للتفضيل أرادوا إنكار بدعة وهي خلق القرآن، فقابلوها ببدعة أخرى وهي نفي ما أثبته القرآن وما أثبتته السنة من نصوص التفضيل.

وأما الدليل الثاني فهو يتضمن حقاً وباطلاً، أما الحق الذي فيه فهو قولهم: صفات الله كلها فاضلة في غاية التمام والكمال ليس فيها نقص، وأما ظنهم أن إثبات التفضيل يلزم منه أن يكون المفضول معيباً ومنقوصاً فهو باطل لما يلي:

1. إن النصوص تدل على أن بعض أسماء الله أفضل من بعض، ولهذا يقال دعا الله باسمه الأعظم، كما أنها تدل على أن بعض صفاته أفضل من بعض، وبعض أفعاله أفضل من بعض، ومن هذه النصوص:

---

(1) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، ص 72، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن قيم الجوزية، مكتبة السوادي، جدة، ط1، 1412هـ-1991م، (2/ 266).

(2) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، ص 68.

(3) انظر: شرح سنن أبي داود، محمود بن أحمد بدر الدين العيني، تحقيق: خالد المصري، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1420هـ-1999م، (5/ 375) .

(4) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية،(32/17)

(5) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، ص 68.

أ- ما رواه أنس بن مالك ﷺ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا ورَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ والْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ والْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»[1][2]

ب-ومنها قوله ﷺ: " **إنَّ اللهَ كتب كتابًا قبل أن يخلُقَ الخلقَ: إنَّ رحمتي سبَقَتْ غضبي، فهو مكتوبٌ عندَه فوقَ العرشِ** "[3] في هذا الحديث "وصف الله تعالى رحمته بأنها تغلب وتسبق غضبه، وهذا يدل على فضل رحمته على غضبه من جهة سبقها وغلبتها"[4].

2- لا يلزم من التفضيل بين كلام الله أو بعض صفاته على بعض إلحاق النقص بالمفضول، فالأنبياء مثلاً جاء النص الواضح الصريح على أنهم يتفاضلون، وأن محمداً ﷺ أفضلهم، وهذا لا يعني انتقاص سائر الأنبياء، فإن كان إثبات المفاضلة بين المخلوقات التي تقبل النقص بطبيعتها لا يلزم منه نقص المفضول فيها، فمن باب أولى أن لا يلزم ذلك في صفات الله؛ لأنها في غاية الكمال فلا يلحقها نقص بأي حال من الأحوال [5].

وأما الدليل الثالث الذي استدل به المانعون للتفضيل، وهو أن معاني كتاب الله هي شيء واحد لا يتعدد، ولا يتبعض، وهي ذات معنى واحد، فهو دليل فاسد، وفساده معلوم بالاضطرار لما يأتي[6]:

1- أن النصوص قد وردت بما يدل على تعدد الكلام وبطلان قول من زعم أنه معنى واحد، منها: الآيات الواردة بأن لله كلمات مثل قوله تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا مُبَدِّلَ**

(1) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب خلق الله مائة رحمة، رقم الحديث 3544، ص 804، قال الألباني: صحيح .

(2) سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم الحديث: 1495، ص 178-179، قال الألباني: صحيح.

(3) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) (البروج 21-22)، رقم الحديث: 7554، ص 1442 .

(4) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية،(17/ 53) .

(5) انظر: مباحث المفاضلة في العقيدة، محمد بن عبد الرحمن الشظيفي، دار ابن عفان، ص 91 .

(6) انظر: فضائل القرآن، عبد السلام الجار الله، دار التدمرية، الرياض، ط1، 1429هـ-2008 م، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد – الرياض،ط1، 1415 هـ – 1995م، (3/ 1290-1294).

﴿لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الأنعام:115)، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ (لقمان: 27) [1]

2- أن القول بأن الآيات القرآنية ذات معنى واحد يلزم منه أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾(الاسراء: 32) هو معنى قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾(البقرة :43)، ومعنى سورة الإخلاص هو معنى سورة المسد، ومعاني الخبر عن صفات الله هي معاني الخبر عن مخلوقات الله [2].

3- أن يكون معنى التوراة والإنجيل هو معنى القرآن؛ لأن الجميع كلام الله، فلو ترجم القرآن –على هذا القول- إلى العبرية صار توراة، ولو ترجم إلى السريانية صار إنجيلاً، وهذا باطل، فلو عربت التوراة والإنجيل لم يكن معناهما معنى القرآن الكريم[3].

4- أن يكون موسى عليه السلام حينما كلمه ربه سمع جميع كلامه، وتلقى جميع المعنى؛ لأنه عندكم واحد لا يتعدد ولا يتبعض، وهذا باطل؛ لأنه يلزم منه إحاطة موسى عليه السلام بجميع علم الله وكلامه، والله تعالى قد قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾(البقرة: 255)، وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(طه: 110)[4].

5- أنه يلزم على قولهم أن تكون الحقائق الموجودة كالملائكة، والجن، والجنة، والنار، شيئاً واحداً، لأن معاني الكلام تتبع الحقائق الخارجة[5].

والحقيقة أن المانعين للتفضيل تأولوا النصوص الدالة على التفضيل فقالوا: إن ما ورد من إطلاق لفظ أعظم وأفضل في بعض الآيات والسور بمعنى عظيم وفاضل، مثل قولنا: الله أكبر فهي بمعنى كبير، أو أن المعنى هو أن ثواب الآية أو السورة أعظم من غيرها[6].

والمانعون للتفضيل لما فسروا قول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾(البقرة:106) تأولوه إلى غير معناه، فمثلاً نجد الطبري يقول في تفسير الآية بعد أن

---

(1) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 1294).
(2) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية(17/ 42) .
(3) انظر: لوامع الأنوار البهية (1/ 166) .
(4) فضائل القرآن، عبد السلام الجار الله، ص 431-432.
(5) موقف ابن تيمية من الأشاعرة(3/ 1291) .
(6) انظر: شرح صحيح البخاري، علي بن بطال، مكتبة الرشد، الرياض،(10/ 246).

ذكر أقوال أهل العلم فيها: "والصواب من القول في معنى ذلك عندنا: ما نبدل من حكم آية فنغيره، أو نترك تبديله فنقره بحاله، نأت بخير منها لكم – من حكم الآية التي نسخنا فغيّرنا حكمها – إما في العاجل لخفته عليكم، من أجل أنه وضع فرض كان عليكم، فأسقط ثقله عنكم، وذلك كالذي كان على المؤمنين من فرض قيام الليل، ثم نسخ ذلك فوضع عنهم، فكان ذلك خيراً لهم في عاجلهم؛ لسقوط عبء ذلك وثقل حمله عنهم، وإما في الآجل لعظم ثوابه، من أجل مشقة حمله، وثقل عبئه على الأبدان"[1].

ثم أعلن الطبري مذهبه الذي يقتضي عدم التفضيل بقوله: "غير جائز أن يكون من القرآن شيء خير من شيء؛ لأن جميعه كلام الله، ولا يجوز في صفات الله تعالى ذكره أن يقال بعضها أفضل من بعض، وبعضها خير من بعض"[2].

ولقد رد أبو الوفاء بن عقيل[3] على من قال إن الخيرية المقصودة في الآية هي بمعنى ما يخص المكلفين من سهولة أو ثواب، فقال:" قولهم الخير يرجع إلى ما يخصنا من سهولة أو ثواب لا يصح؛ لأنه لو أراد ذلك لقال: (لكم)، فلما حذف ذلك دل على ما يقتضيه الإطلاق، وهو كون الناسخ خيراً من جهة نفسه وذاته، ومن جهة الانتفاع به في العاجل والآجل"[4].

وكذلك مما يؤكد أن الخير المقصود في الآية ليس من حيث كون الحكم أخف عملاً أو أشق فيكون أكثر ثواباً: أن جميع ما أمر الله به لا يخلو من أحد وجهين: إما أن يكون أيسر من غيره في الدنيا، وإما أن يكون أشق فيكون ثوابه أكثر، وعليه فلا يحسن أن يقال ما ننسخ من حكم نأت بخير منه أو مثله، فإن المنسوخ يكون خيراً بهذا الاعتبار، فإنهم إن فسروا الخير بكونه أسهل فقد يكون المنسوخ أسهل، وإن فسروه بكونه أعظم أجراً لمشقته فقد يكون المنسوخ كذلك، فإن هذا القول يجعل من المحال وجود فاضل ومفضول، فلا يكون شيء أفضل من شيء؛ لأنه إن كان خيراً من جهة السهولة فذلك خير من جهة كثرة الثواب[5].

---

(1) جامع البيان، الطبري (482/2).

(2) المصدر السابق (482/2).

(3) هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد، أحد الأئمة الأعلام، كان ملماً بالفقه وأصوله، خبيراً بالكلام، مطلعاً على مذاهب المتكلمين، له تصانيف كثيرة منها: الفنون والفصول، والواضح في أصول الفقه، توفي سنة513هـ. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة،(316/1، ومابعدها)،الأعلام(313/4).

(4) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء علي بن عقيل، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ- 1999م، (4/ 261)

(5) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية،(30/17) .

وما قاله ابن جرير ومن نحا نحوه في تفسير الخيرية الواردة في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾(البقرة:106) أنها بمعنى أكثر ثواباً، أو أقل تعباً هو حجة عليهم، ويلزم من قولهم ذاك القول بالتفاضل بين الآيات القرآنية؛ لأن تفضيل الثواب بدون تفضيل نفس القول والعمل لم يرد به نقل، ولا يقتضيه عقل؛ إذ لا يعقل رجحان الثواب مع تماثل القولين أو العملين، وبالتالي فإن ما كان من الكلام أكثر نفعاً للعباد كان في نفسه أفضل[1].

مما سبق يتبين أن مسألة التفاضل بين آيات القرآن هي مسألة خلافية بين العلماء، والراجح فيها هو: إثبات تفاضل ذوات الآيات؛ لأنه يتفق مع دلالة النصوص الشرعية، كما أنه لا يوجد دليل واحد في الكتاب والسنة يمنع التفضيل[2]، والنافون للتفضيل بنوا مذهبهم على وهْمَين كليهما باطل لا أساس لهما من الصحة، أولهما: أن تفضيل بعض آيات القرآن على بعض يفضي إلى انتقاص المفضول، وثانيهما: أن كلام الله واحد على أصله فلا تتعدد فيه المعاني حتى يكون هناك فاضل ومفضول، وما بني على باطل فهو باطل.

---

(1) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، ص 205 .

(2) انظر: المصدر السابق، ص 102.

المطلب الخامس

تصديق القرآن للكتب السماوية

إن جميع الكتب السماوية المنَزَّلة على الأنبياء والرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ تخرج من مشكاة واحدة، وتنبع من مصدر واحد، ولا غرو أن ما كان هذا شأنه فلابد أن تكون فيه نقاط اتفاق.

والمتأمل في سورة البقرة يجد العديد من الآيات التي تشير إلى أن كتب الله تعالى يصدق بعضها بعضاً، فاللاحق من الكتب السماوية يصدق السابق، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾(البقرة:41) ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة:89)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(البقرة:91) ، ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(البقرة:97) فهذه الآيات فيها دلالة على أن القرآن المنزل على محمد ﷺ مصدق لما تقدمه من الكتب السماوية غير المحرفة، ومؤيد لها في كثير من الأصول.

يقول الطبري: "ويعني بقوله: "مصدِّقًا لما معكم" أن القرآن مصدِّق لما مع اليهود من بني إسرائيل من التوراة، فأمرهم بالتصديق بالقرآن، وأخبرهم جل ثناؤه أن في تصديقهم بالقرآن تصديقًا منهم للتوراة، لأن الذي في القرآن من الأمر بالإقرار بنبوة محمد ﷺ، وتصديقه، واتباعه نظيرُ الذي من ذلك في التوراة والإنجيل، ففي تصديقهم بما أنزل على محمد تصديقٌ منهم لما معهم من التوراة، وفي تكذيبهم به تكذيبٌ منهم لما معهم من التوراة "[1].

<u>وكون القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتب تحقق من وجوه:</u>

الوجه الأول: أن القرآن جاء بأمور صدّق فيها الكتب السماوية السابقة بموافقته لها، ومن الأمور التي تتفق فيها الكتب السماوية:

---

(1) جامع البيان، الطبري (1/ 560-561).

1- **وحدة الدين:** إن الدين الذي ابتعث الله به جميع الرسل، وأنزل لأجله الكتب واحد هو دين الإسلام، الذي لا يقبل من أحد سواه، كما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران:19)، والإسلام هنا بمعنى الاستسلام، والانقياد، والخضوع لله ﷻ، وهذا هو الإسلام العام الذي جاء به كل الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[1]، يشهد لذلك قول النبي ﷺ: " **الأنبياء إخوة لعلات[2]، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد**"[3]، فالإسلام شعار عام كان يدور على ألسنة الأنبياء والرسل وأتباعهم منذ أقدم العصور إلى عصر النبي محمد ﷺ، وبناءً عليه فإنه لا يصح إطلاق لفظ أديان سماوية؛ لأن الدين الذي دعا له الرسل جميعاً هو دين واحد[4].

2- **أصول الدين:** لقد اشتركت الكتب السماوية في بيان أصول الدين بياناً شافياً، فما من رسول إلا وقد دعا قومه إلى أصول العقائد، وفي طليعتها الإيمان بالله تعالى، وتجريد التوحيد له ﷻ، فكانت كلمتهم واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ (الأعراف: 59)، " فالتوحيد هو قاعدة كل ديانة جاء بها من عند الله رسول"[5]، ومن أصول العقائد التي دعا إليها الرسل جميعاً: الإيمان بالملائكة، والكتب السماوية، والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، ومما يؤكد ذلك أن نوحاً عليه السلام وهو أول الرسل لما دعاهم إلى عبادة الله تعالى، وأخبرهم بأنه رسول من عند الله تعالى اعترضوا عليه وقالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾(المؤمنون: 24)، وهذا دليل على أنه أعلمهم بوجود الملائكة قبل ذلك؛ لأن العقل الإنساني لا يستقل بمعرفة وجودهم، والإيمان باليوم الآخر واضح في دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾(البقرة: 126)[6]،

---

(1) انظر: الرسالة التدمرية في التوحيد والأسماء والصفات والقضاء والقدر، ابن تيمية، تحقيق: سعيد اللحام، ط1، 1993م، دار الفكر اللبناني، بيروت–لبنان، ص 97.

(2) علات من كان أبوهم واحداً، وأمهاتهم مختلفة. انظر: النهاية في غريب الحديث (3/ 291).

(3) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله : (واذكر في الكتاب مريم إذ إنتبذت من أهلها) (مريم: 16)، رقم الحديث 3443، ص 663 .

(4) انظر: الرسل والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط4، 1410 هـ – 1989 م، ص 243.

(5) الإسلام وعلاقته بالشرائع الأخرى، عثمان ضميرية، دار الفاروق، ط1، 1410هـ–1990م، ص 18.

(6) انظر: الرسل والرسالات، ص 246 .

وأما الإيمان بالرسل فإن كل رسول كان يبشر بمن بعده، ويدعو قومه إلى الإيمان به، ومن ذلك بشارة الأنبياء جميعاً بمحمد ﷺ، ودعوة أقوامهم للإيمان به ، فأصول العقيدة إذًا واحدة في جميع الكتب السماوية، لا يختلف في ذلك كتاب لاحق عن كتاب سابق، وهي من الحقائق الثابتة التي لا تتغير باختلاف الزمان والمكان[1].

3- **كثير من التشريعات:** فالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج من العبادات التي كانت معروفة على زمن الرسل والأنبياء عليهم السلام، وإن كانت كيفياتها تختلف من زمن إلى آخر، فالصلاة، والزكاة مثلاً فرضهما الله تعالى على الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ من لدن آدم عليه السلام وحتى محمد ﷺ يشهد لذلك قول الله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ ﴾(الأنبياء: 73) [2]، "والصوم كذلك فريضة قديمة موجودة في كل دين"[3]، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:183)، والتشابه المعني في الآية هو: التشابه في فرضية الصوم ووجوبه، لا في مقداره وكيفيته[4]، والحج فرضه الله تعالى زمن إبراهيم عليه السلام وخصوصاً بعد أن رفع قواعد البيت الحرام، وأوحى الله تعالى إليه أن: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴾(الحج:27)[5].

4- **أصول الحلال والحرام:** فالقتل، والسرقة، والزنا، وأكل الربا من الخبائث التي اتفقت جميع الشرائع والكتب السماوية على تحريمها، ولا تحل بأي حال من الأحوال، وأما حفظ حقوق الآخرين، وصيانة دمائهم وأعراضهم، والجهاد في سبيل الله، فهو طيب مرغوب في جميع الشرائع "[6].

---

(1) تصديق القرآن للكتب السماوية وهيمنته عليها، إبراهيم سلامة، مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، العدد 46 http://www.al-eman.com/ نقل بتاريخ: 10/ 8/ 2012

(2) انظر: العبادات في الأديان السماوية(اليهودية- المسيحية- الإسلام)، عبد الرزاق الموحي، ط1، 2001م، الأوائل، دمشق، ص 126.

(3) انظر: أحكام الشرائع السماوية السابقة وموقف علماء الأصول منها، ناصح النعمان، بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراة في الشريعة الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، إشراف: حسن الجبوري، ص85.

(4) انظر: التحرير والتنوير (2/ 156).

(5) انظر: الرسل والرسالات، ص 248-249.

(6) انظر: أركان الإيمان، وهبي الألباني، ص 154.

5- **بعض الأخبار:** من الأخبار التي اتفقت عليها الكتب السماوية جميعاً: البشارة بمحمد ﷺ، فالأنبياء جميعاً قد بشروا بقدومه، وأمروا أتباعهم بوجوب الإيمان به واتباعه إن هم أدركوا زمانه، ومن الأخبار التي اتفقت عليها الكتب السماوية- خصوصاً التوراة والإنجيل-: الحديث عن أصحاب محمد ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ..** ﴾(الفتح : 29)[1].

6- **الدعوة إلى مكارم الأخلاق:** تعد الأخلاق إحدى الدعامات التي يقوم عليها دين الرسل جميعاً، وذلك لأن الدين عقيدة، وتشريع، وأخلاق، ولما كان الأمر كذلك وجدنا أن الكتب السماوية اتفقت في الدعوة إلى مكارم الأخلاق والترغيب فيها، وحذرت من سيء الأخلاق، ونفرت منها، فكل كتب الله أمرت بالعدل، والإحسان، والصدق، والصبر، والأمانة، والوفاء، والرحمة، وغيرها من الفضائل التي تحقق السعادة للبشرية في كل زمان ومكان، وكل كتب الله كذلك قد نهت عن الظلم، والخيانة، والكذب، والغدر، والقسوة، وما إلى ذلك من الرذائل التي فيها هلاك البشرية[2]، يشهد لذلك قوله ﷺ: "**إنما بُعِثْتُ لأتُممَ صالحَ الأخلاقِ**"[3]، قال العلماء عند شرحهم لهذا الحديث: "أشار ﷺ إلى أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قبله بعثوا بمكارم الأخلاق، وبقيت بقية فبعث المصطفى ﷺ بما كان معهم وبتمامها، أو أنها تفرقت فيهم فأمر بجمعها" [4].

الوجه الثاني: أن الصفات التي اشتمل عليها القرآن بشرت بها الكتب السماوية السابقة كما قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ** ﴾(الشعراء:196) أي:"وإن ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب المتقدمين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه"[5]، فنزول القرآن طبقاً للوصف الذي أخبرت به الكتب السماوية يعد تصديقاً لها، فمن آمن بالقرآن فقد آمن بما معه من كتاب، ومن كفر به فقد كفر ببعض ما أنزل إليه، ومن كفر ببعض الكتاب فقد كفر بجميعه[6].

---

(1) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 558 .

(2) تصديق القرآن للكتب السماوية http://www.al-eman.com ، نقل بتاريخ:12/ 8/ 2012.

(3) مسند أحمد، رقم الحديث: 8952، (14/ 513)، قال الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: 2349 (1/ 464).

(4) فيض القدير (2/ 572) .

(5) التفسير المنير (19 /222).

(6) تصديق القرآن للكتب السماوية http://www.al-eman.com ، نقل بتاريخ: 12/ 8/ 2012.

الوجه الثالث: أن القرآن أخبر بإنزال الكتب السماوية وأنها من عند الله، وجاء في القرآن الكريم أسماء بعض الكتب مثل: الزبور، صحف إبراهيم وموسى عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، التوراة، الإنجيل، وأمرنا بالإيمان بها إيماناً تفصيلياً، وأما ما لم يذكر اسمه فإنه يجب الإيمان به إيماناً إجمالياً، يقول الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(البقرة: 136)، وهذا جانب آخر من جوانب تصديق القرآن للكتب السماوية [1].

يتبين مما سبق أن القرآن الكريم مصدق لما بين يديه من كتب الله تعالى، وهذا التصديق يأتي على معانٍ منها: أنه جاء موافقاً لهذه الكتب في أصول الدين، والأخلاق، وكثير من الشرائع، كما أنه جاء على حسب الوصف الذي بشرت به الكتب إلى غير ذلك من المعاني، ولكن على المسلم أن يعلم أن تصديق القرآن إنما كان للأصول الأولى للكتب السماوية التي أنزلت على الأنبياء، وأما هذه الكتب التي يتداولها اليهود والنصارى فقد وقع فيها من التحريف ما الله به عليم، وعليه فلا يصح أن تتخذ هذه الآيات ذريعة للقول بحجية كتبهم، وضرورة العمل بأحكامها؛ لأن القرآن الكريم جاء ناسخاً للتوراة والإنجيل، فلا يجوز لأحد أن يتعبد الله بشيء من الكتب السماوية سوى القرآن الكريم، كما أن القرآن الكريم جاء مهيمناً على سائر الكتب؛ حتى يُقِر ما فيها من حق، وينفي ما أقحم فيها من الباطل.

(1) انظر: الرسل والرسالات، ص 255.

المطلب السادس

البشارة بالنبي ﷺ في الكتب السابقة

لقد رفع الله تعالى ذكر محمد ﷺ في الأولين والآخرين، وذلك بأن أخذ الله تعالى العهد من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأممهم أن يؤمنوا به وينصروه، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "ما بعث الله نبيًا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنّن به ولينصرنّه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمّد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه".

ولم يزل الأنبياء يبشرون برسول الله ﷺ، ويصفونه لأممهم، ويأمرون باتباعه ومؤازرته إذا بُعث، وكان أول أمره ما جاء في سورة البقرة من دعاء إبراهيم عليه السلام لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(البقرة:129)، وتوالت البشارات بمجيئه ﷺ على ألسنة الأنبياء جميعاً، حتى كان آخرها بشرى عيسى عليه السلام[1].

ولما كان اليهـود والنصـارى أصحـاب كتـاب سماوي، فإنه لم يكن يخفى عليهم أمر محمد ﷺ، ومـا ورد مـن صفتـه، ودعـوته، والمكان الذي يخرج فيه، وزمانه، بل وصلت معرفتهم به ﷺ لدرجة أنهم يعرفونه كما يعرف الواحد ولده، ومن ذا الذي يحار في ولده؟ يقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:146) يقول السعدي في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى أن أهل الكتاب قد تقرر عندهم وعرفوا أن محمداً رسول الله، وأن ما جاء به حق وصدق، وتيقنوا ذلك كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم، فمعرفتهم بمحمد ﷺ وصلت إلى حد لا يشكُّون فيه، ولا يمترون، ولكن فريقاً منهم – وهم أكثرهم – الذين كفروا به كتموا هذه الشهادة مع تيقنها "[2].

ويقين بعض أهل الكتاب بما جاء في كتبهم من اقتراب عهد النبي الموعود جعلهم يخرجون من ديارهم صوب المدينة المنورة؛ لأنها البلدة التي ينطبق عليها وصف مهاجر النبي ﷺ الذي يجدون صفته في التوراة والإنجيل، وكان اليهود إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب يستفتحون عليهم، ويقولون: "اللهم ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك، وبكتابك الذي تنزل عليه الذي وعدتنا" وكانوا يرجون أن يكون منهم، فلما كان من غيرهم، كفروا به حسداً وبغياً كما أخبر الله تعالى عنهم

---

(1) انظر: بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ، عبد الوهاب طويلة، دار السلام، ط2، 1425هـ- 2005م، ص20- 21.

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 72.

في سورة البقرة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:89)[1].

ويعتبر هذا الدليل من أوضح الأدلة، وأقوى البراهين على نبوة محمد ﷺ، إذ لا يعقل أن يستفتح اليهود إلا بشخص معلوم الوصف لديهم، ومما لا شك فيه أنه لا يجتمع استفتاحهم به، وجحدهم لنبوته، فإن كان استفتاحهم به لأنه نبي، كان جحد نبوته محالاً، وإن كان جحد نبوته حقاً على حد زعمهم، كان استفتاحهم به باطلاً، ولذلك لم يكن لليهود سبيل سوى أن يقولوا إن هذا الموجود ليس بالذي كنا نستفتح به، وهذا باطل؛ لأن الصفات التي توفرت في النبي ﷺ طابقت ما كان عندهم من التوراة، فإنكارهم أن يكون محمد ﷺ هو النبي المبشر به هو مجرد إنكار باللسان، مع أن القلب يعرفه معرفة تامة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:89) [2].

وحسد اليهود هو الذي دفع كثيراً منهم إلى إنكار نبوته ﷺ، فعمدوا إلى تحريف الآيات التي تبشر به، أو كتمانها، أو إسقاط البشارات على نبي غيره، وكذلك فعل النصارى، وعلى الرغم من وقوع التحريف في التوراة والإنجيل، إلا أنه لا تزال البشارات بمحمد ﷺ موجودة، وهي شاهدة على كذبهم وتزويرهم.

وهذه البشارات جحد بها الكثير من اليهود والنصارى، فتأولوها على غير وجهها الحقيقي مع استيقانهم بأنها لا تنطبق إلا على محمد ﷺ، وهي بذاتها كانت سبباً في إيمان بعض علماء اليهود والنصارى قديماً وحديثاً ممن لهم صلة بالكتاب المقدس، ولو أن الجاحدين بنبوة محمد ﷺ أزالوا عن أعينهم غشاوة الحسد، والكبر، والعنصرية، لآمنوا بمثل ما آمن به هؤلاء، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

---

(1) انظر: بحر العلوم (1/ 136).

(2) انظر: بدائع الفوائد، محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد (1562/4-1563)، ومنحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز بن الشيخ، دار ثقيف، السعودية، ط3، 1400هـ-1980م، ص 102-103.

المطلب السابع

موقف اليهود من كتب الله

أخذ الله تعالى العهد على بني إسرائيل أن يؤمنوا بالتوراة وما جاء بعدها من الكتب المنزلة، إلا أنهم كعادتهم نقضوا العهد، ووقفوا من كتب الله تعالى موقف المنكر المستكبر، بيَّن الله ذلك في سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۢ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١ ﴾(البقرة: 40-41)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(البقرة:63)هذا هو العهد الذي أخذه الله تعالى منهم، وأما نقضهم للعهد فهو ظاهر في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾(البقرة:64)، ويظهر موقف بني إسرائيل من كتب الله تعالى من خلال:

أولاً: كفرهم بالتوراة وسائر الكتب السماوية:

لما أمر الله تعالى اليهود أن يؤمنوا بالتوراة ويعملوا بحكمها أعرضوا وتولوا، فرفع الله تعالى عليهم الجبل، وحينئذ استجابوا لأمر الله لفترة قصيرة، ثم ارتدوا على أعقابهم، يقول الله تعالى مبيناً ذلك: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٦٣ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٤﴾ (البقرة:63-64)

والغريب أن اليهود يدَّعُون إيمانهم بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، وهذا ادعاء باطل؛ لأن الواقع يكذبهم، وسورة البقرة سجلت عليهم العديد من المواقف التي تنبئ عن تكذيبهم بالتوراة، ومن هذه المواقف: استحلالهم لما حرمه الله في التوراة من قتل بعضهم بعضاً، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا قبل مبعث النبي ﷺ عُبَّاد أصنام، وكانت بينهم حروب كثيرة، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير حلفاء الخزرج، وبنو قريظة حلفاء الأوس، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه، فيقتل اليهودي أخاه اليهودي من الفريق الآخر، ويخرجه من داره إذا حصل جلاء ونهب، وذلك حرام عليهم في حكم التوراة، ثم يفادون الأسرى بعد انتهاء

الحرب عملاً بحكم التوراة [1]، وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾(البقرة:84-85)

ومن المواقف التي تُكذِّب ادعاء اليهود بأنهم مؤمنون بالتوراة: كفرهم بمحمد ﷺ، وقد استفاضت التوراة بالحديث عنه، والتبشير به، وكانوا يحدثون العرب عن خروج نبي أميّ في آخر الزمان، ويستنصرون به عليهم، وكانوا يرجون أن يكون منهم، فلما كان من غيرهم، أضمروا له الحسد، وكفروا به كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(البقرة:89)، ومعلومٌ أن من كفر ببعض الكتاب فكأنما كفر بالكل.

ومما يشهد على تكذيبهم بالتوراة مخالفتهم لأحكام التوراة، وخاصة ما يتعلق بحد الزاني، ففي التوراة لابد من رجم الزاني والزانية، ولكنهم خالفوا هذا الحكم بحسب أهوائهم، وبدلوا، وغيروا، فجعلوا التحميم[2] والجَلْد بدل الرجم، عن البراء بن عازب قال: " مُرَّ على النبيِّ ﷺ بيهوديٍّ محمَّمًا مجلودًا، فدعاهم ﷺ فقال: " **هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم ؟ قالوا : نعم، فدعا رجلًا من علمائهم، فقال: أنشدك باللهِ الذي أنزلَ التوراةَ على موسى أهكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابِكُم ؟ قال: لا، ولولا أنك نشدْتَنِي بهذا لم أُخْبِرْكَ، نجدُه الرجمَ، ولكنَّهُ كثُرَ في أشرافِنا، فكنا إذا أخذنا الشريفِ تركناهُ، وإذا أخذنا الضعيفَ أقمنا عليهِ الحدَّ، قلنا: تعالوا فلنجتمعْ على شيءٍ نُقيمُه على الشريفِ والوضيعِ، فجعلنا التحميمَ والجلْدَ مكانَ الرجمِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: اللهم إني أولُ من أحيا أمركَ إذا أماتوهُ، فأمرَ بهِ، فرُجِمَ** "[3].

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(476/1).

(2) التحميم هو: تسويد الوجه بالحمم أي بالفحم. معالم السنن، حمد بن محمد البستي، المطبعة العلمية – حلب، ط1، 1351 هـ - 1932 م (327/3) .

(3) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، رقم الحديث 1700، ص855 .

ونظراً لمخالفة اليهود لأحكام التوراة وعدم العمل بها، شبههم الله تعالى بالحمار، يقول الله تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا [1] بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(الجمعة:5) فقاس مَنْ حَمَّله سبحانه كتابه ليؤمن به، ويتدبره، ويعمل به، ثم أعرض عنه بالحمار الذي يحمل على ظهره مجموعة كتب لا يدري ما فيها، فهم في جهالة شديدة؛ لأنهم أعرضوا عن التزام ما فيه سعادتهم وفوزهم في الدنيا والآخرة [2]

وإنكار اليهود هذا ليس قاصراً على التوراة فحسب؛ بل تعدّاه إلى غيره من الكتب السماوية، يقول الله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(البقرة:91)، والحديث في هذه الآية عن اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ حيث إنهم كانوا مأمورين باتباع النبي ﷺ، والإيمان بالكتاب المنزل عليه، ولكنهم كفروا بذلك، وزعموا أنهم مؤمنون بالتوراة، وفي الآية دليل على تهافت موقفهم تجاه كتب الله تعالى، فكيف يدعون أنهم مؤمنون بالتوراة مع كفرهم بالقرآن الكريم؟ إذ إن كتب الله تعالى يصدق بعضها بعضاً، فالكفر ببعضها هو كفر بها جميعاً، فمن زعم بعد ذلك أنه مؤمن بالتوراة كافر بالقرآن الكريم صار بمنزلة من ادعى دعوى بدليل ليس له غيره، ثم يأتي لهذا الدليل فيقدح فيه وينكره، فكأن اليهود بكفرهم بالقرآن الكريم يردون ما يستدل به على صدق كتابهم، وهذا هو الضلال المبين[3]، ثم نقض عليهم تعالى دعواهم الإيمان بما أنزل إليهم بقوله: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: 91)، وذلك لأن التوراة بينت أن الله لا يؤيد بالمعجزة إلا من كان صادقاً، ومن كان هذا حاله فلا يجوز قتله، وبالتالي فإن قيام اليهود بقتل يحيى، وزكريا، وغيرهم من الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ المؤيدين بالمعجزات يعد دليلاً على كفرهم بالتوراة [4].

مما سبق يتبين أن اليهود كفروا بالقرآن كما أنهم كفروا بالتوراة؛ لأن كلاً منهما يصدق الآخر، فتكذيب أحدهما يستدعي تكذيب الآخر، ولهذا أوجب الله تعالى على الناس الإيمان بجميع الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على رسله، دون التفريق بين كتاب وآخر كما فعل اليهود والنصارى الذين ادعوا إيمانهم بالكتب المنزلة عليهم، يقول الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ

---

(1) جمع سِفْر وهو الكتاب الكبير. فتح القدير(300/5).

(2) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، ط1423،1هـ، (2/ 288)

(3) انظر: جدل القرآن الكريم لأهل الكتاب، خليفة العسال، ص 79-80.

(4) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي(200/3).

إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(البقرة: 136).

ثانياً: تحريف اليهود للتوراة:

سبق وأن بيّنا أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم لكونه ناسخاً لما بين يديه من الكتب، وأوكل حفظ الكتب المتقدمة إلى الأحبار والرهبان، ولكنهم لم يحفظوها؛ وإنما بدلوا فيها، وحرّفوا حسب أهوائهم، ولقد بينت سورة البقرة تحريف أهل الكتاب – وخصوصاً اليهود– لكتبهم في أكثر من موضع:

الموضع الأول: يقول الله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(البقرة:75)، هذه الآيات إنما عني فيها اليهود كما جاء في كتب التفسير[1]، والمقصود بكلام الله تعالى في الآية هو التوراة التي أنزلها الله عليهم، فهم يحرفونها بجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً، فمن أتاهم برشوة جعلوا له الحق وإن كان لا يستحقه، يبيعون دينهم بثمن بخس[2].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (البقرة:41–42)، وهذه التعاليم تعد جزءاً من العهد الذي أخذه الله تعالى على بني إسرائيل، ولكنّ بني إسرائيل نقضوا عهدهم مع الله تعالى بأن كفروا بالقرآن، وتاجروا بآيات التوراة، وخلطوا الحق فيها بالباطل، وأضافوا إليها أموراً ما أنزل الله بها من سلطان، وكتموا ما فيها من الحق مثل صفة محمد ﷺ، وصفة أصحابه ﷺ.

الموضع الثالث: يقول الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة:79)

جاء في تفسير هذه الآية: " أن أحبار اليهود خافوا ذهاب مأكلتهم، وزوال رياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة، فاحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به، فعمدوا إلى صفته في التوراة، وكانت

(1) انظر: جامع البيان، الطبري(244/2).
(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(461/1).

صفته فيها: حسن الوجه، حسن الشعر، أكحل العينين، ربعة[1]، فغيروها، وكتبوا مكانها طوال، أزرق، سَبِط الشعر[2]، فإذا سألهم سفلتهم عن صفته، قرءوا ما كتبوا، فيجدونه مخالفاً لصفته فيكذبونه وينكرونه"[3].

وهذا يعني أن اليهود أرادوا أن يطمسوا الآيات التي فيها وصف النبي ﷺ، ويدلسوا على الناس في هذا الشأن، ولكنّ الله تعالى يأبى إلا أن يتم نوره، حيث إنه خرج من بين أظهر اليهود من يقر بنبوة محمد ﷺ تصديقاً لما جاء في التوراة كعبد الله بن سلام رضي الله عنه.

الموضع الرابع: ومن الآيات التي جاءت في سياق الحديث عن تحريف اليهود للتوراة قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (البقرة: 174) يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : " (ما أنزل الله من الكتاب) يعني اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ في كتبهم التي بأيديهم مما تشهد له بالرسالة والنبوة، فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم إياهم، فخشوا –لعنهم الله –إن أظهروا ذلك أن يَتَّبعه الناس، ويتركوهم، فكتموا ذلك إبقاءً على ما كان يحصل لهم من ذلك، وهو نزرٌ يسير، فباعوا أنفسهم بذلك، واعتاضوا عن الهدى، واتباع الحق، وتصديق الرسول، والإيمان بما جاء عن الله بذلك النزر اليسير، فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة " [4].

الموضع الخامس: يقول الله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة: 146)، والمقصود بهذه الآية هم علماء اليهود والنصارى[5]، الذين كتموا صفة النبي ﷺ مع ورودها صراحة في كتبهم، وكتمان الحق نوع من التحريف وقد أخذ الله تعالى عليهم العهد بأن يبينوا كل ما في الكتاب السماوي من أحكام وأخبار، وألا يكتموا شيئاً من ذلك، ولكنهم أبوا وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾(البقرة: 42).

(1) لا بالطويل ولا بالقصير. انظر: العين (2 / 133).
(2) أي لا جعودة فيه. لسان العرب، ص 1922.
(3) معالم التنزيل (1 / 115).
(4) تفسير القرآن العظيم (153/2) .
(5) انظر: جامع البيان، الطبري (3 / 187).

ثالثاً: استبدالهم كتب الله بكتب السحر:

لما كان من السنن الإلهية أن من ترك الحق ابتلي بالاشتغال بضده من الباطل، فمن أعرض عن عبادة الله تعالى عبد ما سواه من هوى أو حجر أو بقر، ومن أمسك عن الإنفاق في سبيل الله تجده بذل ماله في سبيل الشيطان، هذه سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً[1]، وحال اليهود هو أنهم دائماً يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، لذلك فإنهم لما أتاهم كتاب من عند الله نبذوه، واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها الشياطين على عهد سليمان عليه السلام وفي زمان ملكه، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع، ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيبَ يلفقونها، ويلقونها إلى الكهنة، وقد دونوا منها كتباً يقرؤونها ويعلمونها للناس، وفشا ذلك في أيام سليمان عليه السلام حتى ظن الناس أن الجن تعلم الغيب، فأخذ سليمان عليه السلام كتب السحر، ودفنها تحت كرسيه، فلما مات سليمان عليه السلام ،تمثل الشيطان في صورة إنسان، وأتى نفراً من اليهود، فدلَّهم على مكان الكتب فأخذوها واستعملوها، وأشاعت الشياطين بين الناس أن سليمان عليه السلام ليس بنبي وإنما هو ساحر، وأنه حكم مملكته بسحره، وبه سخر الإنس، والجن، والطير، والريح فكانوا طوع أمره ورهن إشارته، وروَّج ذلك طائفة من اليهود، فلما جاء محمد ﷺ، برَّأ الله تعالى سليمان من ذلك، وأنزل في عذر سليمان عليه السلام: (وما كفر سليمان)، تكذيباً للشياطين ولمن قال بقولهم [2].

يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾(البقرة:101-102) اختلف المفسرون في تحديد المراد بكتاب الله الذي نبذوه ولم يعملوا به، فمن قائل: إنه التوراة[3]، ومن قائل: إنه القرآن الكريم[4]، والأرجح قول من قال إنه التوراة؛ لأن النبذ يلزم منه تقدم الأخذ، واليهود ما سبق لهم أن آمنوا بالقرآن، ولكنهم ادعوا إيمانهم بالتوراة[5]، وأياً ما كان المراد فإن اليهود تركوا هدى الله الذي أنزله في كتبه، واتبعوا ضلالات الشياطين المبثوثة في كتب السحر.

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 60.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1/ 515-516).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري (403/2).

(4) انظر: مفاتيح الغيب (213/3) .

(5) انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد طنطاوي، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1420هـ -2000م، ص 453.

وهذه لم تكن نقطة البداية في تعامل اليهود بالسحر، وإنما عرف اشتغالهم بالسحر قبل عهد سليمان عليه السلام، ففي عهد موسى عليه السلام كان السحر متفشياً في بني إسرائيل، حتى جمع فرعون كل السحرة على صعيد واحد؛ لمعارضة ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات، مع يقينه بالبون الشاسع بين المعجزة والسحر، ومما يؤكد على تورط اليهود بأعمال السحر والشعوذة ما حصل من لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، فكان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله[1]، ولا يزال اليهود يتعاملون بالسحر حتى عصرنا الحالي، وأغلب من يمارس السحر هم الحاخامات، ولعل سر ذلك يرجع إلى أن هؤلاء الحاخامات هم أكثر الناس ارتباطاً بالكتب المقدسة[2]، فالتلمود مثلاً هو أحد الكتب المقدسة عند اليهود؛ بل يعتبره البعض أقدس من التوراة، وهو كتاب مشحون بطقوس السحر والشعوذة حتى قال أحد كبار السحرة اليهود: "إن التلمود أول كتاب سحري"[3].

ومن الخرافات المرتبطة بالسحر التي يذكرها التلمود: أن بعض الحاخامات اليهود كانوا قادرين على خلق الإنسان، والبطيخ، ويذكر التلمود في هذا المجال أن أحد حاخاماتهم أحال امرأة إلى حمار ثم ركبها، وذهب إلى السوق، ويزعم الحاخامات أن إبراهيم عليه السلام كان يعرف العرافة، ويزعمون أنه أعطى بعض الهدايا لأبنائه كانت فيها قوة السحر، وكان يعلق حول عنقه عقداً يتوسطه حجر يشفي بواسطته جميع الأمراض، فوصل هذا الحجر لبعض الحاخامات التلموديين، وكان بقوته هو وباقي رفقائه يقيمون الموتى[4]، وهذا افتراء من اليهود على نبي الله إبراهيم عليه السلام حتى يضعوا للسحر أساساً شرعياً فلا يتحرجون من العمل به، إذ إن أبا الأنبياء أباح ذلك حسب زعمهم.

ومن الجدير بالذكر أن لليهود كتاباً مخطوطاً باللغة العبرية يقع في عشر مجلدات اسمه (كبالاه)، وهو أحد الكتب السرية التي يصعب اقتناؤها، واستعماله قاصر على أكابر سحرتهم[5].

---

(1) انظر: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب السحر، رقم الحديث: 5763، ص 1128.

(2) انظر: الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم، عرض ونقد، محمود قدح، ص 377، مجلة الجامعة الإسلامية، عدد 111.

(3) كتاب الديانة اليهودية ص150، يوسف عيد، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م

(4) الكنز المرصود في فضائح التلمود، محمد عبد الله الشرقاوي، ص 174-175، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1422هـ-2001م.

(5) انظر: السحر في الشريعة الاسلامية، محمود قاسم الحمود (هذا الكتاب أجيز كأطروحة ماجستير في كلية الشريعة)، ط1، 2001، ص 70-71.

المطلب الثامن

عاقبة المكذبين للكتب كما بينته سورة البقرة

إن من صور العدل الإلهي أن يثاب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، وأي إساءة يقترفها الإنسان أعظم من تجنبه طريق الحق والهداية وكل ما يؤدي إليه؟ ولما كان المكذبون للكتب الإلهية هم من أبعد الناس عن الهدى، وأزهدهم فيه، توعدهم الله تعالى بالعقاب الدنيوي والأخروي، وقد عرضت سورة البقرة هذا في غير موضع، وباستقراء الآيات نجد أن العقاب يتخذ صوراً مختلفة، منها:

أولاً: الخزي في الحياة الدنيا:

يقول الله تعالى منكراً على اليهود الذين جعلوا التوراة عضين، فآمنوا ببعضها، وكفروا بالباقي: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(البقرة: 85) توعدهم الله تعالى بالخزي في الحياة الدنيا.

واختلف في الخزي المراد في الآية على أقوال: فقال بعضهم: هو القصاص من القاتل، والانتقام للمظلوم من الظالم، وهذا بعيد؛ لأن الله تعالى شرع القصاص في أمة محمد ﷺ، وعليه فالقصاص ليس مظهراً من مظاهر الخزي؛ وإنما هو دليل على عدل الشريعة السماوية، وقال آخرون: بل هو ضرْب الجزية عليهم ما أقاموا على دينهم، ذلة لهم، وصغاراً، وقال آخرون: إن الخزي المراد هو إجلاء يهود بني النضير من ديارهم، وقتل يهود بني قريظة، وسبي ذراريهم، فكان ذلك خزياً في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم(1).

واعتبر الرازي أن الخزي المراد هو الذم العظيم والتحقير البالغ، دون تخصيص عقوبة معينة (2)، وهذا أشمل ما ذكر.

---

(1) انظر: المحرر الوجيز (1 / 175).

(2) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي(187/3).

ثانياً: اللعنة :

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾(البقرة: 159)

وقد ورد في سبب النزول أن بعض الصحابة سألوا نفراً من أحبار اليهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم إياه، وأبوا أن يخبروهم، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية [1]، وإن كانت هذه الآية نزلت في اليهود إلا أن حكمها يشمل كل من كتم شيئاً من أحكام الدين، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[2]، ولعنة الله للعبد بمعنى إبعاده إياه عن رحمته، وحرمانه من الجنة، وأما لعن الناس إياه فهو سَبُّهم له، والدعاء عليه بأن يبعده الله عن رحمته [3].

فكل من كتم علماً استحق لعنة الله والناس أجمعين، غير أن العالم قد يكتم ما لا يتحقق على بثه بين الناس أي مصلحة؛ بل يكون مدعاة إلى الفتنة، فهذا لا حرج في كتمانه، ولا عقوبة عليه، والخوف من الفتنة هو الذي دفع أبا هريرة ﷺ إلى كتمان بعض ما سمعه عن رسول الله ﷺ، فقد جاء عنه أنه قال: " **حَفِظتُ عن رسولِ اللهِ ﷺ وعَاءيْن[4]، فأمَّا أحدُهما فبثثتُه ، وأمَّا الآخرُ فلو بثثته قُطِعَ هذا البلعوم**" [5].

قال القرطبي: "قال علماؤنا: وهذا الذي لم يبثه أبو هريرة وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل إنما هو مما يتعلق بأمر الفتن، والنص على أعيان المرتدين والمنافقين، ونحو هذا مما لا يتعلق بالبينات والهدى " [6].

ثالثاً: الذلة والمسكنة:

يقول تعالى: ﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾(البقرة:61)

---

(1) لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2002م، 28.

(2) انظر: روح المعاني(26/2).

(3) انظر: التحرير والتنوير، (2/ 68).

(4) أي ما يعدل حجم وعائين من العلم لو كتب. انظر: مرعاة المفاتيح . (1 / 357).

(5) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، رقم الحديث 120، ص 48 .

(6) الجامع لأحكام القرآن(186/2).

كتب الله تعالى على اليهود الذلة، فهي محيطة بهم في كل زمان ومكان، لا يخرجون من دائرتها؛ بل ينتقلون فيها من جانب إلى جانب، فهم أذل الفرق، وأشدهم مسكنة، وأكثرهم تصاغراً وإن حاز أحدهم مال قارون فهو متظاهر بالفقر، مرتدٍ أثواب المسكنة؛ حتى يدفع عن نفسه أطماع الناس في ماله [1].

والذلة التي ضربها الله على اليهود تشمل الذلة القدرية التي قدَّرها الله عليهم، والذلة الشرعية، بمعنى أن الله تعالى أمرنا بإذلالهم، بضرب الجزية عليهم [2]، وهذا المصير الذي حلَّ باليهود هو نتيجة ما اقترفوا من الكفر بآيات الله، وهو منسحب على كل من كفر بآيات الله، أو قتل نبياً من الأنبياء.

فإن قال قائل: واقع اليهود بخلاف ما ذكرت الآية فهم في بأس شديد وعز ومنعة، والجواب: لا يمكن أن يكون الواقع مخالفاً لكلام الله ورسوله، وإنما الخطأ في فهم النصوص، ولإزالة اللبس في الفهم لابد من حمل المطلق على المقيد، وحمل الخاص على العام، وهكذا في كل النصوص التي توهم الإشكال، والآية التي أخبر الله تعالى عنها في سورة البقرة مطلقة، قيدتها الآية التي في آل عمران: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران:112)، وعليه يصير المعنى: "ضُربت الذلة والمسكنة إلا بحبلٍ مِن الله، وحبلٍ مِن الناس"، فإذا وصلهم الله تعالى، أو وصلهم الناس، فإنهم تزول عنهم الذلة، ويكون معهم شجاعة وقوة، فاليهود الموجودون الآن في حبلٍ من الناس يمدهم، فإن كثيراً من أمم الكفر تمدهم، وتعينهم، وتقف إلى جانبهم[3] .

رابعاً- الغضب الإلهي :

يقول الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة:61)

بينت الآية أن غضب الله تعالى التصق باليهود نتيجة كفرهم بآيات الله حتى سماهم الله تعالى في أم الكتاب بالمغضوب عليهم ، وآيات الله التي كفر بها اليهود هي: "صفة محمد ﷺ وآية

(1) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، (1/ 25).
(2) الإسلام سؤال وجواب http://islamqa.info/ar/ref/132458 بتاريخ 10/ 12/ 2012.
(3) نفس الموقع بنفس التاريخ .

الرجم التي في التوراة، كما أنهم يكفرون بالإنجيل والقرآن"(1)، فكل من كفر بأي كتاب سماوي أنزل فقد باء بغضب الله تعالى؛ بل إن من كفر ولو بآية منه استحق غضب الله.

وغضب الله تعالى هو من الصفات التي يتصف بها الله تعالى، ولكنه لا يشبه بأي حال من الأحوال غضب المخلوقين لا في الحقيقة، ولا في الأثر(2)، والبعض تأول هذه الصفة على غير معناها فقال: الغضب هو إرادة الإنتقام (3)، وهذا تحريف للكلم عن مواضعه، ويترتب عليه نفي الصفة (4)، "ومما يدل على بطلان تأويل الغضب بالانتقام قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾(الزخرف: 55) فإن معنى { آسفونا }: أغضبونا، فجعل الانتقام غير الغضب، بل أثراً مترتباً عليه "(5).

خامساً- الخسران:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(البقرة:121) والمعنى أن من يكفر بالكتاب الذي أنزله الله تعالى على رسوله فينكر ما فيه من فرائض، فهو من الخاسرين، ولو ملك الدنيا بحذافيرها(6)؛ لأنهم اشتروا الضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة، كما وصفهم الله تعالى في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾(البقرة: 175) فبئس البيع بيعهم، وبئست التجارة تجارتهم.

سادساً: الشقاق والخلاف:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ (البقرة: 176)، ومعنى الآية: إن الذين اختلفوا في الكتاب، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، والذين حرفوه، وصرفوه على أهوائهم، ومراداتهم لفي شقاق وعداء بعيد عن سبيل الحق، فأنَّى

(1) تفسير الخازن(1/ 66).
(2) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: سليمان بن عبد الله، وخالد ابن علي، دار العاصمة (1/ 429).
(3) انظر: تفسير الخازن(49/1).
(4) انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ص 464 .
(5) القول المفيد (430/1).
(6) انظر: جامع البيان، الطبري،(2/ 572).

يهتدون إليه وكل منهم يخالف الآخر بما ابتدعه من مذهب أو رأي فيه، حتى صار الكتاب أعظم أسباب الخلاف، مع أن الله تعالى أنزله لإزالة الاختلاف[1] كما قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾(البقرة: 213).

والناظر إلى حال اليهود والنصارى ومن لفَّ لَفَّهم[2] ممن بدل دين الله، يجدهم مذاهب شتى وفرقاً متعددة، لا يجتمعون على كلمة واحدة حتى في أهم معتقداتهم، ولهذا حذرنا النبي ﷺ من سلوك سبيلهم كما جاء عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " **سمعتُ رجلاً قرأ آيةً سمعتُ النبيَّ ﷺ يقرأُ خلافها، فأخذتُ بيده، فانطلقت به إلى النبي ﷺ فذكرتُ ذلك له، فعرفتُ في وجهِه الكراهية، وقال: " كلاكما محسنٌ، ولا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا** "[3]

سابعاً: النار:

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة:39)

بين الله تعالى في هذه الآية سوء حال الكافرين بالكتب يوم القيامة، وبين أنهم خالدون في النار لا يقضى عليهم فيموتوا، وهذا حالهم إلى الأبد.

ويقول الله تعالى في موضع آخر من السورة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾(البقرة: 175)

وأما هذه الآية فهي تتضمن وعيداً شديداً لمن كتم ما أنزل الله على رسله مقابل أخذ الأجور القليلة بأنهم يأكلون الحرام المؤدي إلى النار، وفسرها البعض بقولهم: إن عقاب من يكتم آيات الله هو أنهم يأكلون النار حقيقة وليس مجازاً، وسمي الثمن قليلاً، لأن كل مال مأخوذ مقابل كتم حق، فهو قليل مقابل فقدان سعادة الدنيا والآخرة.[4]

---

(1) انظر: تفسير المنار،(2/ 107) .

(2) أي من عُدَّ فيهم. لسان العرب، 4054 .

(3) صحيح البخاري، كتاب في الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهود، رقم الحديث2410، ص 452 .

(4) انظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي (1/ 90)، المحرر الوجيز(1 / 241).

ثامناً: عدم تكليم الله لهم يوم القيامة ولا تزكيتهم:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(البقرة: 174)

إن من صور العذاب الذي يلحق المكذبين للكتب والكاتمين لما فيها أن الله تعالى يحرمهم نعمة تكليمه إياهم بما يحبون[1]، وهذا أعظم عليهم من عذاب النار، كما أنه سبحانه لا يطهرهم من الأخلاق الرذيلة وليس لهم أعمال تستحق الثناء، وإنما لم يزكهم؛ لأنهم أتوا بالأسباب التي تتنافى مع التزكية من نبذهم لكتاب الله، والإعراض عنه، وشراء الضلالة بدلاً من الهدى، والعذاب بدلاً من المغفرة [2].

و استحق المكذبون بالكتب السماوية كل هذه الألوان من العذاب والخزي لأسباب منها:

- أن الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان.
- أن إنكار الكتب السماوية فيه تعطيل لصفة الكلام التي وصف الله تعالى بها نفسه.
- كما أن هذا الإنكار طعن في الرسل عليهم السلام، وتنقُّص لهم، والطعن في الرسل عليهم السلام وسبهم من نواقض الإيمان[3].

---

(1) انظر: المحرر الوجيز، (241/1).
(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص82.
(3) انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية، عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، دار الوطن للنشر، ط3، 1427هـ، ص 200-201.

الفصــل الثاني

الإيمان بالملائكة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: المـلائـكـة

المبحث الثاني: الشياطـيـن

المبحث الأول

الـــمــــلائــكـــة

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الملائكة.

المطلب الثاني: دلالة السورة على وجوب الإيمان بالملائكة.

المطلب الثالث: صفات الملائكة.

المطلب الرابع: عصمة الملائكة.

المطلب الخامس: وظائف الملائكة.

المطلب السادس: أسماء الملائكة الواردة في السورة.

المطلب الأول

تعريف الملائكة

أولاً: تعريف الملائكة لغة:

الملائكة جمع مَأْلَك، قُلبت الهمزة إلى موضع اللام فقيل: ملأك، ثم حذفت الهمزة فقيل: ملك، والألوك والمألكة هي بمعنى الرسالة، وإنما سميت بذلك؛ لأنها تؤلك في الفم، ومنه قول العرب: الفرس يألك باللجام ويعلكه، إذا مضغ الحديدة، وقولهم: ألكني إلى فلان، بمعنى أبلغ رسالتي إليه.(1)

ثانياً : تعريف الملائكة اصطلاحاً:

أجسام نورانية لطيفة، أعطيت قدرة التشكل بأشكال مختلفة، لها القدرة على القيام بالأفعال الشاقة، ومسكنها السماوات.(2)

ثالثاً: معنى الإيمان بالملائكة:

أما معنى الإيمان بالملائكة فهو: الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودين، مخلوقين من نور، وأنهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها(3).

وبناءً على هذا فإن الإيمان بالملائكة ينتظم في عدة معانٍ منها:

أ- التصديق بأنها مخلوقات حقيقية موجودة بالفعل.

ب- إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وليسوا بنات الله كما زعم المشركون- تعالى الله عما يقول المشركون علوا كبيراً- كما أنهم ليسوا بآلهة، وليس لهم من خصائص الربوبية شيء، وهم مكلفون كالإنس والجن، والموت عليهم جائز ولقد أنكر الله تعالى على اليهود وغيرهم من مشركي العرب الذين زعموا أن الملائكة بنات الله بقوله: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾(البقرة:116-117) فجميع العوالم العلوية والسفلية ملك له سبحانه، وجميع من فيهن

---

(1) انظر: لسان العرب ص110-111، ومعجم مقاييس اللغة (1 / 132-133).

(2) انظر: فتح الباري(306/6)، شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، ط1، 1409هـ- 1989م (3 /368) .

(3) انظر: فتح الباري(120/2)، الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز السلمان، الطبعة الثامنة، 1399هـ -1979 م، ص25.

عبيد مماليك له سبحانه، يتصرف فيهم كيف يشاء، فكيف ينسب له بعد ذلك الولد، والولد إنما يتولد من شيئين متماثلين، والله تعالى وتنزه ليس له نظير ولا مثيل[1].

ج- الاعتقاد بأن الله تعالى خص بعضهم بأن جعله رسولاً يرسله إلى من يشاء من البشر [2] وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة:97) حيث إن هذه الآية بينت أن جبريل عليه السلام هو سفير الله تعالى إلى رسوله محمدﷺ ، فهو الذي كان ينزل بالقرآن على قلبه ﷺ .

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(35/2-36).

(2) انظر: شعب الإيمان، أحمد البيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1421هـ-2000م، (1 /163).

المطلب الثاني

دلالة السورة على وجوب الإيمان بالملائكة

إن الإيمان بالملائكة أحد أصول الإيمان التي أمر الله تعالى عباده بها ، وقد دلت سورة البقرة على وجوب الإيمان بالملائكة في غير موضع كقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(البقرة: 177)، "فجعل الإيمان بهذه الخصال دليل البرِّ، والبرُّ اسم جامع للخير، وذلك أن هذه الأشياء المذكورة هي أصول الأعمال الصالحة وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه"[1].

قال ابن كثير: "من اتصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله، وهو الإيمان بالله، وهو أنه لا إله إلا هو، وصدَّق بوجود الملائكة الذين هم سَفَرة بين الله، ورسله... "[2].

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾(البقرة:285)

فأخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقية أركان الإيمان مما أنزله على رسوله، وأوجبه عليه وعلى أمته، وأنهم استجابوا لأمر الله تعالى، فآمنوا بكل أصول الإيمان بما فيها الإيمان بالملائكة، والملاحظ في هذه الآية أن الإيمان بالملائكة قُدِّم على ذكر الكتاب والنبيين، وذلك لأن الملائكة هم الذين ينزلون على الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بالكتب بإذن الله تعالى؛ فيلزم من إنكار الملائكة إنكار الوحي والنبوة[3]، ويترتب على إنكار الملائكة أو عداوتهم الدخول في حيز الكفر، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: 98).

(1) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص 105.
(2) تفسير القرآن العظيم (2/ 156).
(3) انظر: تفسير المنار (2/ 113)

المطلب الثالث

صفات الملائكة

الملائكة عالم غيبي لا يدرك بالحواس، وبالتالي فإنه لا سبيل إلى معرفة صفاتهم إلا بورود الخبر اليقيني، ولقد ذكرت النصوص القرآنية والنبوية بعضاً من صفاتهم، منها:

وقبل الحديث عن صفات الملائكة فإنه ينبغي ذكر زمن خلقهم، والحقيقة أن القرآن والسنة لم يحددا زمن خلقهم؛ إلا أن سورة البقرة بينت أنهم خلقوا قبل آدمعليه السلام بدليل قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾(البقرة: 30) ، والمراد بالخليفة آدمعليه السلام ثم أمرهم أن يسجدوا له بعد خلقه يقول تعالى: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ** ﴾ (الحجر: 29)(1).

وقد جاء في السورة بعض الصفات التي يتصف بها الملائكة منها:

– **صفة الكلام:** من الصفات التي يتصف بها الملائكة صفة الكلام فهم يتكلمون، وكلامهم يُسمع، ومن الأدلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾** ﴾ (البقرة :30–32)

وهذه المحاورة جرت بين الله وملائكته حول خلق آدمعليه السلام ، إلى جانب هذا فإن الملائكة يتكلمون فيما بينهم، كما أنهم يكلمون الناس بحسب لغاتهم، فلا يعجزون عن فهم لغة من اللغات، ولا يحتاجون إلى ترجمان(2).

---

(1) انظر: عالم الملائكة الأبرار، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح– الكويت، ط 3، 03 14هـ– 1983 م، ص 10.

(2) انظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، محمد العقيل، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1422هـ– 2002م، ص 75.

- **صفة العقل:** وفي قصة خلق آدم عليه السلام، ومحاورة الله تعالى لملائكته دليل على أن الملائكة لهم عقول إذ إنه لا يوجه الخطاب إلا لمن يعقله، ولا يمكن أن يجيبه إلا من يعقل الكلام [1].

- **صفة العلم:** قال تعالى مخاطباً الملائكة:﴿**إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ** ﴾(البقرة: 30) فأثبت الله ﷻ للملائكة علماً، وأثبت لنفسه علماً لا يعلمونه، فقال تعالى في حق جبريل عليه السلام: ﴿**عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ**﴾(النجم: 5)، وهذا متضمن وصف جبريل عليه السلام بالعلم والتعليم[2]، وعِلْم الملائكة ليس مطلقاً، بل هو بقدر ما علمهم الله تعالى إياه ، والدليل قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ** ﴾(البقرة:32).

---

(1) انظر: تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين(1/ 116).

(2) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص 101-102.

المطلب الرابع

عصمة الملائكة

من المعلوم أن الملائكة هم مخلوقات نورانية منزهة عن الشهوات، وطالما أن الأمر كذلك فإنهم مبرأون عن المعاصي والذنوب، ولقد ضلت طائفة في فهم بعض النصوص القرآنية، ودارت في أذهانهم بعض الشبهات الفاسدة التي تقدح في عصمة الملائكة، ومن هذه الشبهات:

الشبهة الأولى:

- ما ذكره الله تعالى من قولهم في خلق آدم عليه السلام وجعله خليفة : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾(البقرة:30) فهو يتضمن عدة وجوه من المعصية؛ حيث إنهم ذكروا أخطاء من قدر الله له أن يكون خليفة، وهذا نوع من الغيبة، وأيضاً هو نوع من الرجم بالظن، فالله تعالى لم يطلع الملائكة على ما سيفعله بنو آدم، واتباع الظن في مثل ذلك غير جائز، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾(الإسراء:36)، كما أنه ظهر منهم ما يفيد العجب بالنفس في قولهم: (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)، وفيه أيضاً الاعتراض على أمر الله تعالى وهو من أعظم المعاصي[1].
- وأما قولهم: ﴿ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ ﴾(البقرة: 32) فهو بمثابة اعتذار، ولا يقدم على الاعتذار إلا من اقترف ذنباً.
- وقوله تعالى: ﴿ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾(البقرة :31) يدل على أنهم لم يكونوا صادقين فيما ادعوه من كونهم أحق بالخلافة من آدم عليه السلام [2].
- أن قوله : ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ (البقرة: 33) يدل على أن الملائكة كانوا شاكين بعلم الله المحيط بكل شيء [3].

الشبهة الثانية:

- ما ورد في قصة هاروت وماروت، ومفادها أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبتلي الملائكة بعد أن أنكروا صدور الذنب من بني آدم، فطلب منهم أن يختاروا ملكين من أعظم الملائكة؛

(1) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (5/ 64).
(2) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي(2/ 182).
(3) انظر: المصدر السابق (2 /182).

لينزلهما إلى الأرض فيختبرهما، فاختاروا هاروت وماروت، وركب فيهما شهوة بني آدم، وأحلّ لهما كل شيء غير أن لا يشركا بالله شيئاً، ولا يسرقا، ولا يزنيا، ولا يشربا الخمر، ولا يقتلا النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأنزلت إليهما الزهرة في صورة امرأة من أجمل النساء، فراوداها عن نفسها، فأبت أن تطيعهما إلا بعد أن يعبدا الصنم، ويشربا الخمر، ويقتلا النفس، فامتنعا أولاً، ثم غلبت عليهما الشهوة فشربا الخمر حتى ثَمِلا، ومر بهما سائل فقتلاه، فلما وقعا في الخطيئة ندما، وتضرعا إلى الله تعالى، فخيّرهما بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا[1].

الشبهة الثالثة:

- أن إبليس كان من الملائكة بدليل أنه أُمِر بالسجود لآدمعليه السلام يقول تعالى ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾(البقرة: 34) ثم إنه عصى الله تعالى وكفر، ورفض السجود لآدم، وذلك يدل على صدور المعصية من جنس الملائكة[2].

وهذه الشبهات كلها لا تستقيم لما يأتي :

دحض الشبهة الأولى: أما قولهم: إن الملائكة ذكرت معايب بني آدم، وهذا هو عين الغيبة.

- فالجواب: " أن محل الإشكال في خلق بني آدم إقدامهم على الفساد والقتل، ومن أراد إيراد السؤال وجب أن يتعرض لمحل الإشكال لا لغيره، فلهذا السبب ذكروا من بني آدم هاتين الصفتين، وما ذكروا منهم عبادتهم وتوحيدهم؛ لأن ذلك ليس محل الإشكال"[3].

- وأما قولهم إن الملائكة مدحوا أنفسهم بقولهم ﴿ **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾ (البقرة:30)، وذلك يوجب العجب وتزكية النفس، فالجواب: هو أن مدح النفس ليس ممنوعاً مطلقاً إذ إنه ينقسم إلى قسمين: الأول ما أراد به صاحبه الافتخار بغرض الانتقاص من الآخرين فهذا هو الممنوع، وأما قول الملائكة (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فهو بغرض الإخبار بالحق، ولا يسمى تزكية، وهو نظير قوله ﷺ : **(أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ)**، وهذا لا مانع منه ، ولو أن الملائكة قالت ما هو مذموم لأنكره الله عليهم [4].

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (2/ 284)، النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان ط1، 1412هـ–1992م (1 / 166).
(2) انظر: مفاتيح الغيب(2 / 183)، وشرح المقاصد(5 / 63).
(3) مفاتيح الغيب(2/ 184).
(4) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (4/ 65).

- وأما قولهم: إن الملائكة قالت ما قالت رجماً بالظن، فهو باطل؛ لأنه اتهام للغير ليس معه دليل فلا يأمن أن يكون قائله كاذباً فيه، وذلك يتنافي مع عصمة الملائكة[1] ، فإن قيل: كيف علمت الملائكة بإفساد بني آدم ؟ فالجواب: أن الملائكة علمت ذلك بإخبار الله تعالى، أو مشاهدة من اللوح المحفوظ، أو قياساً على من كان قبلهم من الجن الذين أفسدوا في الأرض، أو استنباطاً من كلمة خليفة؛ لأن الخليفة هو بمعنى الحاكم والقاضي، والحاجة إلى الحاكم والقاضي لا يكون إلا عند التنازع والتظالم، فكان الإخبار عن وجود الخليفة إخباراً عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام [2].

- وقولهم: إن سؤال الملائكة فيه اعتراض على فعل الله ﷻ، وهذا من أعظم المعاصي، فهذا ليس صحيحاً؛ لأن سؤالهم هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في خلق هذا الصنف على الرغم من وقوع الفساد منهم، فإن كانت الغاية من خلقهم هو عبادة الله، فالملائكة قائمون بهذا الحق فهلّا وقع الاقتصار عليهم؟ فأجابهم الله تعالى بأنه وإن كان في هذا الصنف الذي سيخلقه الله من المفاسد التي ذكرتها الملائكة؛ إلا أن هناك حكماً خفيت على الملائكة، وهي أن الله تعالى سيبعث فيهم الأنبياء والرسل، وسيكون فيهم صديقون، وشهداء، وصالحون، وهذا ما لم يعلمه الملائكة لذلك قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾(البقرة:30)[3].

دحض الشبهة الثانية:

وأما استدلالهم بقصة هاروت وماروت فهو خطأ؛ لأن الأخبار التي وردت في شأنهما وامتلأت بها كتب التفسير، لم يروَ منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ، وهذه الأخبار من كذب اليهود وافترائهم كما أخبر الله به في أول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم إياه، يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾(البقرة: 102)[4].

(1) انظر: مفاتيح الغيب (2 /185).

(2) انظر: شرح المقاصد (5/ 64)، و مفاتيح الغيب(2 /185).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1 /337).

(4) انظر: الشفا، ص 331، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد، إبراهيم البيجوري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1358هـ-1939م، ص 84.

قال القرافي[1]: "ومن اعتقد في هاروت وماروت أنهما بأرض الهند يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة، فهو كافر، بل هم رسل الله وخاصته، يجب تعظيمهم، وتوقيرهم، تنزيههم عن كل ما يخل بعظيم قدرهم، ومن لم يفعل ذلك وجب إراقة دمه"[2].

دحض الشبهة الثالثة:

وهي أن إبليس من الملائكة، وقد صدرت منه المعصية وهي عدم السجود لآدم، وسيأتي في مطلب مستقل بيان أن إبليس ليس من الملائكة، وهذا هو الراجح في أقوال العلماء.

مما سبق يتبين أن الشبهات التي استند إليها النافون لعصمة الملائكة هي شبهات واهية لا أساس لها، ولا يصح اتخاذها دليلاً في نفي عصمة الملائكة، إذ إن نفي العصمة عن الملائكة يفضي إلى تكذيب العديد من الآيات الواردة في عصمتهم، نحو قوله تعالى:﴿ **لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾(التحريم :6)، وقوله تعالى : ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾(النحل:50).

---

(1) هو أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن البهنسي المصري، من علماء المالكية، كان إماماً بارعاً في الفقه، والأصول، والعلوم العقلية، والتفسير، له مصنفات جليلة منها: أنوار البروق في أنواء الفروق، والذخيرة، والأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة، توفي عام أربعة وثمانين وستمائة، ودفن بالقرافة بمصر. انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي، تحقيق: محمد الأحمدي، ص 236-239، دار التراث للطبع والنشر- القاهرة، والأعلام، للزركلي (1 / 94-95).

(2) الحبائك، ص 253.

المطلب الخامس

وظائف الملائكة

لقد أوعز الله تعالى إلى ملائكته مهمة تدبير أمر العالم العلوي والسفلي، فكل حركة في العالم هي ناشئة عن الملائكة، وذلك كله بأمر الله تعالى، ولهذا ينسب التدبير أحياناً للملائكة نظراً لكونهم هم المباشرين للتدبير، وينسب أحياناً إلى الله تعالى لكونه هو المدبر أمراً ومشيئة [1].

والأعمال التي كلف بها الملائكة كثيرة ومتنوعة، إلا أن الحديث سيقتصر على ما ورد منها في سورة البقرة، ويمكن تصنيف وظائفهم المذكورة في السورة إلى وظائف تتعلق بالله، ووظائف تتعلق بالبشر.

أولاً : الوظائف التي تتعلق بالله:

1- التسبيح:

يقول الله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾(البقرة :30)، ويقول تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾(البقرة :32).

إن التسبيح عبادة من العبادات التي يتقرب بها الملائكة إلى الله سبحانه وتعالى، وتسبيحهم دائم لا يلحقه فتور ولا سأم، يقول تعالى مخبراً عن حال تسبيحهم: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾(الأنبياء :20)[2]، فهم" يُلهمون التسبيح كما يُلهم أحدنا النفس"[3] ولحبهم للتسبيح، ولكثرة تسبيحهم تسمُّوا به كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾(الصافات:166)[4]، والله تعالى ما كذَّبهم في ذلك مما يدل على مواظبتهم على التسبيح، واستحقاقهم لهذا الاسم، وأكثر الآيات تدل على أنهم كانوا يسبحون الله بقولهم: (سبحان الله وبحمده)، وهذا هو أفضل الذكر، وأحبه إلى الله ، فقد سئل

(1) انظر: إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، (2 /833).

(2) انظر: عالم الملائكة الأبرار، ص 31.

(3) الفروق، أحمد بن إدريس القرافي، عالم الكتب بيروت،(2 / 145).

(4) معتقد فرق المسلمين، ص 106.

النبي ﷺ: "**أيُّ الكلامِ أفضلُ؟ قال: " ما اصطفى اللهُ لملائكته أو لعبادِه : سبحان اللهِ وبحمدِه** "[1][2].

2-التقديس: والتقديس هو التطهير والتعظيم، فمعنى قول الملائكة:(ونحن نسبح بحمدك) أي: ننزهك عن كل نقص وصفك به أهل الشرك والبدع، وأما قولهم: (ونقدس لك)، أي: نثبت لك ما يليق بجنابك من الطهارة من الأدناس[3].

3- تبليغ كلام الله ووحيه إلى الأنبياء والرسل:

إن الملائكة تشكل الواسطة بين الله ورسله في تبليغ الرسالة والوحي إلى من اختصهم الله تعالى من البشر، وهذه الوظيفة منوطة بجبريل عليه السلام، والدليل من سورة البقرة هو قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾(البقرة :97)، وأما عن كيفية نزول جبريل عليه السلام بالقرآن فقد بينها النبي ﷺ حينما سأله أحد أصحابه: "يا رسولَ اللهِ، كيف يأتيك الوحيُ" ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ :" **أحيانًا يأتيني مثلَ صلصلةِ[4] الجرسِ، وهو أشدُّه عليَّ فيفصِم[5] عني، وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحيانًا يتمثَّل لي الملَكُ رجلًا، فيكلِّمُني فأعِي ما يقول**" [6]، وقد ينزل على الأنبياء غير جبريل عليه السلام، أو جبريل عليه السلام ومعه غيره من الملائكة، كما حصل مع إبراهيم عليه السلام حين جاءته الملائكة مبشرين، وحصل هذا مع الرسول ﷺ في غير مرة، كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال : "**بينما جبريلُ قاعدٌ عند النبيِّ ﷺ سمع نقيضًا من فوقِه، فرفع رأسَه، فقال: هذا بابٌ من السماءِ فُتِحَ اليومَ، لم يفتح قط إلا اليومَ، فنزل منهُ ملكٌ فقال: هذا ملكٌ نزل إلى الأرضِ، لم ينزل قط إلا**

(1) صحيح مسلم، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب فضل سبحان الله وبحمده، رقم الحديث 2731، ص 1338.
(2) انظر: معتقد فرق المسلمين، ص 107، عالم الملائكة الأبرار، ص 35.
(3) انظر: جامع البيان، الطبري(1/ 475)
(4) الصلصلة هي صوت يسمعه السامع ولا يثبته في أوله ثم يتفهمه ويعيه. انظر: مرقاة المفاتيح(517/10).
(5) الفصم هو أن ينقطع الشيء من غير إبانة، والمقصود في الحديث أن ينجلي الوحي، ويفارقه. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (15 /88).
(6) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث:2، ص21.

اليومَ، فسلَّم، وقال: أبشِرْ بنورينِ أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك، فاتحةُ الكتابِ، وخواتيمُ سورةِ البقرةِ، لن تقرأَ بحرفٍ منهما إلا أُعطيتَه"[1][2].

وليس في هذا الحديث ما يدل على أن سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة قد أنزلهما ملك غير جبريلعليه السلام، وإنما معناه أن هذا الملك الذي أخبر عنه جبريلعليه السلام نزل للتبشير بفضلهما وثواب قارئهما[3].

ثانياً: الوظائف التي تتعلق بالبشر:

1- سجودهم لآدمعليه السلام :

من الأعمال التي كلف بها الملائكة: السجود لآدم عليه السلام يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة :34)، حيث إن الله تعالى أمرهم بالسجود لآدمعليه السلام بمجرد نفخ الروح فيه، فاستجابوا كلهم، وانصاعوا لأمر الله تعالى، ولم يستنكف منهم أحد، وفي ذلك يقول تعالى ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (الحجر:30).

واختلف الناس في سجود الملائكة لآدمعليه السلام، فقال بعضهم: إن السجود كان لآدمعليه السلام على الحقيقة، وقال آخرون: بل السجود لله تعالى، وإنما جُعِل آدمعليه السلام قبلة للسجود كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى[4]، والقول الثاني مردود لوجهين: **الأول:** أن الله تعالى قال: ﴿ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾(البقرة:34) ولم يقل (اسجدوا إلى آدم)، وفرقٌ بين الساجد للشيء والساجد إليه، فإن الساجد للشيء يخضع له بقلبه وبكل جوارحه، وأما الساجد إليه فهو المتجه إليه بوجهه وبدنه[5]، **الثاني:** أن إبليس قال كما حكى الله تعالى عنه:﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ (الإسراء:62) أي: أن آدمعليه السلام نال من الفضل والكرامة بسبب سجود الملائكة له ما لم ينله إبليس،

---

(1) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، رقم الحديث: 806، ص 368 .

(2) انظر: عالم الملائكة الأبرار، ص40.

(3) انظر: مرعاة المفاتيح (7 / 196).

(4) انظر: تفسير الخازن(1/ 48).

(5) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية (4 / 219- 220).

ولو كان آدمعليه السلام مجرد قبلة للسجود لما حصلت له هذه الدرجة، بدليل أن محمداً ﷺ كان يصلي إلى الكعبة، ولم يلزم أن تكون الكعبة أفضل من محمد ﷺ[1].

ولكن ينبغي أن يعلم أن سجود الملائكة لآدمعليه السلام لم يكن سجود عبادة لآدمعليه السلام، وإنما هو سجود تحية وتعظيم، وهو في الوقت ذاته يعتبر عبادة لله تعالى لأنه هو الآمر بالسجود [2].

2- تأييد الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأتباعهم:

إن من سنن الله تعالى أن ينصر أولياءه فلا يخذلهم ولا يضيعهم، والرسل والأنبياء وأتباعهم هم أولياء الله تعالى وأنصاره، ولقد تعهد الله تعالى بنصرهم، وحفظهم، وتأييدهم، فبعث الله تعالى الملائكة، وأوعز إليهم هذه المهمة، يقول الله تعالى في شأن عيسىعليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾(البقرة:87)، وروح القدس هو جبريلعليه السلام، وذلك أنه أُمِر أن يكون مع عيسىعليه السلام، ويسير معه حيث سار، فلم يفارقه حتى صعد به إلى السماء[3]، وبهذا التأييد حفظه الله تعالى من أعدائه اليهود حين تآمروا على قتله، ومن تأييد الملائكة للرسول ﷺ ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:" **قال أبو جهلٍ : هل يُعفِّرُ محمدٌ وجهَه[4] بين أظهُرِكم ؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللاتِ والعُزَّى، لئن رأيتُه يفعلُ ذلك لأطأنَّ على رقبتِه، أو لأُعفِّرنَّ وجهَه في التُّرابِ، قال: فأتى رسولَ اللهِ ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبتِه، قال: فما فَجَئَهم منه إلا وهو ينكُصُ على عَقِبَيه، ويتَّقي بيدَيه، قال: فقيل له: مالَكَ؟ فقال: إنَّ بيني وبينه لَخندقًا من نارٍ وهولًا وأجنحةً، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: لو دنا مني لاختطَفَتْه الملائكةُ عضوًا عضواً**" [5].

وتأييد الملائكة يشمل أتباع الرسل أيضاً، فقد ثبت أن حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ كان يهجو المشركين، ويدافع عن الرسول ﷺ بشِعره، وكان جبريلعليه السلام يؤيده، قال رسول الله ﷺ: "**إنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا يِنَافِحُ أَوْ يفَاخرُ[6] عن رسُولِ اللهِ ﷺ**" [7]، ومن صور التأييد نزول الملائكة عليهم السلام يوم بدر، وأحد، والأحزاب وقتالهم مع الرسول ﷺ وأصحابه يقول

(1) انظر: مفاتيح الغيب(2 /230 – 231).
(2) انظر: معالم التنزيل(1 /81).
(3) تفسير الخازن (1/ 81).
(4) أي يسجد. مرقاة المفاتيح(10/ 531).
(5) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة، والجنة، والنار، باب قوله: (إن الإنسان ليطغى* أن رآه استغنى) (العلق 6-7)، رقم الحديث 2797، ص1377.
(6) أي يدافع عنه، تحفة الأحوذي،(8/ 137).
(7) سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، رقم الحديث 2846، ص 636، قال الألباني: حسن.

تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (الأنفال: 9)

3-حمل التابوت :

لما طلب بنو إسرائيل من نبيهم أن يُعيِّن لهم ملكاً؛ عيَّن لهم طالوت ملكاً عليهم، ولكنهم اعترضوا على توليه الملك بحجة أنه ليس من أصحاب الأموال، فأخبرهم نبيهم أن الله اصطفاه للملك؛ لأنه توفرت فيه مقومات الحكم من العلم، وبسطة الجسم، وأعطاهم نبيهم دليلاً حسياً على صدق طالوت، وهو أن يرجع إليهم التابوت الذي فقدوه زمناً طويلاً تحمله الملائكة، فنزلت الملائكة بالتابوت نهاراً، وبنو إسرائيل ينظرون إليه عياناً، حتى وضعوه بين أظهرهم[1]، يقول الله تعالى حكايةً عن نبيٍّ بني إسرائيل : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة 248).

4-لعن الكفار وأهل المعاصي:

من الأعمال التي كلف بها الملائكة لعْنهم الكفار وأصحاب المعاصي، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾(البقرة :159)، واللاعنون هم ملائكة الله والمؤمنون كما جاء في كتب التفسير [2]، فكما أن الملائكة تصلي على معلم الناس الخير وتستغفر له، كذلك فإنها تلعن كاتمي العلم، وتاركي بيان ما أوجب الله بيانه [3]، ولعنة الملائكة لهم هي بمعنى الدعاء عليهم بالإبعاد من رحمة الله، ومن الأمور التي تستوجب لعنة الملائكة الموت على الكفر لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(البقرة :161)[4]، والسر في التعبير بلعن الملائكة والناس مع أن لعن الله وحده كاف لإذلال الكافر؛ للدلالة على أن كل من بلغه حال هذا الكافر من أهل العالم العلوي والسفلي يراه أهلاً للعن الله وغضبه، فلا يشفع له شافع، ولا يرحمه

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري (5 /323- 324).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (2/ 483).

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص77.

(4) استدل العلماء بهذه الآية على عدم جواز لعن الكافر المعين لأنه لا تعلم حاله عند الموت، والشرط في لعن الكافر الموافاة على الكفر. انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية (6 / 306).

راحم، فهو قد استحق اللعن لدى جميع من يعقل ويعلم، ومن استحق النكال من الرب الرءوف الرّحيم، فماذا يرجو من سواه ؟ [1]

(1) انظر: تفسير المنار (2/ 53).

المطلب السادس

أسماء الملائكة الواردة في السورة

إن أعداد الملائكة تفوق الحصر لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾(المدثر:31) بيد أن الله تعالى لم يذكر من أسمائهم سوى القليل، وقد ذكرت سورة البقرة أسماء أربعة من الملائكة، وهم: جبريل، وميكال، وهاروت، وماروت.

أولا : جبريل عليه السلام:

هو أفضل الملائكة على الإطلاق وأقربهم إلى الله تعالى حتى قال بعض السلف: "منزلته من ربه منزلة الحاجب من الملك"(1) ، ونظراً لمكانته وقرب منزلته من الله تعالى، فإن الله تعالى كلفه بأشرف مهمة، وأسمى رسالة وهي تبليغ وحي الله تعالى إلى أنبيائه ورسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، يقول تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(البقرة :97)، ولا يفهم من هذه الآية أن القرآن هو كلام جبريل عليه السلام ؛ بل إن المعنى أن القرآن كلام الله بألفاظه ومعانيه، وجبريل هو المبلغ عن الله تعالى(2).

وعلى الرغم من مكانة جبريل عليه السلام عند الله وعند رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأتباعهم؛ إلا أن اليهود أعلنوا عداءهم لجبريل عليه السلام، وعلَّلوا ذلك بأن جبريل عليه السلام ينزل بالعذاب، والخسف، والحرب، وكان من الأجدر أن يوالوه لا أن يعادوه؛ لأنه أتى بالهداية والبشارة المتمثلة في الوحي(3)، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(البقرة :97).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في بيان سبب نزول الآية: "**أقبلتْ يهودٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالوا : يا أبا القاسمِ إنا نَسألُك عن خمسةِ أشياءَ فإنْ أَنْبَأْتَنا بهنَّ عرَفْنا أنك نبيٌّ واتَّبعْناكَ، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيلُ على بَنِيهِ إذ قالوا: اللهُ على ما نقولُ وكيلٌ....قالوا : ليس من نبيٍّ إلا له مَلَكٌ يَأتيهِ بالخبرِ فأَخْبِرْنا مَن صاحِبُكَ؟ قال: جِبريلُ عليه السلام ، قالوا : جبريلُ ذاك الذي يَنزلُ بالحربِ**

---

(1) إغاثة اللهفان، ص 830.

(2) الجموع البهية للعقيدة السلفية، محمود بن محمد المنياوي، مكتبة ابن عباس، مصر، ط1، 1426 هـ-2005م، (1/ 190).

(3) انظر: مفاتيح الغيب، (3/ 213).

والقتالِ والعذابِ عَدُوُّنا، لو قلتَ ميكائيلَ الذي ينزلُ بالرحمةِ والنباتِ والقَطْرِ لكانْ، فأنزلَ اللهُ ﷻ: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ} إلى آخرِ الآيةِ[1].

وفي قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ**﴾ (البقرة: 98) بيان أن من عادى جبريل عليه السلام أو أحداً من الملائكة فقد استحق عداوة الله وسخطه؛ لأنهم جنود الله تعالى فلا يأتمرون إلا بأمره، لذلك فإن من عاداهم فقد عادى الله تعالى، وفي الآية دليل على أن من عادى أحد الملائكة فقد نقض إيمانه لقوله تعالى: (فإن الله عدو للكافرين)[2].

والآية السابقة توحي بتفضيل جبريل عليه السلام على ميكائيل وغيره من الملائكة، بدليل تقديمه في الذكر على سائر الأنبياء، ومن الأدلة على تفضيله على ميكائيل هو أن جبريل عليه السلام ينزل بالوحي الذي فيه صلاح الأرواح، وأما ميكائيل فإنه ينزل بالقطر الذي فيه صلاح الأبدان، وصلاح الأرواح مقدم على صلاح الأبدان، وعليه فإن جبريل عليه السلام أفضل من ميكائيل [3].

ثانياً : ميكال:

ويسمى أيضاً ميكائيل، ومعنى ميكائيل عليه السلام أي: عبيد الله؛ لأن ميكا تعني عبيد، وإيل تعني الله [4] ، ولم يرد اسم ميكال في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في سورة البقرة، وذلك في سياق الحديث عن موقف اليهود من ملائكة الله، حيث إنهم عادوا جبريل عليه السلام، وزعموا موالاتهم لميكائيل عليه السلام، فأعلمهم الله تعالى أن من عادى أحد الملائكة فقد عادى الجميع، وذلك في قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ**﴾ (البقرة: 98).

وميكال عليه السلام هو أحد رؤساء الملائكة، لذلك كان الرسول ﷺ يتوسل إلى الله ﷻ بربوبيته لرؤساء الأملاك الثلاث فيقول: " **اللَّهمَّ ربَّ جبريلَ، وميكائيلَ، وإسرافيلَ فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشَّهادةِ ، أنتَ تحْكمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيهِ يختلفونَ، اهدني لما اختلفَ فيهِ منَ الحقِّ بإذنك إنَّكَ تَهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ**"[5] ، وإنما توسل بهؤلاء دون غيرهم؛ لأن "جبريل عليه السلام موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل عليه السلام موكل بالقطر الذي به حياة الأرض، والنبات، والحيوان، وإسرافيل عليه السلام موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد

---

(1) مسند أحمد، رقم الحديث 2483 (4/ 285)، قال الأرنؤوط: حديث حسن.

(2) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب، والسنة، ص 110.

(3) انظر: مفاتيح الغيب، (3/ 214).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(2 /266) .

(5) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به، رقم الحديث 767، ص 103، قال الألباني: حسن .

مماتهم"[1]، وقد نزل ميكائيل‍ عليه السلام مع جبريل عليه السلام للقتال إلى جانب رسول الله ﷺ يوم أحد، عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال: " **لقد رأيتُ يومَ أُحُدٍ عن يمينِ رسولِ اللهِ ﷺ وعن يسارِه رجلَين، عليهما ثيابٌ بِيضٌ، يقاتلانِ عنه كأشدّ القتالِ ، ما رأيتُهما قبلَ ولا بعدَ.**" [2]

ثالثاً: هاروت وماروت:

يقول الله تعالى: ﴿ **وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ** ﴾(البقرة: 102)

اختلف المفسرون في هاروت وماروت، فقال بعض المفسرين: هما قبيلان من الجن.

- وقال آخرون: كانا رجلين صالحين من الملوك، وهذا تبعاً لمن قرأ الملكين بكسر اللام، وقراءة الجمهور بفتح اللام هي الأصح.
- وقال آخرون: كانا ملكين نزلا من السماء، وهاروت وماروت اسمان لهما[3] .

والقول الأخير هو القول الراجح، وهو الذي يتفق مع سياق الآية، فهاروت وماروت هما ملكان كريمان، وبالإضافة إلى اختلاف العلماء في حقيقة هاروت وماروت، فإنهم كذلك اختلفوا في تفسير(ما) التي في قوله تعالى: (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت، وماروت)، فقال البعض: هي بمعنى لم، أي: لم ينزل الله السحر على الملكين، وقال آخرون: بل هي بمعنى الذي، أي: واتبعت اليهود السحر الذي أنزل على الملكين ببابل[4]، وهذا هو الراجح فهاروت وماروت هما ملكان كريمان أرسلهما الله تعالى لتعليم الناس السحر اختباراً لهم، ولقد اعترض ابن حزم[5] أن ينزل

(1) إغاثة اللهفان، ص 829 .

(2) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبيﷺ يوم أحد، رقم الحديث: 2306، ص1153.

(3) انظر: مفاتيح الغيب(3/ 236)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير(1/ 521).

(4) انظر: جامع البيان، الطبري (2/ 405).

(5) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي القرطبي، ولد سنة أربع وثمانين وثلاث مائة، كان يأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث، ولابن حزم مصنفات جليلة منها: كتاب الإيصال إلى فهم كتاب الخصال، وكتاب المحلى، وكتاب الإجماع. انظر: سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ-1984م، (18/ 184-212) .

السحر على الملائكة أساساً، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾(الحجر: 8)، قال ابن حزم بعد هذه الآية: "فقطع الله تعالى أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق، وليس شرب الخمر، ولا الزنا، ولا قتل النفس المحرمة...، ولا السحر من الحق، بل كل ذلك من الباطل، ونحن نشهد أن الملائكة ما نزلت قط بشيء من هذه الفواحش والباطل"[1].

والحق مع ابن حزم في أن الملائكة معصومون عن شرب الخمر، والزنا، وقتل النفس المحرمة، وكل ما نسب إليهم من هذا القبيل فهو أباطيل، وروايات إسرائيلية، لم يروَ منها شيءٌ صحيح ولا سقيم عن النبي ﷺ- كما سبق بيانه – وهذه الروايات الواجب ردها، وعدم الأخذ بشيء منها؛ لأنها تطعن في ملكين من ملائكة الرحمن، وتنسب إليهما الشرك بالله، والزنا، وقتل النفس، وهذا لا يقول به مسلم، وأما أن تنزل بالسحر فهذا ما لا يمكن إنكاره؛ لأن الآيات صرحت بإثباته، والحقيقة أن إنزال السحر على هاروت وماروت له مقاصد وغايات عظيمة منها :

1- كثرة السحرة الذين ادعوا النبوة وتحدوا الناس بالسحر، فكان إنزال هاروت وماروت بغرض تعليم الناس السحر؛ حتى يتمكن الناس من معارضة هؤلاء السحرة فيظهر كذبهم في ادعاء النبوة.

2- أن معرفة حقيقة المعجزة تتوقف على معرفة حقيقة السحر؛ لذلك أنزل الله هذين الملكين حتى لا يلتبس على الناس الفرق بين السحر والمعجزة.

3-أن النهي عن شيء غير معلوم لا يجوز عقلاً ولا شرعاً، والسحر من الأمور المنهي عنها؛ لذلك وجب معرفة ماهيته[2].

نخلص من هذا إلى أن هاروت وماروت ملكان، لم تصدر منهما أي معصية، وهما طائعان لله تعالى في تعليمهما السحر للناس، والله تعالى جعلهما فتنة يبتلي بهما عباده، فهما يصفان السحر للناس؛ ليجتنبوه، ويحذروه، لا ليعملوا به، ووصف السحر وتعليمه بغرض الحذر منه غير ممنوع شرعاً بل قد يكون مطلوباً [3]، وقد حذرت الملائكة من مباشرة السحر والعمل به بقولهم (إنما نحن فتنة فلا تكفر)، وهذا القول يفصح عن حكم السحر، فالسحر الذي يُسخِّر فيه الساحر الشياطين كفر يخرج به صاحبه من الملة.

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل،(4 / 61-62).

(2) انظر: مفاتيح الغيب (3 /238).

(3) انظر: تبسيط العقائد الإسلامية، حسن أيوب، دار التراث العربي، ط7، 1406هـ-1986م، ص 186.

المبحث الثاني
الشيـاطـيــن والجن

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الجن والشيطان والفرق بينهما.

المطلب الثاني:حقيقة إبليس.

المطلب الثالث: أعمال الشياطين كما جاءت في سورة البقرة.

المطلب الرابع: المس الشيطاني(الصرع).

المبحث الثاني
الشياطين والجن

إن عالم الجن والشياطين هو أحد العوالم الغيبية التي لا يستطيع الإنسان إدراكها بالحس، ومع ذلك فهو مطالب بالإيمان بوجود هذا العالم؛ لدلالة الخبر اليقيني عليه، ولقد أثنى الله تعالى على المؤمنين بالغيب فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(البقرة:5)، والإيمان بالمغيبات هو مرتبة عالية من مراتب الإيمان؛ لأنه لا يتوقف على مجرد المحسوسات المشاهدة بالعيان؛ بل يتعدى ذلك إلى ما هو غير مرئي كعالم الملائكة والجن.

وعالم الجن مخالف لعالم الملائكة في أصل الخلقة وفي الصفات، ومن نظر في النصوص المتحدثة عن الملائكة والجن، أيقن بالفرق الكبير بينهما، فالملائكة لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، والجن يأكلون، ويشربون، ومنهم من يعصي ربه، ويخالف أمره، وبهذا يتبين خطأ من خلط بين هذين العالمين فجعلهما عالماً واحداً[1].

---

(1) انظر: عالم الجن والشياطين، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط 4، 1404 هـ – 1984 م، ص15.

المطلب الأول

تعريف الجن والشيطان، والفرق بينهما

أولاً: تعريف الجن لغةً واصطلاحاً:

1- تعريف الجن لغة:

"(جن) الجيم، والنون أصل واحد، وهو الستر والتستر"[1]، وسمي الجنين بذلك لاستتاره في بطن أمه، وجنَّ الليل إذا اشتد ظلامه بحيث يستر كل ما هو موجود، والجَنَن هو القبر، سمي بذلك لأنه يستر المدفون فيه، والجَنَان هو القلب؛ لاستتاره في الصدر، وأما المِجَنُّ فهو الترس؛ لأن صاحبه يستتر به من الطعنات والرميات، والجنون حائل بين النفس والعقل، سمي بذلك لستره العقل وحجبه[2].

بهذا يتبين أن مدار الكلمة في أصل اللغة يرجع إلى معنى الستر، والحجب، والاختفاء، وهذا يتفق مع طبيعة الجن، ولذلك سموا جنّاً لاستتارهم، واختفائهم عن الأبصار.

2- تعريف الجن اصطلاحاً:

الجن هم أجسام عاقلة مريدة مكلفة على نحو ما عليه الإنسان، مخلوقون من نار، مجردون عن المادة، ومستترون عن الحواس، فلا يرون بصورتهم الحقيقية، لهم قدرة على التشكل بغير أشكالهم، مفتقرون إلى الطعام، والشراب، والنكاح، مكلفون بالشريعة، محاسبون عليها[3].

ثانياً: تعريف الشيطان لغةً واصطلاحاً:

1- تعريف الشيطان لغة:

اختلف أهل اللغة في أصل كلمة شيطان على قولين: فقال البعض: إن النون أصلية في الكلمة، فكلمة شيطان مأخوذة من شطن إذا بعد عن الحق، ومنه شطنت الدار شطوناً إذا بعدت، يقال: بئر شطون أي: بعيدة القعر، والشطن هو: الحبل الطويل يستقى به من البئر أو تشد به الدابة [4]، وقال آخرون: إن الياء في كلمة شيطان أصلية، والنون زائدة، فهي مشتقة من شاط

---

(1) معجم مقاييس اللغة (1 / 421).

(2) انظر: لسان العرب (6/ 701-702)، والمفردات في غريب القرآن، ص 98.

(3) انظر: الفصل (112/5)، روح المعاني (29 /82)، والعقائد الإسلامية، سيد سابق، دار الفتح للاعلام العربي، القاهرة – مصر، ط 10، 1420 هـ – 2000 م ، ص115.

(4) انظر: القاموس المحيط، ص 1560-1561.

يشيط إذا بطل أو احترق، ومنه شاط السمن إذا نضج حتى كاد أن يهلك، وشاط فلان بدم فلان: معناه عرَّضه للهلاك[1].

وبهذا يتبين أن أصل الكلمة يدل على البعد عن الحق، والبطلان، والاحتراق، والهلاك، وهذا متحقق في الشيطان، فهو أبعد الخلق عن الحق والهدى، وأقربهم إلى الباطل، ولأجل هذا استحق الهلكة والنار.

2- تعريف الشيطان اصطلاحاً:

وردت كلمة الشيطان بصيغة الإفراد والجمع ثماني مرات في سورة البقرة، وهذه الكلمة تطلق ويراد بها أحد معنيين[2]:

المعنى العام:

أما المعنى العام، فيراد به كل مخلوق عاتٍ متمرد من الإنس والجن والدواب[3]، فالكافرون والمنافقون يسمون شياطين، وهذه تسمية الله لهم يقول تعالى : ﴿ **وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ** ﴾(البقرة: 14)، وأهل التفسير على أن المقصود بالشياطين في الآية هم رؤوس الكفر والشر من اليهود[4].

المعنى الخاص :

إن كلمة شيطان حسب المعنى الخاص يراد بها الكفرة من الجن، وعلى رأسهم إبليس لعنه الله، فهو وكُل من انحدر من ذريته يطلق عليهم شياطين، وهؤلاء لا خير فيهم ألبتة.

ثالثاً: الفرق بين الجن والشياطين :

اختلف العلماء في الفرق بين الجن والشياطين، فذهب البعض إلى أنهما جنسان مختلفان في أصل الخلقة، فالجن هم أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، ولديهم القدرة على فعل الأعاجيب، ومنهم المؤمن والكافر، وأما الشياطين فهم أجسام نارية كافرة تسعى إلى إضلال

(1) انظر: تاج العروس(19/ 430 – 433)، ولسان العرب، ص 2375-2376.

(2) انظر: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبد الكريم عبيدات، دار إشبيليا، الرياض، ط2، 1419هـ-1999م، ص 468.

(3) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص 523.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1/ 290).

الناس عن الصراط المستقيم، واعتبر آخرون أن الجن والشياطين جنس واحد لا اختلاف بينهما في أصل الخلقة، إلا أن لفظة شيطان تطلق على من تمرد من الجن، وهذا هو الراجح [1]

قال الرازي :"واختلفوا في الجن، فقال بعضهم: إنهم جنس غير الشياطين، والأصح أن الشياطين قسم من الجن، فكل من كان منهم مؤمناً فإنه لا يسمى بالشيطان، وكل من كان منهم كافراً يسمى بهذا الاسم" [2].

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: **انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ[3] إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ[4]، وقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ ومَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ[5] إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا واللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وقَالُوا: يَا قَوْمَنَا{إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ولَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ}** "[6].

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث: "وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن، وأنهما لمسمى واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان" [7].

وبهذا يتبين أن الفرق بين الجن والشياطين هو أن الجن أعم من الشيطان، واسم الشيطان لا يطلق إلا على من كفر من الجن.

---

(1) انظر: تبسيط العقائد الإسلامية، ص 189.

(2) مفاتيح الغيب(19 / 184) .

(3) أي متوجهين. انظر فتح الباري (8 /670).

(4) هو اسم سوق من أسواق العرب كانوا يجتمعون فيه فيتفاخرون، ومكانه بين مكة والطائف، وهو إلى الطائف أقرب .انظر: عمدة القاري(6/ 51).

(5) تهامة اسم مكة. عمدة القاري(6/ 53)

(6) صحيح البخاري، كتاب الأذان (الصلاة)، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، رقم الحديث 773، ص 159 .

(7) فتح الباري (8 / 675) .

المطلب الثاني

حقيقة إبليس

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة :34)

تعتبر هذه الآية من مواضع الخلاف بين العلماء، حيث إنهم اختلفوا في حقيقة إبليس هل هو من الملائكة، أم أنه من صنف آخر غير الملائكة؟ وإن كان كذلك فلماذا تناوله الأمر بالسجود؟ والأقوال الواردة في جنس إبليس محصورة في قولين:

القول الأول: أنه من الجن، والاستثناء الوارد في الآية هو استثناء منقطع، وقد ذهب إلى هذا القول جماعة من العلماء سلفاً وخلفاً.

القول الثاني: أنه من الملائكة، والاستثناء الوارد في الآية هو استثناء متصل، وهو قول ابن عباس وأكثر المفسرين[1].

أدلة الفريق الأول:

اعتمد القائلون بأن إبليس من الجن على العديد من الأدلة، وهي:

- **الدليل الأول:** قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ (الكهف: 50) ، وهذه الآية من أظهر الأدلة القرآنية التي تصرح بكون إبليس من الجن، وليس من الملائكة[2].

- **الدليل الثاني:** قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾(الحجر:30) تأكيد بعد تأكيد، ليدل على أنه لا أحد من الملائكة تخلَّف عن تنفيذ أمر الله في السجود، والقول بأن إبليس من الملائكة وأنه ما سجد لآدم يخالف النص القرآني[3].

---

(1) انظر: معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرين، دار طيبة، الرياض، 1409هـ، (81/1)، البحر المحيط (1/ 303)، الجن في القرآن والسنة، ولي زار بن شاه الدين، دار البشائر الإسلامية، ط2، 1420هـ-1999م، ص 68.

(2) انظر: أضواء البيان(4/ 156).

(3) انظر: تفسير التحرير والتنوير (14/ 45).

- **الدليل الثالث:** الملائكة معصومون من ارتكاب الكفر والفسق بدلالة القرآن الكريم، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(التحريم: 6)، وأما إبليس فإنه لم يكن معصوماً؛ بل إنه عصى الله تعالى، فوجب ألا يكون منهم [1].
- **الدليل الرابع:** أن إبليس له نسل وذرية، بخلاف الملائكة فإنهم لا يتناسلون، والدليل على أن إبليس له ذرية قوله تعالى:﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ﴾(الكهف: 50)[2]
- **الدليل الخامس:** تغاير الطبيعتين في أصل الخلقة، فإبليس مخلوق من نار، والملائكة مخلوقون من نور، والدليل قوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ ﴾(الأعراف:12)، والجن مخلوقون من النار لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾(الحجر: 27)، وأما أن الملائكة مخلوقون من نور فالدليل ما روته عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: " **خُلِقَت الملائكةُ من نورٍ، وخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ من نارٍ، وخُلِقَ آدمُ مما وُصِف لكم** "[3] [4].

أدلة الفريق الثاني :

- **الدليل الأول:** قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة :34) هو استثناء متصل، وإخراجه بالاستثناء من لفظ الملائكة يوجب كونه منهم[5].

قال الطبري: "ثم استثنى من جميعهم –أي: الملائكة– إبليس، فدل باستثنائه إياه منهم على أنه منهم، وأنه ممن قد أمر بالسجود معهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾(الأعراف:11-12)، فأخبر ﷻ أنه قد أمر إبليس فيمن أمره من الملائكة بالسجود لآدم، ثم استثناه جل ثناؤه مما أخبر عن الملائكة أنهم فعلوه من السجود لآدم، فأخرجه من الصفة التي وصفهم بها من الطاعة لأمره، ونفى عنه ما أثبته لملائكته من السجود لعبده آدم"[6].

---

(1) انظر: أضواء البيان (4/ 155).
(2) انظر: مفاتيح الغيب(232-233).
(3) صحيح مسلم، كتاب الزهد، والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم الحديث 2996، ص 1465.
(4) انظر: مفاتيح الغيب (2/ 233).
(5) انظر: أضواء البيان (4/ 155) .
(6) جامع البيان، الطبري (1 /502).

والرد على هذا الدليل يتمثل في أن الله استثناه من الملائكة لا لأنه من جنس الملائكة؛ بل لأنه مجموع معهم في الحكم المقصود وهو الأمر بالسجود[1] ، والاستثناء الوارد في الآية هو من قبيل الاستثناء المنقطع، وهو شائع في كلام العرب، وله مثيل في أسلوب القرآن[2] ، منه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الزخرف: 26 –27)، وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾(الواقعة: 25 –26)

- **الدليل الثاني:** الآثار الواردة عن بعض السلف أن إبليس قبل أن يرتكب المعصية كان من الملائكة، واسمه عزازيل، وكان رئيس ملائكة السماء الدنيا، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً، وأكثرهم علماً، فذلك دعاه إلى الكبر، وكان من حي يسمون جناً، وكان يسوس ما بين السماء والأرض، كما ورد ذلك عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وغيره من الصحابة ﷺ [3].

والحقيقة أن كثيراً من الآثار الواردة عن السلف في هذا الشأن هي من الإسرائيليات التي لا تُقبل إلا بعد النظر والتأمل، وفي القرآن غنى عن كل ما سواه من الكتب المتقدمة لأن التحريف طرأ على كثير من أخبارها [4] ، وعليه فإنه لابد أن نأخذ بالنص القرآني الذي لا تبديل فيه ولا تغيير، والذي يصنف إبليس على أنه واحد من الجن، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾(الكهف:50)، وكفى به دليلاً.

والقائلون بأن إبليس من الملائكة تأولوا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾(الكهف:50) بوجهين من التأويل كليهما فاسد:

الوجه الأول: أن لفظة الجن الواردة في الآية مأخوذة من الاجتنان وهو الستر، والملائكة مستورون عن العيون، لذلك فإنه يطلق عليهم لفظ الجن بحسب اللغة، فقوله تعالى: ﴿ كان من الجن﴾ لا ينفي كونه من الملائكة[5].

---

(1) انظر: آكام المرجان في أحكام الجان، محمد بن عبد الله الشبلي، تحقيق: إبراهيم الجمل، مكتبة القرآن – مصر – القاهرة، ص 31.

(2) انظر: الجن، شاه الدين، ص 75 .

(3) انظر: جامع البيان، الطبري(1/ 502–503).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(9/ 155) .

(5) انظر: مفاتيح الغيب (2/ 232).

الوجه الثاني: أن قوله: ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ بمعنى صار، أي أنه ملك في الأصل، ولكن الله عاقبه فمسخه جنياً، كما عاقب اليهود بأن جعل منهم القردة والخنازير[1].

والجواب على الأول أن لفظ الجن بحسب أصل اللغة يتناول الملائكة وكل ما هو مستور، لكن لفظ الجن بحسب العرف اختص بغيرهم، فالجن صنف، والملائكة صنف آخر مخالف، والدليل على وجود الفرق بين الملائكة والجن قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾(سبأ: 40-41) [2]، والجواب على الثاني: أن القول بأن معنى قوله (كان من الجن) أي صار جنياً صرف للفظ عن ظاهره، والواجب إجراء النصوص على ظاهرها إلا إن وجدت قرينة تصرف النص عن ظاهره، ولا قرينة هنا[3].

مما سبق يتبين أن العلماء اختلفوا في حقيقة إبليس على قولين، وهما: أنه من الملائكة، أو أنه من الجن، ولكن الناظر في أدلة القائلين بأنه من الملائكة يجدها ضعيفة متهافتة، لا تصمد أمام أدلة المخالفين؛ لأن عمدتهم في ذلك روايات إسرائيلية، أو تأويل النصوص عن ظاهرها من غير برهان، وهذا يعني أن القول بأن إبليس من الجن وليس من الملائكة هو القول الراجح.

فإن قال قائل: طالما أن إبليس ليس من الملائكة وهو مستثنى منهم، فلم توجه إليه الأمر بالسجود، وعوتب على المخالفة؟ والجواب ما ذكره ابن كثير وهو: "أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم، دخل إبليس في خطابهم؛ لأنه وإن لم يكن من عنصرهم إلا أنه قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم، فلهذا دخل في الخطاب"[4]، وذهب الرازي إلى أن العبرة بالغالب والكثرة، والكثرة هنا كانت للملائكة، ويجوز إجراء حكم الكثير على القليل، إذا كان ذلك القليل ساقط العبرة غير ملتفت إليه[5].

---

(1) انظر: روح المعاني (15/ 293)، ومفاتيح الغيب،الرازي (232/2).

(2) انظر: المصدر السابق(2/ 232)، شعب الإيمان (1/ 169).

(3) انظر: الجن لشاه الدين، ص 79.

(4) تفسير القرآن العظيم، (1/ 357).

(5) انظر: مفاتيح الغيب(233/2) .

المطلب الثالث

عداوة الشيطان لآدم وذريته

منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام اشتعلت نار العداوة في نفس إبليس بسبب التكريم الذي حظي به آدم عليه السلام وحرم منه إبليس، فالله تعالى خلق آدم عليه السلام بيديه، وكفى بذلك شرفاً، ثم نفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، ولما حانت لحظة السجود لآدم عليه السلام بأمر من الله تعالى، تراجع إبليس عن تنفيذ أمر الله تعالى بدافع الحسد والبغض لآدم عليه السلام، فصب الله تعالى عليه اللعنة إلى يوم الدين، واعتبر إبليس أن الشقاء الذي لحقه سببه آدم، فأقسم أن ينتقم من آدم وذريته؛ لذلك طلب النظرة إلى يوم الدين.

وفي سورة البقرة أمر الله تعالى عباده أن يأخذوا حذرهم من إبليس وذريته، وهذا يظهر في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة:36)، وهذه الآية خطاب لآدم عليه السلام ولذريته من بعده بمعاداة الشيطان، والتبرؤ منه نتيجة كفره بالله ومخالفته لأمر الله عز وجل، فعداوتهم للشيطان إيمان بالله، وأما عداوة الشيطان لهم فهي كفر بالله وجحود به [1].

ومن الآيات التي جاءت في سياق الحديث عن عداوة الشيطان قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: 168)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة:208) فهذه الآيات تبين أن الشيطان عدو للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم، وأن عداوته واضحة بيّنة لا تخفى على عاقل، ولا تناقض بين هذه الآيات وبين قوله تعالى :﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ (البقرة:257) فإن الأخيرة تبين أن الشيطان ولي للكافرين في الظاهر، ولكنه في الحقيقة عدو لهم؛ لأنه يسعى إلى هلاكهم بتزيين المعاصي لهم[2]، ولذلك يجب على الإنسان أن يناصب الشيطان العداء، ولا يركن إلى أمانيه، ووعوده الباطلة فهو لا يرجو

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري (1 /537).

(2) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998 م،(1/ 149-150).

الخير لأي شخص مهما كان ولاؤه للشيطان، بل إن الشيطان يمنّي أولياءه، ويزين لهم الباطل، ويدعوهم إلى الكفر بالله ﷻ حتى إذا كان يوم القيامة تبرأ من كل من والاه.

ولعدائية الشيطان فإنه يتحرش ببني آدم، ويوقع بين الجنس الواحد العداوة والبغضاء؛ بل إنه يدفع سراياه وجنوده لأجل التفريق بين الناس، وأقربهم إليه منزلة من استطاع أن يفرق بين المرء وزوجه، يقول النبي ﷺ:" **إنَّ إبليسَ يضَعُ عرشَه على الماءِ، ثمَّ يبعثُ سراياهُ، فأدناهم منهُ منزلةً أعظمُهم فتنةً، يجيءُ أحدُهم فيقولُ: فعلتُ كذا وكذا، فيقولُ: ما صنعتَ شيئًا، قال: ثمَّ يجيءُ أحدُهم فيقولُ: ما ترَكتُه حتَّى فرَّقتُ بينَه وبينَ امرأتِه، قال: فيدنيهِ منهُ، ويقولُ: نِعمَ أنتَ**"[1].

وعلى الرغم من أن عداوة الشيطان واضحة بيّنة لا تحتاج إلى دليل، إلا أن الكثير من الناس انساق هواه إلى ما يرضي الشيطان، بل إن هناك طائفة أضلَّها الله تعالى فعبدت الشيطان من دون الله تعالى.

(1) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وإن مع كل إنسان قريناً، رقم الحديث : 2813، ص 1385.

المطلب الرابع

أعمال الشيطان كما جاءت في سورة البقرة

إن الشيطان يسعى سعياً حثيثاً كي يوقع الناس في شراكه، لذا فهو يتبع أساليب شتى لإغواء الناس، ومن هذه الأساليب والأعمال:

أولاً- الوسوسة:

وهي إلقاء الشيطان الخواطر السيئة في النفس البشرية[1]، فالشيطان يوسوس في صدور بني آدم بطريقة لا ندركها؛ لترغيبهم في المعصية، وصرفهم عن الطاعة، وهو الذي وسوس لأبوينا من قبل بأن يأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها، وظهر لهما بمظهر الناصح الأمين، فقال: ﴿ **هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ** ﴾(طه:120)، وغرَّهما الشيطان بنصحه، فأجاباه، وكانت النتيجة أن أخرجهما مما كانا فيه من النعيم، يقول تعالى: ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ﴾(البقرة:36)، وهذه الوسيلة يتخذها الشيطان في كل وقت وحين لإضلال بني آدم، فهو يزين لهم الباطل؛ ليصدهم عن الحق، وهو كما قال ابن تيمية: "بمنزلة قاطع الطريق، كلما أراد العبد أن يسير إلى الله تعالى أراد قطع الطريق عليه" [2].

ومن الأمور التي يوسوس فيها الشيطان:

1- **العقيدة:** وهذه الوسوسة يعاني منها عوام الناس عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَلْيَنْتَهِ** " [3].

قال الغزالي: "ومن أبوابه حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله تعالى وصفاته، وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين، أو يخيل إليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها، يصير أحدهم بها كافراً أو مبتدعاً، وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره، يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة، وأنه انكشف له ذلك

---

(1) انظر: بدائع الفوائد، (2/ 783).

(2) الفتاوى الكبرى، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد عطا، ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1408 هـ – 1987 م،(2 / 224).

(3) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث 3276، ص 627 .

بذكائه وزيادة عقله، فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقاداً في عقل نفسه، وأثبت الناس عقلاً أشدهم اتهاماً لنفسه "[1].

وهذه الوساوس المتعلقة بالعقيدة إن تمادى الإنسان فيها، وأطلق لنفسه العنان، قد تقوده إلى الكفر والإلحاد، لذلك كانت وصية النبي ﷺ لمن يعرض له هذا العارض أن يستعيذ بالله، ويكف عن التفكير فيه، وليقل آمنت بالله ورسوله.

2- **العبادات:** وهي مجال آخر لوسوسة الشيطان، فالشيطان يتربص بالإنسان في أوقات عبادته؛ كي يفسدها عليه، ومن ذلك أنه يأتيه في الوضوء فيلبس عليه في النية، فتراه يقول: أرفع الحدث، ثم يقول: أستبيح الصلاة، ثم يعيد فيقول: أرفع الحدث، وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع؛ لأن محل النية القلب وليس اللسان، وقد يشككه في طهارة الماء الموضوع للوضوء، وقد يلبس الشيطان عليه بكثرة استعمال الماء، وعدم الاكتفاء باليسير منه، وفي هذا من المفاسد ما فيه [2].

ومن ذلك أنه يأتي الانسان في صلاته ليلبسها عليه، فيقذف في قلبه الشك في النية[3]، والشك في عدد الركعات، وفي القراءة، فيكرر الصلاة مرات ومرات، وهذه الوسوسة من عمل شيطان يقال له خنزب، كما جاء عن عثمان بن أبي العاص[4] أنه قال: "يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله ﷺ: "**ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثاً، قال: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني**" [5].

وقد يستولي الشيطان على بعض الموسوسين فيصل بهم إلى ما يشبه الجنون، بحيث ينكرون حقائق الموجودات والأمور المحسوسات[6] ، "جاء رجل إلى أبي الوفاء بن عقيل، فقال

(1) إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة – بيروت (3 /36).

(2) انظر: تلبيس ابليس، عبد الرحمن بن الجوزي، دار الفكر ، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ- 2001م، ص 122.

(3) انظر: المصدر السابق، ص 124.

(4) هو عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي، يكنى أبا عبد الله، وفد على النبي ﷺ في وفد ثقيف فأسلم، واستعمله رسول الله ﷺ على الطائف، وهو الذي منع أهلها من الردة بعد الرسولﷺ فأطاعوه، ثم سكن الطائف. انظر: أسد الغابة(3/475-476).

(5) صحيح مسلم، كتاب (السلام) الطب، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، رقم الحديث: 2203، ص 1103.

(6) انظر: إغاثة اللهفان(1/ 256)

له: أنغمس في الماء مراراً كثيرة، وأشك هل صح لي الغسل أم لا، فما ترى في ذلك؟ فقال له الشيخ: اذهب، فقد سقطت عنك الصلاة. قال: وكيف؟ قال لأن النبي ﷺ قال: "**رُفِع القلمُ عن ثلاثة: عن المَجْنونِ المَغلوبِ عَلَى عَقْلِهِ حتى يَفيقَ، وعنِ النَّائمِ حتى يسْتيقظَ، وعَنِ الصَّبيِّ حتى يحْتلِمَ**"[1] ، ومن ينغمس في الماء مراراً، ويشك هل أصابه الماء أم لا، فهو مجنون" [2].

ومن أراد التخلص من هذا البلاء فعليه بالاستعاذة بالله، فإنها خير ما يرد كيد الشيطان، كذلك عليه أن يستحضر عداوة الشيطان له ولأبويه من قبل، وأن يوقن تمام اليقين أن الشيطان لا يرجو له الخير، هذا وسيأتي مطلب مستقل لبيان كيفية صرف كيد الشيطان والتخلص من أباطيله.

ثانياً: تعليم الناس السحر:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ (البقرة:102)

إن السحر من أعظم الذنوب التي تضل بها الشياطين بني آدم، وهو من السبع الموبقات التي أمرنا الرسول ﷺ باجتنابها فقال: "**اجتَنبوا السَّبعَ الموبقاتِ، قالوا: يا رسولَ اللهِ: وما هنَّ ؟ قال: الشِّركُ باللهِ، والسِّحرُ..**"[3].

والسحر في اللغة هو: " صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره"[4].

وأما في الاصطلاح فهو: عبارة عن رقى شركية وعقد، يتوصل من خلالها الساحر إلى التأثير في بدن المسحور بالقتل، أو بالمرض، أو بالإخلال بعقله، أو يفرق بين الزوجين، أو يحبب بين اثنين، أو يصرف الزوج عن زوجته فلا يستطيع الوصول إليها[5].

ومن الأعمال التي يقوم بها الساحر حتى يسخر الشيطان لخدمته:

1- عبادة الشيطان والتقرب إليه بالشرك والذنوب والمعاصي، فيكون ذلك كالرشوة لهم، فيقضون لهم حوائجهم [6].

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب، رقم الحديث: 4401، ص481، قال الألباني: صحيح .
(2) تلبيس إبليس، ص 134.
(3) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً)، رقم الحديث: 2766، ص 533-534.
(4) تاج العروس (11/ 516)، ولسان العرب، ص 1952.
(5) انظر: المغني، ابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، 1388هـ - 1968م (9/ 28) .
(6) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية (19 / 21).

2- امتهان كلام الله ﷻ، وذلك يتم بعدة طرق منها:

أ- أن يكتبه بالنجاسة بدم حيض أو غيره [1].

ب- تمزيق المصحف.

ج- أن يكتب آيات القرآن بشكل مقلوب[2].

د- ارتداء المصحف في قدميه، ودخول الخلاء به.

3- أن يترك الطهارة مدة طويلة حتى تخرج من جسده رائحة عفنة، ويأوي إلى الحمامات، والمقابر، والمزابل، وكل ما هو نجس [3].

4- أن يعتزل الناس ولا يخالطهم إلا بقصد إيقاع الضرر بهم وأذيتهم.

5- أن يكون مؤمناً بقدرة الشيطان على النفع والضر.

6 -أن يعلن براءته من جميع الأديان وازدراءه بها في كل مناسبة [4].

وقوة تأثير السحر يعتمد على درجة كفر الساحر، فكلما ازداد الساحر كفراً، وخبثاً كانت الشياطين له أطوع، وفي تنفيذ أوامره أسرع، وكان سحره أقوى وأنفذ [5].

ثالثاً: الأمر بالسوء والفحشاء:

نهى الله تعالى عن اتباع خطوات الشيطان، ثم ذكر السبب الذي يدعو إلى مخالفته، وهو أنه عدو ظاهر العداوة، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ** ﴾ (البقرة: 168)، ثم شرع الله تعالى في تفصيل ما يدعو إليه الشيطان، وما يأمر به، فهو لا يأمر الإنسان إلا بما يسوؤه سواء في عاجله وآجله، يقول تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ** ﴾(البقرة:169).

والسوء هو كل ما يسوء صاحبه من صغائر المعاصي والذنوب، سواء كانت قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً [6]، والفحشاء ما تناهى قبحه، وعظم إنكاره من المعاصي الكبيرة، نحو: الزنا، والقتل،

---

(1) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية (19 / 22).

(2) انظر: المصدر السابق (19 / 22).

(3) انظر: عالم السحر والشعوذة، عمر الأشقر، دار النفائس- الكويت، ط1،1410هـ-1989 م، ص 170.

(4) انظر: السحر، محمد جعفر، دار الطباعة الحديثة، ص 48.

(5) انظر: التفسير القيم ، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد الفقي، ص 581، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان .

(6) انظر: روح المعاني للألوسي (2/ 39) .

وشرب الخمر[1]، ومع أن الأعمال الصالحة تكفر الصغائر بشرط اجتناب الكبائر إلا أن الشيطان حريص على أن يأمر بالصغائر، لأن المداومة على الصغائر يؤدي إلى الفسوق، ومن ثم إلى قسوة القلب، ولا يُعلم بعد ذلك هل تقوى الأعمال الصالحة على تكفير السيئات، أم يكون فيها خلل، ونقص يمنع من تكفيرها السيئات[2].

رابعاً: القول على الله بغير علم:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(البقرة:169)

من المعلوم أن الشيطان لا يأمر إلا بشر، ولا ينهى إلا عن خير، والقول على الله بغير علم هو من أقبح ما يأمر به الشيطان؛ لأنه منشأ كل ضلالة، وأساس كل بدعة، بل إن الشرك لا يجد تربة خصبة إلا في نفوس القائلين على الله بغير علم، وما اتخذ المشركون الأصنام إلا بعد أن قالوا على الله بغير علم: إن هذه الأصنام هي وسائط تقربهم إلى الله [3].

والقول على الله بغير علم من المحرمات التي أجمعت الشرائع كلها على تحريمها، وحرمته على الدوام، فلا يباح في وقت من الأوقات[4].

وقد توعد الله سبحانه وتعالى مَن قال في شرع الله فأحل وحرم دون مستند شرعي بالخسران في الدنيا والآخرة.

والقول على الله بغير علم لا يقتصر على أحكام الشريعة فقط؛ بل إنه يشمل الكذب على الله تعالى بوصفه بضد ما وصف به نفسه، أو بضد ما وصفه به رسوله ﷺ، وتحقيق ما أبطله، وإبطال ما حققه، وعداوة المؤمنين الذين أمر الله تعالى بموالاتهم ومحبتهم، وموالاة الكفار الذين أمر الله تعالى بالتبرؤ منهم وبغضهم[5].

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 80.
(2) انظر: تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين (2 / 237).
(3) انظر: مدارج السالكين (1/ 284).
(4) انظر: المصدر السابق (1/ 283).
(5) انظر: نفس المصدر(1/ 284).

خامساً: الوعد بالفقر:

يقول الله تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾(البقرة:268).

إن الشيطان يعلم مداخل ضعف الإنسان فيأتيه منها، وهو يعلم أن الإنسان محب للمال، شغوف بجمعه، فيأتيه الشيطان من هذا الباب وهو حب المال، فيخوفه الفاقة حتى يكف عن الإنفاق، فيقول له: أمسك مالك، فإنك إذا تصدقت به افتقرت، وهذا من لمة[1] الشيطان، ومن وجد ذلك في نفسه فعليه بالاستعاذة بالله من الشيطان، كما قال الرسول ﷺ: " **إنَّ للشَّيطانِ لمَّةً بابنِ آدمَ، وللملَك لمَّةً، فأمَّا لمَّةُ الشَّيطانِ فإيعادٌ بالشَّرِّ، وتَكذيبٌ بالحقِّ، وأمَّا لمَّةُ الملَك فإيعادٌ بالخيرِ، وتصديقٌ بالحقِّ، فمن وجدَ ذلِك فليعلم أنَّهُ منَ اللَّهِ، فليحمدِ اللَّهَ، ومن وجدَ الأخرى فليتعوَّذ باللَّهِ منَ الشَّيطانِ، ثمَّ قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ﴾**"[2][3].

سادساً: المس الشيطاني(الصرع)

يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ (البقرة: 275)

لما كانت العلاقة بين الإنس والشياطين قائمة على العداوة والبغضاء كما سبق بيانه، فإن الشيطان حريص أشد الحرص على إيقاع الأذى بالإنسان، وهذا الأذى يتخذ أشكالاً وصوراً متعددة، ومن جملته الصرع.

1- تعريف الصرع:

أ- **تعريف الصرع لغة:** هو السقوط على الأرض، والصريع من الأغصان: ما سقط إلى الأرض[4].

ب- **تعريف الصرع اصطلاحاً:** هو خلل يصيب عقل الإنسان، بحيث يفقد السيطرة على أفعاله وأقواله وأفكاره، نتيجة تسلط الأرواح الخبيثة عليه [5].

---

(1) اللمة: هي الخاطر يقع في القلب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(4 /273).

(2) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة البقرة، رقم الحديث 2988، ص669، قال الألباني: صحيح .

(3) انظر: معالم التنزيل (1 /333)، والمحرر الوجيز (1 / 364).

(4) انظر: تاج العروس(21 / 329)، ولسان العرب، ص 2432-2434 .

(5) انظر: وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد بالي، مكتبة التابعين، القاهرة، ط 10، 1418هـ-1997م، ص58، والجن في القرآن والسنة، ص 217.

2- أسباب الصرع :

إنّ صرع الجن للإنس يرجع إلى ثلاثة أسباب:

السبب الأول: العشق والهوى، كأن يحب الجني آدمياً فيصرعه كي ينال بغيته، وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل.

السبب الثاني: إيذاء الإنسي لأحدهم، وإن لم يكن الإيذاء مقصوداً أو متعمداً، كأن يؤذيهم ببوله، أو بالماء الحار، أو بقتل أحدهم، وهذا أشد الصرع، وكثيراً ما يقتلون المصروع، كما حصل مع الصحابي الذي قتل الحية فمات[1].

السبب الثالث: العبث كما يعبث سفهاء الإنس بأبناء السبيل[2].

"فما كان من الباب الأول، فهو من الفواحش التي حرمها الله تعالى كما حرم ذلك على الإنس، وإن كان برضا الآخر، فكيف إذا كان مع كراهته فإنه فاحشة وظلم، فيخاطب الجن بذلك، ويعرفون أن هذا فاحشة محرمة وعدوان؛ لتقوم الحجة عليهم بذلك، ويعلم أنه يحكم فيهم بحكم الله، ورسوله الذي أرسله إلى جميع الثقلين الإنس والجن، وما كان من القسم الثاني، فإن كان الإنسي لم يعلم، فيخاطبون بأن هذا لم يعلم، ومن لم يتعمد الأذى لا يستحق العقوبة، وإن كان قد فعل ذلك في داره وملكه، عرفوا بأن الدار ملكه، فله أن يتصرف فيها بما يجوز، وأنتم ليس لكم أن تمكثوا في ملك الإنس بغير إذنهم، بل لكم ما ليس من مساكن الإنس كالخراب والفلوات"[3].

---

(1) ونص الحديث كما رواه أبو سعيد الخدري:" كان فتًى منا حديثَ عهدٍ بعُرسٍ، قال فخرجْنا مع رسولِ اللهِ ﷺ إلى الخندقِ، فكان ذلك الفتى يستأذن رسولَ اللهِ ﷺ بأنصافِ النهارِ فيرجع إلى أهلِه، فاستأذَنه يومًا، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ : خُذْ عليك سلاحَك، فإني أخشى عليك قُريظةَ "، فأخذ الرجلُ سلاحَه، ثم رجع فإذا امرأتُه بين البابَين قائمةٌ، فأهوى إليها الرمحَ ليطعنَها به، وأصابته غَيرةٌ، فقالت له: اكفُفْ عليك رُمحَك، وادخُل البيتَ حتى تنظرَ ما الذي أخرجَني، فدخل فإذا بحيَّةٍ عظيمةٍ مُنطويةٍ على الفراشِ، فأهوى إليها بالرمح فانتظَمها به، ثم خرج فركَّزه في الدارِ، فاضطربَتْ عليه . فما يُدرى أيهما كان أسرعَ موتًا الحيةُ أم الفتى ؟ قال فجئنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فذكرنا له، وقلنا : ادعُ اللهَ يُحييه لنا، فقال: "استغفِروا لصاحبِكم" ثم قال: "إنَّ بالمدينة جنًّا قد أسلموا، فإذا رأيتُم منهم شيئًا فآذِنوه ثلاثةَ أيامٍ فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتُلوه، فإنما هو شيطانٌ" . صحيح مسلم، كتاب الحيوان قتل الحيات وغيرها، باب في قتل الحيات وذي الطفيتين والجنان وغيرها، رقم الحديث: 2236 ، ص1121-1122.

(2) انظر: دقائق التفسير (2/ 137) .

(3) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، (24/19).

3- الأدلة على إثبات الصرع:

إن صرع الجن للإنسان حقيقة ثابتة لا مجال لإنكارها، لدلالة النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على إمكانية دخول الجني في بدن الإنسي.

وهذه بعض الأدلة التي استدل بها أهل السنة والجماعة لإثبات معتقدهم:

أ- الأدلة من القرآن :

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ (البقرة: 275)

تعتبر هذه الآية من الأدلة القرآنية الصريحة التي استدل بها العلماء على حدوث الصرع، وقدرة الشيطان على إيذاء الإنسان بدنياً.

وأصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء، والمس هو الجنون، يقال رجل ممسوس أي مجنون، وأصله اللمس باليد، لأن الشيطان قد يمس الرجل وأخلاطه مستعدة للفساد فتفسد، ويحدث الجنون[1].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: " أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً "[2].

وقال ابن حزم: " فصحَّ أن الشيطان يمسُّ الإنسان الذي يسلطه الله عليه مسّاً كما جاء في القرآن، يثير به من طبائعه السوداء والأبخرة المتصاعدة إلى الدماغ، كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلا خلاف ، فيحدث الله ﷻ له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده" [3].

ولقد تأول البعض التخبط الوارد في الآية بأنه بمعنى الوسوسة، وهؤلاء أخطأوا الفهم لأن الله تعالى يقول (من المس) ليظهر المراد من تخبط الشيطان، فلا يظن أحد أن التخبط المقصود هو تخبط مجازي بمعنى الوسوسة، وإنما هو تخبط حقيقي من الشيطان يصل به صاحبه إلى حد الجنون[4].

---

(1) انظر: روح المعاني(49/3)، ومعالم التنزيل(340/1).

(2) تفسير القرآن العظيم،(2/ 383-384).

(3) الفصل في الملل والنحل (5/ 113)

(4) انظر: التحرير والتنوير(3 / 82)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2006م 1427هـ،(1/ 531) .

قال أبو حيان[1]: "وظاهر الآية أن الشيطان يتخبط الإنسان، فقيل: ذلك حقيقة هو من فعل الشيطان بتمكين الله تعالى له من ذلك في بعض الناس، وليس في العقل ما يمنع ذلك، وأصله من المس باليد كأن الشيطان يخبطه ويطأه برجله فيخبله، فسمي الجنون خبطة وهو على سبيل التأكيد، ورفع ما يحتمله من المجاز" [2].

ب- الأدلة من السنة:

وردت أحاديث كثيرة بهذا الخصوص منها:

- عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنه: " **ألاَ أُرِيكَ امْرأةً منْ أهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلى، قَالَ: هذِه المَرْأةُ السَّوْدَاءُ أتَتِ النبيَّ ﷺ فقالتْ: إنِّي أُصْرعُ وإنِّي أتَكَشَّفُ فادْعُ الله لِي، قَالَ: إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلكِ الجَنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ الله أنْ يُعافِيَكِ، فقالَتْ: أصْبِرُ، فقالَتْ: إنِّي أتَكَشَّفُ فادْعُ الله أنْ لَا أتكَشَّفَ، فَدَعا لَهَا**"[3].

وهذا الصرع الذي أصابها هو من صرع الجن، وكانت تفقد السيطرة على ذاتها فتتكشف عورتها جراء ذلك، فطلبت من النبي ﷺ أن يدعو لها بالشفاء، فأمرها بالصبر مقابل الجنة، ففعلت[4].

- قوله ﷺ: " **أَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ**"[5].

بمعنى أعوذ بك أن يصيبني الشيطان بشيء من المس كالصرع والجنون[6].

- قوله ﷺ: "**أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ**"[7].

وجاء في بعض الروايات تفسير الهمز بالموتة، والتي تعني الصرع، ذلك لأن المصروع

---

(1) هو محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي، أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث، ولد في غرناطة، وتوفي في القاهرة، من مصنفاته: البحر المحيط، تحفة الأريب، منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، توفي سنة 745هـ. انظر: الأعلام(7/ 152) .

(2) البحر المحيط (2 /347).

(3) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، رقم الحديث: 6466، ص 1275.

(4) انظر: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبيدات، ص 270.

(5) سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب في الاستعاذة ، رقم الحديث1552، ص183، قال الألباني: صحيح .

(6) انظر: مرعاة المفاتيح (234/8).

(7) سنن الترمذي، كتاب مواقيت الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، رقم الحديث: 242، ص 70، قال الألباني: صحيح.

يصل إلى درجة الأموات مما يقاسي من ألم الصرع [1].

- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: **"إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ، فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مَعَ التَّثَاؤُبِ"** [2].

ولعل تسلط الشيطان على الإنسان حين التثاؤب يرجع إلى أن الشيطان يغتنم الفرصة التي يغفل فيها قلب الإنسان عن ذكر الله تعالى فيدخل فيه، والمتثائب في تلك الحالة غير ذاكر لله، فيتمكن الشيطان من الدخول في جسمه حقيقة [3].

- قوله ﷺ :" **إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ، فَلْيَسْتَنْثِرْ**[4] **ثَلَاثًا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ على خَيْشُومِهِ"** [5]

وما ورد في هذا الحديث من استقرار الشيطان على أنف الإنسان محمول على حقيقته، "فإن الأنف أحد منافذ الجسم التي يتوصل إلى القلب منها بالاشتمام، وليس من منافذ الجسم ما ليس عليه غلق سواه وسوى الأذنين"[6] .

- **عنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ: " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَتْهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَلَمَّا رَجَعَتْ، انْطَلَقَ مَعَهَا، فَمَرَّ بِهِ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَدَعَاهُمَا، فَقَالَ: إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ، قَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ "**[7].

وهذا الحديث محمول على ظاهره، إذ إن الله تعالى جعل للشيطان القوة والقدرة على النفوذ في بواطن البشر[8].

(1) انظر: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبيدات، 269.

(2) مسند أحمد، رقم الحديث:11323(17/ 365) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، رقم الحديث:426 (1/ 136) .

(3) انظر: فتح الباري(10 /612).

(4) الاستنثار هو دفع الماء إلى الأنف باستنشاقه. انظر: الاستذكار، يوسف بن عبد البر، دار الوعي، حلب، ط1، 1413هـ-1993م (2/ 11).

(5) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس، وجنوده، رقم الحديث: 3295، ص630 .

(6) سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني،(1 / 129)، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1427هـ-2006م.

(7) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم، رقم الحديث 7171، ص 1369.

(8) انظر: كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، (470/1)، دار الفكر 1402هـ- 1982، بيروت (1 / 470).

4- أدلة المنكرين والرد عليها:

على الرغم من وضوح الأدلة التي استدل بها أهل السنة لإثبات الصرع، إلا أنه نبغت نابغة أنكرت دخول الجن في بدن المصروع، وهم بعض المعتزلة الذين قالوا باستحالة وجود روحين في جسد، مع إيمانهم بوجود الجن، وزعموا أن قدرة الجن على التأثير في الإنسان محصورة في الوسوسة والإغواء [1].

واحتج المنكرون بالآتي:

أ- قوله تعالى حكاية عن الشيطان : ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ (إبراهيم: 22)، وهذا يدل دلالة صريحة على نفي قدرة الشيطان على إيذاء الإنسان بالصرع ونحوه.

ب- الشيطان إما أن يكون من الأجسام الكثيفة أو اللطيفة، فإن كان من الأول، وجب أن يرى، ولاستحال دخوله في بدن الإنسان، وإن كان جسماً لطيفاً، فيمتنع أن يكون قادراً على صرع الإنسان وقتله.

ج- أن الشيطان لو قدر على الدخول في باطن الإنسان وأذيته، لكان الأنبياء والصالحون أشد الناس تضرراً، ولما لم يكن كذلك، علِمْنا أن ذلك باطل[2].

والجواب عليهم يتمثل في الآتي:

أما الدليل الأول الذي استدلوا به فهو لا يدل على مدعاهم؛ لأن معنى الآية هو أن الشيطان ليس لديه القدرة على قهر الناس، وإكراههم على الطاعة، هذا هو السلطان المنفي عنه في الآية وليس التعرض للإيذاء النفسي أو البدني، فإن هذا ثابت بدلالة النصوص القرآنية والنبوية [3].

وأما قولهم إن الجن إذا كانوا أجساماً كثيفة وجبت رؤيتهم، ولاستحال دخولهم في بدن الإنسان، فجوابه: أن كثافة أجسامهم لا توجب رؤيتهم؛ لأن الله تعالى قادر أن يجعل بيننا وبينهم حجاباً يمنع رؤيتهم، وعدم الرؤية لا يلزم منه نفي حدوث الصرع، وكثافة أجسامهم لا تحيل دخولهم في جسد الإنسان، وكما أنه يصح دخول الطعام والشراب – على الرغم من كثافة أجسامهما- في

---

(1) انظر: آكام المرجان، ص 158.

(2) انظر: مفاتيح الغيب(7/ 95-96)، وعالم الجن، عبد الكريم عبيدات، ص 275-276، الأدلة الشرعية في إثبات صرع الجن للإنسان، والرد على المنكرين، د. صالح الرقب، ص 205-206.

(3) انظر: روح المعاني (3 / 49-50)، الأدلة الشرعية في إثبات صرع الجن للإنسان، ص 208 .

الفراغ من الجسم، وكذلك الديدان قد تكون في بني آدم وهي أحياء، كذلك فإنه يصح دخول الجن[1].

وأما قولهم إن الجن إذا كانت أجساماً لطيفة ليس فيها قوة وصلابة فهي غير قادرة على صرع الإنسان وقتله، فباطل؛ لأن الأدلة النقلية والعقلية لا تنفي ذلك؛ بل تثبته، ثم إن فاعلية الأشياء لا تتوقف على مدى قوتها وصلابتها، فالجراثيم والميكروبات مثلاً قادرة على تدمير الإنسان وإهلاكه على الرغم من ضعفها، ويقاس على ذلك إيذاء الجن للإنسان فإنه لا يحتاج قوة وصلابة[2]، كما أن دماغ الإنسان وجهازه العصبي معرضان للخلل في حال وجود دخيل في الجسم كالجن مثلاً، وهذا كله يرجع للتركيب الدقيق لكل من الدماغ والجهاز العصبي[3].

وأما قولهم إن الشيطان لو قدر على الدخول في باطن الإنسان لكان الأنبياء والصالحون أشد الناس تضرراً، فجوابه: أن الله تعالى خلق الكون، وجعل له قوانين وسنناً تنظمه، وبناءً عليه فإن الله تعالى لم يجعل قدرة الجن على الإيذاء مطلقة، فيصرعون كل الخلائق في أي وقت شاءوا؛ بل يتمكنون فقط من فعل ذلك بضعاف الناس، أو في أحوال نادرة، أما الأنبياء وكبار العلماء فهم في حرز من أذى الشيطان نظراً لعصمة الأنبياء، وكثرة اشتغال العلماء بالعلم والذكر، وقد أوكل الله الأمر إلى الملائكة يمنعونهم من ذلك وإلا لاختلّ نظام الكون[4].

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (2 / 282).

(2) انظر:الأدلة الشرعية في إثبات صرع الشيطان للإنسان، ص 209.

(3) انظر: برهان الشرع في إثبات الصرع، علي بن عبد الحميد، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ-1996م، ص 180، الأدلة الشرعية في إثبات صرع الشيطان للإنسان، ص 209.

(4) انظر: الجن في القرآن والسنة، ص 233.

الفصل الثالث

الإيمان باليوم الآخر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر ومقدماته وأحداثه.

المبحث الثاني: الجنة والنار.

المبحث الأول

معنى الإيمان باليوم الآخر ومقدماته وأحداثه

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر واهتمام القرآن به.

المطلب الثاني: مقدمات اليوم الآخر.

المطلب الثالث: أحداث اليوم الآخر.

المطلب الأول

معنى الإيمان باليوم الآخر، واهتمام القرآن به

أولاً: معنى الإيمان باليوم الآخر:

هو الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله تعالى أو في سنة النبي ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، وما يعقب ذلك من بعث الأجساد ثم حشرها، وتطاير الصحف، والحساب، ووزن الأعمال، والحوض، والصراط، والشفاعة، والجنة، والنار، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعاً[1].

ثانياً: وجوب الإيمان باليوم الآخر:

إن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الثاني للدين الذي بعث الله به الرسل، ولذلك فإن الله نَظَمه مع سائر أركان الإيمان في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ (البقرة: 177) وفي هذه الآية يلاحظ تقديم الإيمان باليوم الآخر على سائر أركان الإيمان سوى الإيمان بالله نظراً لأهميته، ولأن الإيمان بالله واليوم الآخر أساس كل بر، ومبدأ كل خير[2].

والإيمان باليوم الآخر هو من "الأصول الثلاثة التي اتفقت عليها الملل، وجاءت بها جميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: 62) "[3]

ثالثاً: اهتمام القرآن بهذا اليوم:

إن القرآن الكريم قد أولى اليوم الآخر اهتماماً بالغاً، ومن مظاهر هذا الاهتمام:

1- اقتران الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان بالله، فقد وردت نصوص كثيرة تذكر الإيمان باليوم الآخر بعد الإيمان بالله مباشرة، وفي سورة البقرة سبعة مواضع على هذه الشاكلة منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ

---

(1) انظر: الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، محمد ياسين، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية، ص 70.
(2) انظر: تفسير المنار (2/ 111).
(3) درء تعارض العقل والنقل (3/5).

وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (البقرة: 62)، وقوله: ﴿ وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾(البقرة :126)، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾(البقرة: 177) .

ولعل السر في هذا الارتباط يكمن في أن الثمرة النهائية للإيمان بالله تعالى، وهي الطاعة الكاملة له تعالى، لا يتم تمامها عند كثير من الناس بمجرد الإيمان بالله؛ إنما بالإيمان الراسخ بأن هناك بعثاً، وحساباً، وثواباً، وعقاباً، فيتجه المؤمن إلى الأعمال التي تقربه من الله، اتقاءً لعذابه، وطمعاً في ثوابه[1].

2- إكثار القرآن من ذكر اليوم الآخر، فلا تكاد سورة تخلو من الحديث عنه، مع تقريبه إلى الأذهان تارة بالحجة والبرهان، وتارة بضرب الأمثال.

3- كثرة ما سمّاه الله تعالى من الأسماء التي يدل كل واحد منها على ما سيقع فيه من الأهوال، ومنها: الحاقة، والواقعة، والصاخة، والطامة، والقارعة، ويوم الدين، ويوم الفصل، وغيرها من الأسماء[2].

وعلَّل القرطبي ذلك بقوله: "وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، وهذا جميع كلام العرب، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه، وتأكد نفعه لديهم وموقعه، جمعوا له خمسمائة اسم، فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة "[3].

ومن أسماء اليوم الآخر التي وردت في سورة البقرة:

1- الآخرة أو الدار الآخرة: وهذا الاسم ورد في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة: 94)، وأيضاً في قوله تعالى: ﴿...وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (البقرة: 130)، وسميت بذلك لأنها بعد دار الدنيا دار باقية ليس بعدها انتقال إلى دار أخرى [4].

(1) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب ، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1402هـ-1982 م، ص66.
(2) انظر: العقائد الإسلامية، السيد سابق، ص 228-229.
(3) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: الصادق إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط1، 1425هـ، (2/ 544).
(4) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، ص 256.

2- يوم القيامة: وقد ورد هذا الاسم في أربعة مواضع من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ (البقرة: 85)، وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (البقرة:113)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ (البقرة:174)، وقوله : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ (البقرة:212)، وقد اختلف في تسميته بهذا الاسم على أقوال منها: أنه سمي بذلك لأن الناس يقومون فيه لله ﷻ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (المطففين:6)[1]، أو "لأنه يقوم فيه الأشهاد، أو لأنه يقام فيه العدل"[2].

(1) انظر: لوامع الأنوار البهية (2/ 168-169).
(2) تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين(1/ 276).

المطلب الثاني

مقدمات اليوم الآخر

الحياة البرزخية:

تعد الحياة البرزخية مرحلة من المراحل التي لا يتجاوزها أي إنسان، وتبدأ الحياة البرزخية بالموت، فالموت ليس هو نهاية المطاف، وإنما هو انتقال من دار الدنيا إلى دار أخرى هي دار البرزخ، ومن ثم إلى الدار الآخرة التي لا دار بعدها، ولذلك فإنه من الخطأ ما يتردد على ألسنة الكثيرين عند وفاة أحدهم، حيث إنهم يقولون انتقل إلى مثواه الأخير [1].

والبرزخ في اللغة: ما بين كل شيئين من حاجز [2].

أما في الاصطلاح : فهي الدار التي تعقب الموت إلى البعث، وهي محل عذاب القبر ونعيمه[3].

والحياة البرزخية حقيقة دلت عليها سورة البقرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾(البقرة :154) أي: "لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله هم أموات؛ بل هم أحياء، ولكن لا تشعرون بهذه الحياة عند مشاهدتكم لأبدانهم بعد سلب أرواحهم، لأنكم تحكمون عليها بالموت في ظاهر الأمر...، وليسوا كذلك في الواقع بل هم أحياء في البرزخ"[4]، ومع ذلك فهم داخلون في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾(آل عمران: 185)، فهذه الآية تفيد العموم، والشهداء يدخلون في هذا العموم، ولكن ما أثبته الله لهم من الموت لا يتناقض مع كونهم أحياء عند ربهم، إذ إن المراد من الموت المثبت هو فراق الروح الجسد، وهذا حاصل للجميع سواء كانوا شهداء أم لا، ولكن الموت الذي نفاه الله تعالى عن الشهداء هو زوال الحياة بالكلية من الروح والبدن[5].

---

(1) انظر: معجم المناهي اللفظية، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة – الرياض، ط3، 1417هـ-1996م، ص 476.

(2) انظر: لسان العرب، ص256.

(3) انظر: القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط 7، 1418هـ-1997م، ص 13 .

(4) فتح القدير (1 /297).

(5) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن النجدي، ط6،1417هـ-1996م (544/1 – 545).

ولقد ضل بعض الناس في فهم الحياة البرزخية، وظنوا أنها من جنس الحياة الدنيوية، وأن الأنبياء والشهداء يحيون حياة حقيقية، واستدلوا على هذا بصلاة موسى عليه السلام في قبره، وقالوا إن الصلاة تستدعي جسداً حياً، وهذه الدعوى باطلة؛ لأن القول بأنهم أحياء في قبورهم كحياتهم المعهودة في الدنيا يقتضي تحريم تقسيم أموالهم على الورثة، وعدم تزوج نسائهم لأنهم أحياء على زعمهم، والمسلمون متفقون على تقسيم أموالهم، وتزويج نسائهم كسائر الأموات[1]، وحاصل الكلام في هذه المسألة أن الحياة البرزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله عز وجل، وهي لا تشبه الحياة الدنيا من أي وجه.

والحياة البرزخية يحياها المؤمن والكافر، ولكن فرق بين الحياتين، فالمؤمن يحيا في البرزخ حياة نعيم وسرور، وأما الكافر فهو في عذاب ومشقة، فالحياة البرزخية ثابتة للجميع بلا استثناء.

وقد يسأل سائل: لم خصص الشهيد دون غيره بإطلاق صفة الحياة عليه على الرغم من أن الحياة البرزخية ثابتة للجميع ؟

فجوابه هو أن الذي خَصّ الله به الشهداء في ذلك، أنهم يأكلون في برزخهم قبل مبعثهم من مطاعم الجنة، ويتنعمون من نعيمها بمثل ما ينعم بها أهلها بعد البعث، فلم يُطعم الله أحدًا غيرَهم في برزخه قبل بعثه. فذلك هو الفضيلة التي فضَّلهم بها، وخصهم بها من غيرهم[2].

ولقد أخبر النبي ﷺ عن نعيم الشهداء في البرزخ فقال: "**إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلُق**[3] **من ثمرة الجنة أو شجر الجنة** "[4]، وعنه ﷺ أنه قال:" **لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِى جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وتَأْوِى إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِى ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ، ومَشْرَبِهِمْ، ومَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِى الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِى الْجِهَادِ، ولاَ يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾**(آل عمران:169)"[5].

---

(1) انظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عبد العزيز بن محمد، دار طيبة- الرياض، 1409هـ-1989م، ص 372، وشرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، جلال الدين السيوطي، دار المدني، مصر، ص 204.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري (3/ 216).

(3) تعلق أي تأكل. النهاية في غريب الحديث والأثر(3 / 289).

(4) سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ثواب الشهيد، رقم الحديث 1641، ص385، قال الألباني: صحيح.

(5) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة، رقم الحديث: 2520، ص286، قال الألباني: حسن.

قال شارح الطحاوية في الشهداء: "فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت أعلى درجة منهم، فلهم نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه" [1]

فالشهداء وإن كانت أجسادهم في قبورهم إلا أن أرواحهم تسرح في الجنة حيث شاءت، وتنال شيئاً من النعيم الذي أخبر الله تعالى عنه، ويحصل لأجسادهم في القبر شيء من هذا النعيم وذلك عند تعلق الروح بالبدن، يقول ابن القيم:" الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، ويحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين"[2].

(1) شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ص 404.
(2) الروح، ص 75.

المطلب الثالث

أحداث اليوم الآخر

أولاً: البعث:

1- **تعريف البعث لغة:** البعث في كلام العرب يأتي على عدة معانٍ، منها: الإرسال، يقال: بعثت فلاناً، أي: أرسلته، والبعث: إثارة ساكن، تقول: بعثت البعير فانبعث، أي: أثرته فثار، والبعث أيضاً: الإحياء من الله للموتى، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ (البقرة: 56) أي: أحييناكم.[1]

2- **تعريف البعث اصطلاحاً:** هو" إعادة الإنسان روحاً وجسداً كما كان في الدنيا"[2].

أما كيفية البعث فإنه يكون بأن يرسل الله ﷻ ماء الحياة على عجب الذنب، حيث إن الإنسان بعد موته يبلى ويفنى[3] ، ولا يبقى منه إلا عجب الذنب، وهو ذرة صغيرة تقع أسفل الظهر فهذه لا تفنى، ثم يحيي الله إسرافيل عليه السلام، ويأمره أن ينفخ في الصور النفخة الثانية، وهي نفخة الإحياء، فتنبت الخلائق كما ينبت البقل كما قال ﷺ: " **ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا واحِدًا وهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، ومِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ**" [4]، وينادي الرب الأرواح فتعود إلى أجسادها التي كانت فيها في هذه الدنيا[5].

والبعث يكون للروح والجسد معاً، والأجساد التي تبعث يوم القيامة هي الأجساد الأولى التي كانت في الدنيا، ولكنَّ الله تعالى ينشئها نشأة أخرى بما يتلاءم مع الحياة الآخرة، فقد أخبرنا النبي ﷺ أن الكافر يكبر جسده حتى يكون ما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع، ويكون ضرسه

---

(1) انظر: لسان العرب، ص307، تهذيب اللغة (2/ 335).

(2) العقائد الإسلامية، ص 235.

(3) ويخرج من ذلك الأنبياء حيث إنه ورد النص الصريح بأن الأرض لا تأكل أجسامهم يقول النبي ﷺ : "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ". سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ ، رقم الحديث 1636، ص 287، قال الألباني: صحيح.

(4) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً)، رقم الحديث 4935، ص976.

(5) انظر: العقيدة الاسلامية، مصطفى الخن، ص 417 .

كجبل أحد، فقال: "**ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغِلَظُ جلده مسيرةُ ثلاث**"[1]، وأما المؤمن إذا دخل الجنة فإنه يدخلها على صورة آدم طوله ستون ذراعاً[2].

وأما عن أحوال الناس في البعث فقد بيَّن النبي ﷺ أن كل إنسان يبعث يوم القيامة على الحالة التي مات عليها من خير وشر فقال : " **يُبعث كلُّ عبد على ما ماتَ عليه** "[3] ، ومن ذلك أن الشهيد يبعث يوم القيامة وجروحه ينبعث منها المسك يقول النبي ﷺ: "**والذي نفسي بيدِهِ ، لا يُكْلَمُ أحدٌ في سبيلِ اللهِ، واللهُ أعلمُ بمن يُكْلَمُ في سبيلِهِ، إلا جاء يومَ القيامةِ، واللونُ لونُ الدمِ ، والريحُ ريحُ المسكِ** "[4] ، وأما آكل الربا فقد بينت سورة البقرة حاله حين البعث، قال الله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ** ﴾ (البقرة: 275)

ومعنى الآية أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة، لأن الربا نما في بطونهم فأثقلهم عن الحركة يوم القيامة، ويقال: إنهم يبعثون يوم القيامة قد انتفخت بطونهم كالحبالى، وكلما قاموا سقطوا، والناس يطأونهم بأرجلهم، فكانت هذه العلامة لتمييزهم عن باقي الخلائق [5].

وهذه النماذج المذكورة فيها تحريض للإنسان على ملازمة العمل الصالح في كل الأوقات، حتى يدركه الموت وهو على حالة يرضاها الله تعالى، ولذلك كانت وصية الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ لأبنائهم بالموت على دين الإسلام، يقول تعالى: ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ** ﴾(البقرة: 132).

أدلة البعث :

على الرغم من أن البعث حقيقة لا يأباها العقل الإنساني، وهي مما اتفقت دعوة الرسل جميعا على تقريرها؛ إلا أنه ظهر من ينكر هذه الحقيقة، وشبهات المنكرين للبعث تدور حول

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم الحديث 2851، ص 1399.

(2) انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة الجنة، رقم الحديث: 4333، ص 718-719.

(3) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، رقم الحديث: 2878، ص 1408.

(4) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من يجرح في سبيل الله ﷻ، رقم الحديث 2803، ص 541.

(5) انظر: تفسير الخازن (1/ 297)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(4 / 391).

استبعاد جمع الأجزاء بعد تفرقها واختلاطها بأجزاء الأرض على وجه لا يمكن به تمييز شخص عن آخر، وهذه الشبه لا تكون إلا بالقدح في كمال علم الله، وكمال قدرته، وزعموا أن البعث لا فائدة فيه، وإنما الحكمة اقتضت دوام هذا النوع الإنساني، هكذا أبداً كلما مات جيل أعقبه آخر، فأما أن يميت النوع الإنساني كله ثم يحييه بعد ذلك فلا حكمة في ذلك[1].

ولقد بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بطلان ما استدل به هؤلاء المنكرون بإثبات علمه المحيط بكل شيء، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض، وكمال قدرته فلا يعجزه شيء، وعظيم حكمته، فأفعاله منزهة عن العبث والسفه[2]، كما أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبرنا في سورة البقرة بوقوع أحداث تم فيها إحياء بعض الموتى، وهي أدلة حسية تخرس ألسنة المنكرين؛ لأنه لا شيء أدل على إمكان حصول الشيء من وجوده بالفعل [3].

الدليل الأول: إحياء طائفة من بني إسرائيل بعد موتهم بالصاعقة:

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾(البقرة :55- 56)

لقد عبد بنو إسرائيل العجل الذي أتاهم به السامري أثناء غياب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لمناجاة ربه، وبعد أن عاد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من المناجاة ورآهم على هذه الحال، لامهم على ما فعلوا، وحرق العجل، ثم أخذ سبعين رجلاً من خيار بني إسرائيل؛ ليستغفروا الله من ذنب عبادة العجل، فلما بلغوا جانب الطور الأيمن، وسمعوا مناجاة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه، طمعوا في رؤية الله، فقالوا له كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (البقرة:55) أي: عياناً، وحينئذ أرسل الله عليهم الصاعقة، وهي نار من السماء، فصعق بعضهم، وكان الآخرون ينظرون إليهم ثم بعث الأولون، وصعق الآخرون، وبعد أن ماتوا جميعاً، بعثهم الله تعالى من موتهم كي يستكملوا آجالهم، وذلك أنهم ماتوا قبل انقضاء آجالهم[4]، ثم بين الله تعالى أن بعثهم بعد الموت نعمة تستدعي الشكر فقال: ﴿ لعلكم تشكرون ﴾.

---

(1) انظر: الفوائد، محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، ص 16-17.

(2) انظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر الألمعي، ص 312، ط1، 1399هـ .

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق:محمد سالم، (7 / 375).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(1/ 404)

الدليل الثاني: إحياء قتيل بني إسرائيل:

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ﴾ (البقرة 72– 73)، وقد ذكرت قصته مفصلة في سبب التسمية، وملخص القصة أن رجلاً من بني إسرائيل قتل أحد أقربائه؛ كي يرث ماله، واختلف بنو إسرائيل في قاتله، وأصبح كل منهم يتهم الآخر، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يأمر قومه بذبح بقرة، فجادلوا في أمر البقرة، وأخذوا يسألون عن أوصافها، فأخبرهم الله تعالى بأوصافها، فلم يجدوها إلا عند رجل، وبعد ذلك ذبحوها، وضربوا الميت بجزء منها، فأحياه الله تعالى بقدرته، وسمَّى قاتله ثم عاد ميتاً، "وبهذه القدرة يحيي الله الموتى يوم القيامة، فمن يقدر على إحياء نفس فهو قادر على إحياء الأنفس كلها، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (لقمان: 28)" [1].

قال الطبري: "قوله: (كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى) مخاطبة من الله لعباده المؤمنين، واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا، فقال لهم تعالى ذكره: أيها المكذبون بالبعث بعد الممات، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته، فإني كما أحييته في الدنيا، فكذلك أحي الموتى بعد مماتهم، فأبعثهم يوم البعث"[2].

الدليل الثالث: إحياء الألوف من بني إسرائيل:

وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة:243)

جاء في تفسير هذه الآية أن أربعة آلاف من بني إسرائيل كانوا بقرية وقع فيها الطاعون، فخرجوا منها فراراً من الموت، وحرصاً على الحياة، حتى إذا بلغوا موضعاً معيناً أماتهم الله تعالى،

---

(1) البعث والدار الآخرة في هدي القرآن الكريم، محمد أبو النيل، ط1، 1424هـ–2003م، مكتبة الفلاح –الكويت، ص 49.

(2) جامع البيان، الطبري،(2/ 232).

فمرَّ عليهم نبي من الأنبياء، فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم، ثم رجعوا إلى قومهم، وعاشوا دهراً، ثم ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم[1].

فإن سأل سائل كيف مات هؤلاء مرتين في الدنيا، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾(الدخان:56)؟

والجواب أن الله تعالى أماتهم فترة من الزمن عقوبة لهم ثم أحياهم، وميتة العقوبة بعدها حياة، وميتة الأجل لا حياة بعدها إلى يوم القيامة، وبعضهم قال: إن موتهم وإحياءهم كان معجزة من معجزات ذلك النبي، ومعجزات الأنبياء خوارق للعادات فلا يقاس عليها، فيكون قوله تعالى: ﴿إلا الموتة الأولى﴾ عاماً مخصوصاً بمعجزات الأنبياء[2].

الدليل الرابع: قصة عزير:

يقول تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ [3] وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا [4] ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(البقرة:259)

والذي مر على القرية هو رجل صالح من بني إسرائيل يقال له عزير، والقرية التي مر عليها هي بيت المقدس، فقد خربت ولم يبق فيها أي معلم من معالم الحياة، فلما رأى ما حل بها من خراب قال: ﴿ أنى يحيي هذه الله بعد موتها ﴾، وسؤاله ليس تكذيباً، ولا شكاً في قدرة الله؛ وإنما هو اعتراف بالعجز من معرفة طريق الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي[5]، حينئذٍ أراه الله تعالى آية في نفسه، وفي حماره، فأمات الله تعالى عزيراً، وأمات حماره مائة عام، ثم بعث الله تعالى عزيراً، وأراه بأم عينيه كيفية بعث حماره فكان يرى العظام وهي تجتمع، حتى استقرت كل واحدة في

---

(1) انظر: الدر المنثور(3 / 115)، وتفسير الخازن(1/ 249).

(2) انظر: أحكام القرآن، محمد بن العربي، علق عليه: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (1 / 304)، وتفسير الخازن (1 / 251).

(3) أي لم يتغير . المفردات في غريب القرآن، ص 245.

(4) رفع العظام بعضها إلى بعض. انظر: فتح القدير(478/1).

(5) انظر: التفسير المنير (3/ 33).

مكانها، ثم كساه لحماً، ونفخ فيه الروح، فإذا هو قائم ينهق [1] فلما تبين له ذلك، قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فلا يعجزه شيء.

الدليل الخامس: قصة إبراهيم عليه السلام مع الطيور:

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(البقرة:260)

سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى، ليس شكاً في قدرة الله على إحياء الموتى، إذ إن الأنبياء صلوات الله عليهم هم أعلم الناس بالله تعالى وبصفاته، ولكنه أحب أن يرى ذلك بأم عينه حتى يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين[2]، فأجاب الله تعالى سؤله، وأمره بأن يأخذ أربعة طيور مختلفة، ويقطعها، ويخلطها، ثم يضع على كل جبل جزءاً ، وأن يمسك رؤوسهن بيده، ثم أمره الله تعالى أن يطلبها بأن تعود إليه، فدعاهن، فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى، وكل عظم يطير إلى العظم الآخر، وإبراهيم عليه السلام ينظر حتى اكتملت الجثث ونفخ فيها الروح، ثم أقبلن سعياً كما أخبر الله تعالى[3].

هذه بعض الأدلة المحسوسة التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة البقرة لتكون حجة على من أنكر بعث الأجساد بعد تمزقها وتحللها، وهنالك العديد من الأدلة الحسية والعقلية المبثوثة في سور القرآن، أشار إليها العلماء في كتبهم[4]، وهذه الأدلة لا يماري فيها إلا جاهل معاند.

ثانياً: الحشر:

إن إيمان العبد بيوم القيامة لا يكتمل إلا إذا آمن بكل أحداث ذلك اليوم، وإن من جملة الأحداث التي تكون يوم القيامة الحشر.

والحشر في اللغة: هو الجمع مع سوق، والمحشر هو المجمع الذي يحشر إليه القوم، ويقال: أذن حشرة إذا كانت مجتمعة الخلق[5]

---

(1) انظر: بحر العلوم (1/ 226-227).
(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (2/ 455).
(3) انظر: تفسير الخازن (1/ 282).
(4) انظر: درء تعارض العقل والنقل(1 / 32-35)، ومناهج الجدل، ص 317-332، القيامة الكبرى، ص 73-86.
(5) انظر: معجم مقاييس اللغة(2 / 66)، ولسان العرب، ص 882.

وأما في الاصطلاح فهو: سوق جميع الخلائق إلى الموقف، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظاراً لفصل القضاء بينهم[1] .

والحشر لا يقتصر على الإنس والجن بل إن الملائكة، وكل دواب الأرض وطيورها ستحشر يوم القيامة، أما حشر الملائكة لكي يقوموا بمهامهم التي أوكلها الله لهم، وأما دواب الأرض وطيورها فإنها تحشر حتى يقتص الله تعالى من الظالم منها ثم يحيلها الله تعالى تراباً، وفي هذا بيان العدل الإلهي فهو سبحانه يفصل بين مخلوقاته ويؤتي كل ذي حق حقه، ومن حكم حشر دواب الأرض وطيورها تسخيرها لتعذيب العصاة الذين عصوا الله بها في الدنيا حينما كانت مذللة لهم مسخرة لمصالحهم[2].

ولقد جاء الحديث عن الحشر في موضعين من السورة :

الموضع الأول: هو قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴾ (البقرة: 148)، والمعنى أينما تكونوا في مشارق الأرض ومغاربها فالله يأتي بكم إلى المحشر، حفاة عراة، ولا ينفعكم حينئذ إلا صالح عمل قدمتموه، أو فعل خير أسلفتموه، ثم أقام الدليل على ما قبله بقوله: ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾، فهو لا يعجزه أن يحشر الناس يوم القيامة مهما بعدت بهم المسافات، وتناءت بهم الديار والجهات[3].

أما الموضع الثاني: فهو قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (البقرة:203) وفيه ربط التقوى بالحشر والجزاء، إذ إن العلم بالحشر ومن ثم بالجزاء من أقوى الأسباب التي تدفع العبد لتقوى الله، وشتان بين رجلين: أحدهما لا يعتقد ببعث ولا حشر ولا حساب، والآخر يؤمن بيوم يحاكم فيه الإنسان على أعماله وأقواله، فيثاب على الخير، ويعاقب على الشر، فالأول ليس لديه أي ضابط سوى هواه وشهوته، والآخر منضبط في حدود الحق والخير والصلاح[4] .

---

(1) انظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، تحقيق: علي جمعة الشافعي، دار السلام، ط4 1429هـ-2008م، ص 278، والإيمان لمحمد ياسين، ص 63 .
(2) انظر: العقيدة الاسلامية، محمود عبيدات، ص 577، والعقيدة الاسلامية وأسسها، ص 649 .
(3) انظر: تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر، (2 / 15).
(4) انظر: الإيمان لمحمد ياسين، ص 44.

وأما صفة الحشر فإن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة غير منتعلين، عراة غير مكتسين، غرلا غير مختونين[1]، قال النبي ﷺ: " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ثُمَّ قَالَ:** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ (الأنبياء: 104)[2]، هذا وقد جاء في بعض النصوص أن كل إنسان يبعث في ثيابه التي مات فيها، لما جاء عن أبي سعيد الخدري أنه لما حضرته الوفاة دعا بثياب جديد فلبسها، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**الميِّتُ يُبعثُ في ثيابِه الَّتي يموتُ فيها**" [3]، وهذا الحديث يوهم التعارض مع ما جاء من كون الناس يحشرون عراة، وقد وفق العلماء بين هذا الحديث وسابقه بأوجه منها:

1. أنه كنى عن الأعمال بالثياب، والمعنى يبعث كل امرئ مع أعماله التي مات عليها سواء كانت حسنة أو سيئة وهذا الحديث نظير قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: 26)
2. أن المقصود بالميت الذي يبعث في ثيابه هو الشهيد، ويحتمل أن يكون أبو سعيد الخدري سمع الحديث في الشهيد فتأوله على العموم [4].

والناس عند الحشر ثلاثة أصناف؛ منهم من يحشر ماشياً على قدميه، ومنهم من يحشر راكباً، ومنهم من يحشر على وجهه، والدليل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ مُشَاةٌ، وصِنْفٌ رُكْبَانٌ، وصِنْفٌ عَلَى وجُوهِهِمْ**"[5]

والذين يُسحبون في المحشر على وجوههم هم الكفار، ومصداق هذا ما رواه أنس ابن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: " **أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟**" [6]

---

(1) انظر: الإيمان، محمد ياسين، ص63.

(2) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب : (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد)، رقم الحديث 4625، ص 880.

(3) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت، رقم الحديث: 3114 ص352، قال الألباني: صحيح.

(4) انظر: التذكرة، ص 536، والقيامة الكبرى، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط6، 1415هـ- 1995م، ص 60 -61.

(5) مسند أحمد، رقم الحديث 8647، (14/ 288-289)، قال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(6) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، رقم الحديث 6523، ص 1250.

والحكمة في حشر الكافر على وجهه: إمعاناً في إهانته؛ لأنه كان يرفض السجود بوجهه لله رب العالمين، فعاقبه الله تعالى بأن جعل وجهه مكان رجليه [1].

وفي المحشر تدنو الشمس من رؤوس الخلائق، فتكون على بعد ميل منهم، ويكون عرقهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ عرقه حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً كما أخبر بذلك النبي ﷺ، إلا أن هناك أناس مستظلون بظل العـرش، ومنهم السبعة الذين أخبر عنهم النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبوهريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: " **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب، وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه** "[2] ثم إذا اشتد الأمر بالناس، وبلغ الوهن والتعب منهم مبلغه، استشفعوا بالأنبياء واحداً تلو الآخر من أجل أن يشفعوا لهم عند الله لبدء الحساب، ثم يهتدون لطلبها من النبي محمد ﷺ فيجيبهم، ويقول: "أنا لها"، ثم تبدأ مرحلة أخرى وحدث آخر أصعب من سابقه وهو المحاسبة على الأعمال.

ثالثاً: جزاء الأعمال:

جعل الله تعالى لكل عبد من عباده ملائكة يكتبون أعماله كلها دقيقها وجليلها، حتى إذا كان يوم القيامة وجد كل منهم ما عمل محضراً في صحائف وكتب، ليس هذا فحسب؛ بل إن الله تعالى كي يقيم الحجة كاملة على العبد فإنه يُختم على فيه، ويجعل لأركانه وجوارحه قدرة على الكلام، فتشهد بما كان يكسب في الدنيا، والدليل ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "**كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ**

(1) انظر: فتح الباري (11/ 382-383).

(2) صحيح البخاري، كتاب الأذان(الصلاة)، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، رقم الحديث 660، ص 141.

وبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ "[1]، فإذا أقيمت عليه الحجة جوزي على أعماله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ولقد دلت سورة البقرة على جزاء الأعمال يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(البقرة:281) بمعنى أن الناس يأخذون أجورهم يوم القيامة تامة من غير نقصان، فيوم القيامة هو يوم العدل الذي لا ظلم فيه، يقول تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سورة البقرة:110) أي: وما تقدموا لأنفسكم من طاعة وعمل صالح، تجدوا ثوابه وأجره، حتى التمرة واللقمة تصبح عند الله مثل جبل أحد [2]، وجاءت جملة ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ لتأكيد ذلك الوعد، فهي تفيد أن الله تعالى يحيط علماً بجميع أعمال المكلفين مهما صغرت فلا يخفى عليه عمل عامل، وهذا يعني أن الأعمال محفوظة عنده سبحانه، وكل عامل يأخذ ثواب عمله يوم القيامة[3].

ولأن الله تعالى لا يظلم الناس شيئاً فإن مثاقيل الذر من أعمال الخير أو الشر لا تهمل في ميزان الله تعالى؛ بل إنه تعالى يوفي العبد جزاءه تاماً من غير نقصان، كما قال تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ (الزلزلة:7-8)، ولذلك يجب على المسلم أن لا يستحقر من المعروف شيئاً، أو من الذنوب شيئاً؛ لأن اليسير من الخير أو الشر إذا تراكم مع نظيره، قد يكون سبباً في منجاة العبد يوم القيامة أو هلاكه.

ولعظيم فضل الله تعالى وتمام عدله فإن جزاء السيئة سيئة مثلها، وهذا عدل منه تعالى، وأما الحسنة فإنه يضاعف الأجر لصاحبها إن شاء أضعافاً كثيرة، وهذا هو عين الفضل والكرم، وعين الرحمة، لأنه سبحانه خلق العباد وهو أعلم بضعفهم وانجذابهم للشهوات، فضاعف لهم الحسنات، وجعلها كفارة للسيئات، فإذا هم وصلوا إلى الجنة بعد الحساب، رزقهم الله فيها بغير حساب[4].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الزهد، والرقائق، باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، رقم الحديث 2969، ص1456-1457.

(2) انظر: معالم التنزيل (1/ 136).

(3) انظر:التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة 1397هـ - 1977م، (1 /316)

(4) انظر: في ظلال القرآن (5 / 2083).

ولعل سائلاً يسأل هل يجزى الكافر يوم القيامة على الأعمال التي قدمها في حياته من صلة الأرحام، وإغاثة اللهفان، ونصرة المظلوم، مما لو كانت من المسلم لكانت براً، وطاعة ؟

هذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها العلماء، قال بعضهم: إن هذه الأعمال توزن يوم القيامة، ولكنها لا تساوي شيئاً مقابل كفره فيُهَوَّن عليه من عذاب جهنم بقدر هذه الأعمال الصالحة، ولكنه لا يخرج من النار؛ لأن الله تعالى حرم الجنة على الكافرين (1).

وقال آخرون: إن الكفار لا يثابون على أعمالهم الحسنة يوم القيامة، ولا يخفف عنهم من عذاب جهنم شيئاً، ولكنهم يؤتون أجور أعمالهم في الدنيا كما قال النبي ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، ويُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ ، وأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا** " (2) (3)

وقد يظن بعض الناس أن في السنة ما ينافي القاعدة المذكورة مثل الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ ذُكر عنده عمه أبو طالب ، فقال:" **لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلَ فِي ضَحْضَاحٍ**(4) **مِنْ نَارٍ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ** "(5).

وهذا الحديث لا يعارض القاعدة المشار إليها، إذ ليس فيه أن عمل أبي طالب هو السبب في تخفيف العذاب عنه، بل السبب شفاعته ﷺ، فهي التي تنفعه، والشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه كرامة خص الله تعالى بها نبيه ﷺ؛ لأن الشفاعة في الكافرين لا تُقبل ولا تنفع كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾(المدثر: 48) (6).

---

(1) انظر: استدراكات البعث والنشور، جمعه: عامر حيدر، دار الفكر، بيروت، 1414هـ، ص 108.

(2) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، رقم الحديث 2808، ص 1382.

(3) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد الألباني، مكتبة المعارف، الرياض 1415هـ-1995 م، (119/1).

(4) الضحضاح هو ما يبلغ الكعبين من ماء ونحوه. انظر: النهاية في غريب الحديث، والأثر(3/ 75).

(5) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، رقم الحديث 210، ص129.

(6) انظر: السلسلة الصحيحة(120/1).

المبحث الثاني
الجنة والنار

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول : بيان أنهما مخلوقتان، وأنهما لا تفنيان

المطلب الثاني :حقيقة الجنة التي أهبط منها آدم عليه السلام

المطلب الثالث: طريق الجنة شاق

المطلب الرابع : نعيم أهل الجنة

المطلب الخامس : عذاب أهل النار

المطلب الأول

بيان أن الجنة والنار مخلوقتان ولا تفنيان

أولاً : بيان أن الجنة والنار مخلوقتان:

كتب الله تعالى لدار التكليف نهاية، يعقبها دار أخرى سرمدية، وهي دار الجزاء، والناس في دار الجزاء فريقان: فريق في الجنة، وفريق في النار، وعلى الرغم من أن الدخول الحقيقي[1] للجنة أو النار لا يكون قبل يوم القيامة؛ إلا أن الله تعالى خلق الجنة والنار، وأعد لأصحابهما ما يستحقونه من صنوف النعيم أو صنوف العذاب، فالجنة والنار مخلوقتان الآن، وهذا ما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة – على ما سيأتي بيانه – وهو اعتقاد أهل السنة، وأما المعتزلة، والجهمية[2]، والنجارية [3] فقد ضلوا في هذا الباب كما ضلوا في غيره، فأنكروا أن تكون الجنة والنار مخلوقتين الآن، وقالوا إنما تخلقان يوم الجزاء[4].

الأدلة على أن الجنة والنار مخلوقتان:

أولاً : الأدلة من القرآن:

1- قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة :24)

---

(1) أقصد بالدخول الحقيقي هو دخول الجنة أو النار بالجسد والروح، وإلا فإن روح المؤمن تدخل الجنة قبل يوم القيامة، وينال جسده شيئاً من النعيم لقوله ﷺ : (إنما نسمة المسلم طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة) مسند أحمد، رقم الحديث 15776 (25/ 55) ، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(2) الجهمية: إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية كانت لها آراء خاطئة في مفهوم الإيمان، وفي صفات الله تعالي وأسمائه، وترجع في نسبتها إلي مؤسسها الجهم ابن صفوان الترمذي، من أهم عقائدهم: إنكارهم جميع الأسماء والصفات لله سبحانه وتعالى، وإنكارهم الصراط والميزان، وقالوا بفناء الجنة والنار. انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، وبيان موقف الإسلام منها، غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط4، 1422هـ–2001م، (1131/3– 1138).

(3) النجارية: هم أتباع الحسين بن محمد النجار، وافقوا أهل السنة في بعض الأصول مثل خلق الأفعال، والاستطاعة، والإرادة، وأبواب الوعيد، كما وافقوا القدرية في بعض الأصول مثل نفي الرؤية، والحياة، والقدرة، ولهم آراء أخرى، وهؤلاء فرق كثيرة البرعوسية، والزعفرانية، والمستدركية، والحفصية. انظر: الفرق بين الفرق، ص 207 –209.

(4) انظر: لوامع الأنوار البهية (2/ 231)، تفسير البحر المحيط (1/ 251).

وهذه الآية استدل بها أهل السنة في القول بأن النار مخلوقة؛ لأن الإعداد هو تهيئة الشيء، ولا يكون ذلك إلا للموجود[1].

2- قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ (البقرة:25)

"وهذا إخبار عن وقوع هذا الملك وحصوله، وحصول الملك في الحال يقتضي حصول المملوك في الحال، فدل على أن الجنة والنار مخلوقتان"[2].

3- قوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة:35) فآدم عليه السلام، وزوجه دخلا الجنة التي هي دار الخلد فترة من الزمن، ثم أُخرجا منها بسبب أكلهما من الشجرة، وهذا دليل على أن الجنة مخلوقة، وأن خلقها سبق خلق آدم عليه السلام، وما ذهب إليه البعض من أن الجنة التي سكنها آدم هي بستان من بساتين الدنيا فهو قول مرجوح، كما سيأتي فيما بعد؛ لأن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وعده الرد إليها، ولا يكون رده إلى بساتين الدنيا[3].

هذه الأدلة التي تضمنتها سورة البقرة ، وهناك الكثير من الآيات القرآنية المبثوثة في ثنايا السور، والتي تثبت أن الجنة والنار مخلوقتان الآن منها: قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: 133)، وقوله تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ (الحديد:21)، فالتعبير بصيغة الماضي في قوله تعالى أعدت للمتقين دليل على أنها مخلوقة، وموجودة بالفعل في الدنيا[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ (سورة النجم13-15) فالنبي ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج رأى سدرة المنتهى،

---

(1) انظر: البحر المحيط (1 / 250).

(2) اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي الدمشقي، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ-1998م (1 / 445 - 446).

(3) الغنية في أصول الدين، عبد الرحمن النيسابوري، تحقيق: عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ-1987م، ص168 .

(4) انظر: شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط2، 1431هـ- ص 91 .

وهي شجرة في الجنة، ثمرها مثل القلال، وورقها مثل آذان الفيلة كما وصفها الرسول ﷺ عندها جنة الخلد.

ثانياً : من السنة النبوية:

1- قوله ﷺ :" **لَمَّا خلَقَ اللهُ الجنةَ والنارَ، أرْسَلَ جبرائيل إلى الجنةِ، فقال: انظُرْ إليها وإلى ما أعْدَدْتُ لأهلِها فيها، قال: فجاءَها، ونظَر إليها وإلى ما أعَدَّ اللَّهُ لأهلِها فيها، قال: فرجع إليهِ، قال: فوَعِزَّتِكَ لا يَسمَعُ بها أحَدٌ إلَّا دَخَلَها، فأمَرَ بها فحُفَّت بالمَكارِهِ، فقال: ارجِع إليها فانظُر إليها وإلى ما أعْدَدْتُ لأهلِها فيها، قال: فرجع إليها، فإذا هي حُفَّت بالمَكارِهِ، فرجع إليه، فقال: وعِزَّتِكَ لقد خِفْتُ أنْ لا يَدْخُلَها أحَدٌ، قال: اذهب إلى النارِ، فانظر إليها وإلى ما أعْدَدْتُ لأهْلِها فيها، فإذا هي يَرْكَبُ بَعضُها بَعضًا، فرجَع إليه، فقال: وعِزَّتِكَ لا يَسمَعُ بها أحَدٌ فيَدْخُلَها، فأمَرَ بها فَحُفَّت بالشَّهَواتِ، فقال: ارجع إليها فرجع إليها، فقال: وعِزَّتِكَ لقد خَشيتُ أنْ لا يَنجوَ منها أحَدٌ إلَّا دَخَلَها**" [1].

2- قوله ﷺ: "**والذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لو رأيتُمْ ما رأيتُ لضحِكتُمْ قليلًا، ولبَكيتُمْ كثيرًا، قالوا: وما رأيتَ يا رسولَ اللهِ ؟ قال: رأيتُ الجنةَ والنارَ** "[2].

3- قوله ﷺ:" **أُرِيْتُ النار فإذا أكثر أهلِها النساء يَكفُرنْ، قيل : أيَكفُرنَ باللهِ؟ قال: يَكفُرنَ العشير[3]، ويَكفُرنَ الإحسانَ، لو أحسنتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهرَ ثمَّ رأت منْكَ شيئًا قالت: ما رأيتُ منْكَ خيرًا قطُّ** "[4].

فهذه الأحاديث وما كان في معناها دليل على أن الجنة والنار موجودتان الآن، وأن النبي ﷺ رآهما رأي العين، وبالتالي فإنه يجب علينا أن ندين بما دان به السلف الصالح من اعتقاد كونهما مخلوقتين؛ لتضافر النصوص في الدلالة على ذلك.

(1) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة عن رسول اللهﷺ ، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، رقم الحديث 2560، ص 577، قال الألباني: حسن صحيح.

(2) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما، رقم الحديث: 426، ص212.

(3) أي يجحدن فضل الزوج . انظر: منار القاري(1/ 113).

(4) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون كفر، رقم الحديث 29، ص29.

ثانياً: كون الجنة والنار باقيتين لا تفنيان:

ليس كل ما خلقه الله تعالى يفنى[1]، فعرش الرحمن مثلاً مخلوق، ولكنه لا يفنى، وكذا الجنة والنار، فالله تعالى خلقهما للبقاء لا للفناء، "وبقاؤهما ليس لذاتهما بل بإبقاء الله تعالى لهما"[2]، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، قال الطحاوي: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً، ولا تبيدان"[3]

وقال السفاريني بعد أن ذكر الأدلة من القرآن والسنة على خلود الجنة والنار: "فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً، كلٌّ بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة، فأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع" [4].

فنعيم أهل الجنة سرمدي باقٍ لا نهاية له، وعذاب الكفار في النار لا نهاية له ولا انقطاع؛ بل هو متواصل أبداً[5]، هذا ما أجمع عليه علماء الإسلام إلا أن الجهمية، وأبا الهذيل[6]، وقوماً من الروافض خالفوا الإجماع، فقالت الجهمية بفناء الجنة والنار وفناء أهلهما كذلك[7]، وهذه المقالة أدت إلى تكفير الجهمية، جاء في كتاب السنة: "كفرت الجهمية بآيات من كتاب الله ﷻ في غير موضع، بقوله تعالى: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾(الرعد: 35)، وهم يقولون لا يدوم، ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن

(1) هذا النفي ليس على إطلاقه، وإنما يراد به ثمانية مخلوقات لا تدخل في حيز الفناء جمعها السيوطي في قوله:
ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون في حيز العدم   هي العرش والكرسي نار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، جلال الدين السيوطي، المكتب الإسلامي، دمشق ط1، 1382هـ، (1 / 96).

(2) نور اليقين في أصول الدين في شرح عقائد الطحاوي، حسن البوسنوي، تحقيق: زهدي البوسنوي، مكتبة العبيكان ط 1 – 1418هـ – 1997 م، الرياض، ص 222.

(3) شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ص 420 .

(4) لوامع الأنوار البهية (2 /234).

(5) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: بشير عيون، مكتبة المؤيد، السعودية، ط2، 1409هـ–1988م، ص 194.

(6) هو محمد بن محمد بن الهذيل العلاف، من أئمة المعتزلة. ولد في البصرة، واشتهر بعلم الكلام، له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات. وكان حسن الجدل قوي الحجة، له كتب كثيرة، منها كتاب سمّاه (ميلاس) على اسم مجوسي أسلم على يده. توفي بسامرا سنة 235هـ، انظر: الأعلام (7 /130–131).

(7) انظر: لوامع الأنوار البهية (2 /235).

﴿ نَّفَادٍ ﴾(ص: 54)، وهم يقولون ينفد، وبقوله تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾(الواقعة: 33) فمن قال إنها تنقطع فقد كفر، وبقوله تعالى: ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾(هود: 108) أي غير مقطوع، فمن قال إنه ينقطع فقد كفر"[1]

وقال أبو الهذيل ببقاء الجنة والنار وعدم فناء أهلهما، إلا أن حركاتهم تسكن حتى يصيروا كالجماد، وقالت تلك الطائفة من الروافض: إن الجنة والنار تفرغان من أهلهما، ويخرجون منهما إلى حيث شاء الله[2].

والنصوص القرآنية والنبوية الدالة على بقاء الجنة والنار كثيرة جداً، يتعذر ذكرها برُمَّتها، ولكن سنذكر منها ما يتعلق بسورة البقرة وبعض الأحاديث النبوية إن تيسر ذلك.

يقول تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ (البقرة :25)

فقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ): لدفع كل وهم يمكن أن يطرأ على فكر الإنسان من اعتقاد زوال اللذات وانقطاعها كما هو الحال في الدنيا، إذ إن جميع الملذات في الدنيا معرضة للزوال، وهذا مما يكدر خاطر المنعم عليه، وأما في الجنة فإن الملذات تبقى ولا تزول، وهذا من تمام النعيم [3].

ومن الآيات التي تدل على بقاء الجنة والنار وبقاء أهل كل منهما فيها ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ (البقرة :39) فالتعبير بالخلود يقطع الأمل لدى أصحاب النار في الخروج منها.

ومن الآيات الدالة على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (البقرة 81–82)، وقال تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ

(1) السنة عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد القحطاني، دار ابن القيم، (1 /130 – 131).
(2) انظر: الفصل في الملل (145/4).
(3) انظر: التحرير والتنوير (1 /357).

﴿ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة :86) فأهل النار من الذين كفروا بكتب الله ﷻ خالدون في العذاب الشديد، الذي لا يهون بأي حال من الأحوال، وفي أي وقت من الأوقات.

ومنها قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة: 167) قال الطبري: "وفي هذه الآية الدلالة على تكذيب الله الزاعمين أن عَذابَ الله أهل النار من أهل الكفر مُنقضٍ، وأنه إلى نهاية، ثم هو بعد ذلك فانٍ؛ لأن الله –تعالى ذِكره– أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية، ثم ختم الخبر عنهم بأنهم غير خارجين من النار، بغير استثناء منه وقتًا دون وقت، فذلك إلى غير حدّ ولا نهاية"[1]، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة :217)، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة :257)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة :275).

وأما الأحاديث الدالة على خلود أهل الجنة وأهل النار من الكفار، فمنها قوله ﷺ: **"يُجاءُ بالمَوتِ يومَ القيامةِ كأنَّهُ كبشٌ أملَحُ**[2]**، فيوقَفُ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ، فيُقالُ: يا أَهلَ الجنَّةِ، هل تعرِفونَ هذا ؟ فيَشرَئبُّونَ**[3]**، وينظُرونَ، ويقولونَ: نعم، هذا المَوتُ، قال: ويُقالُ: يا أهلَ النَّارِ، هل تعرِفونَ هذا؟ قال فيَشرَئبُّونَ، وينظُرونَ، ويقولونَ: نعم، هذا المَوتُ، قال فيؤمَرُ بهِ فيُذبَحُ، قال: ثمَّ يُقالُ: يا أهلَ الجنَّةِ خلودٌ فلا مَوتَ، ويا أهلَ النَّارِ خلودٌ فلا مَوتَ، قال ثمَّ قرأ رسولُ اللَّهِ ﷺ:** ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (مريم: 39)[4]

---

(1) جامع البيان، الطبري(3 / 299).

(2) الذي فيه بياض وسواد، ويكون البياض أكثر. لسان العرب، ص 4256.

(3) أي يرفعون رؤوسهم لينظروا. انظر: فتح الباري (8/ 428).

(4) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم الحديث: 2849، ص 1398.

ومنها قوله ﷺ : "**ينـادي منادٍ: إنَّ لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكـم أن تشبُّوا فـلا تَهرموا أبدًا، وإنَّ لـكم أن تَنعمـوا فـلا تَبْأسوا أبدًا، فـذلِك قولُه** ﷻ:﴿ **وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ** ﴾(الأعراف 43)"[1].

يستفاد من مجموع الآيات والأحاديث أن أصحاب الجنة باقون في النعيم السرمدي، وكذلك أصحاب النار من الكفار يخلدون في العذاب الذي لا انقطاع له.

(1) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، وقوله تعالى: (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون)، رقم الحديث: 2837، ص: 1394.

المطلب الثاني

حقيقة الجنة التي أهبط منها آدم عليه السلام

يقول تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(البقرة:35)

اختلف أهل العلم في تعيين الجنة التي أمر الله آدم عليه السلام بسكناها، فقال بعضهم: هي جنة في الأرض، وهو قول المعتزلة، وقال آخرون: هي جنة أخرى كانت فوق السماء السابعة، وهذا القول لا دليل عليه، فلم يثبت أنّ في السماء غير بساتين جنة الخلد، وقال آخرون: بل هي جنة الخلد التي سيدخل الله فيها الصالحين من عباده، وهذا قول جمهور السلف [1].

يقول ابن تيمية: "والجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة هي جنة الخلد، ومن قال إنها جنة في الأرض بأرض الهند، أو أرض جدة، أو غير ذلك فهو من المتفلسفة،والملحدين، أو من إخوانهم المتكلمين المبتدعين، فإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة، والمعتزلة"[2]، ومن العلماء من توقف في تعيين الجنة بحجة تعارض الأدلة النقلية[3].

أولاً: أدلة من اختار أنها جنة الخلد:

1- قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾(البقرة:35-36) فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين؛ أحدهما: أن لفظة (اهبطوا) لا تستعمل إلا للدلالة على النزول من علو إلى سفل، وثانيهما: قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾عقب قوله ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾، وهذا يبين أنهم لم يكونوا في الأرض، وإنما أهبطوا إلى الأرض؛ فإنهم لو كانوا في الأرض وانتقلوا إلى أرض أخرى، لكان مستقرهم ومتاعهم إلى حين في الأرض قبل الهبوط وبعده [4].

---

(1) انظر: البداية والنهاية (1/ 175-176).

(2) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية(4/ 213).

(3) منهم الرازي. انظر: مفاتيح الغيب (3 / 3).

(4) انظر: مفتاح دار السعادة (1/ 134).

2- إن الصفات التي وصف الله تعالى بها الجنة التي أسكنها آدم عليه السلام نحو قوله تعالى :﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ (طه: 118-119) لا تتوفر في أي جنة دنيوية، إذ لابد للإنسان أن يعرض له في الدنيا شيء من الجوع، أو العطش، أو العري، ولو كان في أرغد عيش، وهذا يعني أن الجنة التي دخلها آدم عليه السلام وزوجه هي جنة الخلد، وهي التي ينطبق عليها كل ما وصفه الله بها [1].

3- لو كانت تلك الجنة في الدنيا لما اغتر آدم عليه السلام بقول إبليس : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ (طه: 120)، إذ كيف يطلب الخلد وهو في دار الفناء ؟ [2]

4- أن لفظة الجنة المذكورة في سياق الحديث عن جنة آدم عليه السلام جاءت معرّفة بلام التعريف في جميع المواضع، وهذه اللام لا ترتبط بأي اسم إلا إذا كان هذا الاسم معهوداً ومعروفاً لدى المخاطبين، ولا جنة يعرفها المخاطبون غير جنة الخلد، فحيثما جاءت معرّفة باللام كان المقصود بها جنة الخلد، وأما إن أريد بها جنة غيرها فإنها تجيء نكرة، أو مقيدة بالإضافة، أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة في الأرض[3].

5- قول النبي ﷺ: "**يَجمعُ اللهُ تعالى النَّاسَ فيقومُ المؤمنون حتى تَزْلِفَ[4] لهُم الجنَّةُ فيأتون آدمَ عليه السلام فيقولون يا أبانا اسْتَفتِحْ لنا الجنَّةَ فيقولُ: وهل أخرجكم من الجنَّةِ إلا خطيئةُ أبيكم آدم**"[5] فهذا يدل على أن الجنة التي أُخرج منها هي بعينها التي يُطلب منه أن يستفتحها لهم" [6].

6- حديث احتجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وقول موسى عليه السلام لآدم عليه السلام: "**أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ النَّاسَ مِنْ الْجَنَّةِ بِذَنْبِكَ، وَأَشْقَيْتَهُمْ** " [7]، وموسى عليه السلام إنما لام آدم عليه السلام على المصيبة التي لحقته وذريته جراء أكله من الشجرة، وهي خروجه من جنة الخلد، ولو كانت الجنة التي

---

(1) انظر: مفتاح دار السعادة (1/ 134)، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تحقيق: زائد النشيري، دار عالم الفوائد (1/ 57-58).
(2) انظر: حادي الأرواح (1/ 58).
(3) انظر: المصدر السابق (1/ 63-64)، والبداية والنهاية (1/ 175).
(4) أي تقرب. مرقاة المفاتيح (277/10).
(5) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث: 195، ص 124.
(6) مفتاح دار السعادة (1/ 133).
(7) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى)، رقم الحديث: 4738، ص 916 .

قصدها موسى عليه السلام بستاناً في الأرض، لكان غيره من بساتين الأرض يعوض عنه، كما أن آدم عليه السلام لم يخرج ذريته من بساتين الدنيا[1].

7- "لو أسكن آدم عليه السلام جنة في الأرض لما كان في إخراجه منها إلى غيرها من الأرض عقوبة"[2].

هذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد.

ثانياً: أدلة القائلين بأنها جنة في الأرض:

وأما الذين قالوا بأن الجنة التي سكنها آدم هي جنة في الأرض فقد احتجوا بأمور منها:

1- أن جنة الخلد لا يدخلها أحد قبل يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد، فكيف يقال إن آدم دخلها؟[3].

2- أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام في الأرض كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾(البقرة:30)، ولم ينقله إلى السماء، فدل ذلك على أن الجنة التي سكنها آدم هي جنة أرضية دنيوية، وليست هي جنة الخلد[4].

3- أن الجنة دار جزاء وثواب، وليست دار امتحان وتكليف، فكيف يمتحن فيها آدم عليه السلام؟![5].

4- لو كانت الجنة التي أسكنها آدم هي جنة الخلد ما وصل إليها إبليس، فإن الله تعالى يقول: ﴿ **لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا** ﴾ (النبأ:35)[6]

5- لو كانت جنة الخلد لما أكل آدم عليه السلام وزوجه من الشجرة رجاء الخلود [7].

6- جنة الخلد هي دار القدس، سميت بذلك لأنها طهرت عن الخطايا والمعاصي، ولا يدخلها إلا طاهر مقدس، وقد دخلها إبليس الخبيث، ولغى فيها، وكذب، وأخرج منها آدم وحواء بمعصيتهما[8].

---

(1) انظر: مجموعة الفتاوى ابن تيمية (4/ 214)، حادي الأرواح(1/57).
(2) الفصل (4/ 143).
(3) انظر: مفتاح دار السعادة (1/ 125-126).
(4) انظر: مفاتيح الغيب (3 /3-4).
(5) انظر: حادي الأرواح (1 /66).
(6) الجامع لأحكام القرآن(1/ 450).
(7) انظر: المصدر السابق (1/ 451).
(8) انظر: مفتاح دار السعادة(1/ 128)، الجامع لأحكام القرآن(1/ 450).

7- لو كانت الجنة التي دخلها آدم هي جنة الخلد لوجب فناؤها قبل يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(القصص: 88)، ومن المعلوم أن جنة الخلد لا يفنى نعيمها، فدل ذلك على أن الجنة التي دخلها آدم ليست هي جنة الخلد [1].

8- أن جنة الخلد لا يخرج منها أهلها كما قال تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾(الحجر: 48)، ولكن آدم خرج منها، ولم يخلد فيها[2].

هذه بعض الأدلة التي استدل بها القائلون بأن الجنة التي سكنها آدم هي جنة في الأرض، وليست جنة الخلد، وهي أدلة لا تسلم من الاعتراض لما يأتي:

بالنسبة لما قالوه من أن الجنة لا يدخلها أحد قبل يوم القيامة، فيجاب عليه بأن "الدخول العارض قد يقع قبل يوم القيامة بدليل أن النبي ﷺ دخلها ليلة الإسراء والمعراج، ورأى ما فيها من نعيم" [3].

وأما قولهم إن الله تعالى خلق آدم في الأرض، ولم يذكر في القصة أنه نقله إلى السماء، فيرد عليه بأنه لم يقم دليل على أن الله تعالى خلق آدم في الأرض، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(البقرة:30) محمول على ما سيكون في المستقبل؛ لأنه سبق في علم الله تعالى أن آدم سيقع في المعصية، وبالتالي ستكون الأرض مستقراً له، وهذا لا ينفي أن يكون قد دخل جنة الخلد، كما أن قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) دليل على أن آدم عليه السلام التقى بالملائكة في السماء، وعلمهم الأسماء، فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض[4].

وأما قولهم إن الجنة ليست دار تكليف وقد كلف الله آدم فيها بالنهي عن الشجرة، فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن التكليف ينقطع في حال دخلها المؤمنون يوم القيامة، وأما انقطاع التكليف قبل ذلك فلا دليل عليه.

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب (3/3).
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن(1/ 450)، حادي الأرواح(1/ 67).
(3) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد القسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر (117/1).
(4) انظر: حادي الأرواح(1/ 90).

ثانيهما: أن آدم عليه السلام لم يكن مكلفاً بشيء من الأعمال التي يكلف الناس فيها في الدنيا، وإنما كان مكلفاً بعدم الاقتراب من شجرة واحدة من أشجار الجنة، ومثله واقع لأهل الجنة، فكل واحد منهم مكلف بألا يقرب أهل غيره [1].

وأما ما قالوه بأنه لو كان في جنة الخلد ما كان بحاجة إلى شجرة الخلد، فهو مردود عليهم، إذ كيف يمكن لآدم وهو أرجح الناس عقلاً أن يطلب شجرة الخلد وهو في دار الفناء ؟![2]

وأما قولهم: لو كانت جنة الخلد ما وصل إليها إبليس، فجوابه: "لا يمتنع أن يجتمع إبليس بآدم وزوجه في الجنة على سبيل المرور فيها، لا على سبيل الاستقرار بها، أو أنه وسوس لهما وهو على باب الجنة" [3] .

وأما قولهم: إن الجنة دار القدس وقد طهرها الله تعالى من الخطايا، فجهل منهم، " وذلك أن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة وهي الشام، وأجمع أهل الشرائع على أن الله تعالى قدسها، وقد شوهد فيها من المعاصي، والكفر، والكذب، ولم يكن تقديسها مما يمنع فيها المعاصي، وكذلك دار القدس"[4] .

وأما قولهم إن الجنة التي كان فيها آدم لو كانت جنة الخلد لفنيت لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ (القصص:88)، فهو يفصح عن الاعتقاد الباطل الذي اعتقدوه من كون الجنة والنار غير مخلوقتين بحجة أنهما لو كانتا كذلك لفنيتا، وقد تقدم جوابه من أن الجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء والهلاك، فهما من الأمور التي لا تدخل حيز العدم والفناء.

وقولهم: لو كانت جنة الخلد ما خرج منها آدم، فجوابه: أن من دخل الجنة مثاباً لا يخرج منها، وأما من دخلها ابتداءً فغير مستحيل، وقد أجمع أهل التأويل على أن الملائكة يدخلون الجنة على أهل الجنة، و يخرجون منها، وقد دخلها النبي ﷺ ليلة الإسراء ثم خرج منها، وأخبر بما فيها، وأنها هي جنة الخلد حقاً [5].

من خلال النظر في أدلة الفريقين يتبين أن القول بأن جنة آدم هي جنة الخلد هو القول الذي تطمئن له النفس؛ لأن الأدلة قوية لا يوجه لها أي نقد أو اعتراض، كما أن القائلين بأن جنة آدم هي جنة في الأرض جُلُّهم من المعتزلة، الذين أنكروا كون الجنة والنار مخلوقتين الآن، لأدلة

---

(1) انظر: حادي الأرواح (1/ 87-88).
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن(1/ 452).
(3) البداية والنهاية (1 / 178).
(4) الجامع لأحكام القرآن (1/ 451).
(5) انظر: المصدر السابق (1/ 451).

عقلية اعتمدوها، وأدلة نقلية أوّلوها بما لا يتفق مع ظواهر النصوص، ولأجل مقالتهم تلك أنكروا أن تكون الجنة التي دخلها آدم هي جنة الخلد، وقد تقدم إبطال المقدمة الأولى، وعليه تبطل المقدمة الثانية.

المطلب الثالث

طريق الجنة شاق

إن الجنة هي أسمى مرغوب، وأعز مطلوب، وهي سلعة الله التي لا تدانيها سلعة، ودخول الجنة لا يدرك بمجرد التمني؛ بل لا بد للإنسان من مجاهدة النفس في فعل الخيرات، وترك الشهوات والمنكرات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولقد مضت سنة الله تعالى في الذين آمنوا أن يبتليهم بالمصائب والمحن؛ حتى إن الواحد منهم كان يُنشر بمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشَّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، وما يثنيه ذلك عن دينه، كما بين ذلك النبي ﷺ[1].

ولقد بينت سورة البقرة أن دخول الجنة ليس بالأمر الهين اليسير؛ بل هو على العكس تماماً، فقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة :214)

في هذه الآية يخبر الله سبحانه وتعالى أنه لابد أن يبتلي عباده المؤمنين القائمين على الحق بصنوف الابتلاءات والمحن، فمن رضي بقدر الله وصبر على هذه المحن، فأولئك هم المؤمنون حقاً، ومن قِبَلهم يأتي النصر، وأما من جعل فتنة الناس كعذاب الله، وتخلى عما يحمل من أفكار وعقائد ومبادئ، فهو الكاذب في دعوى الإيمان[2].

وهذه الابتلاءات والمحن ليست حكراً على الأمة الإسلامية وحدها، وإنما أصاب الله بها الأمم السابقة من مؤمني أهل الكتاب، فقد أصابتهم كما أخبر الله تعالى عنهم البأساء أي: الفقر، والضراء أي: الأمراض في أبدانهم، وزلزلوا بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي، وأخذ

---

(1) عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، ومَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، ويُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، ومَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» . صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث 3612، ص 690.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص96.

الأموال، وقتل الأحبة، وأنواع المضار حتى وصلت بهم الحال، وآل بهم الزلزال، إلى استعجال نصر الله مع يقينهم بأن الله معهم وأنه ناصرهم [1].

وسؤال الرسول عليه السلام والمؤمنين معه: «مَتى نَصْرُ اللَّهِ؟» يصور مدى المحنة التي دفعت مثل هذه القلوب الموصولة بالله إلى استعجال النصر، ولن تكون إلا محنة فوق الوصف، ولن يأتي النصر إلا بعد الثبات على هذه المحن[2].

ومن تأمل واقع المسلمين اليوم يجده ترجمة فعلية لهذه الآية، فإن كل من يحمل فكراً صافياً وعقيدة غير مشوهة فهو معرض لصنوف الابتلاءات ولا أدل على ذلك من حال إخواننا في مصر وسوريا- عجَّل الله خلاصهم- الذين ما برحت الأنظمة الحاكمة في تعذيبهم أو نفيهم أو حبسهم ليس لشيء إلا لأنهم أرادوا إقامة دولة إسلامية، فلما بلغ السيل الزبى أصبح لسان حالهم يقول: (متى نصر الله؟)، ونصر الله تعالى أقرب مما يتصورون ولكن لعل الله تعالى يؤخره لحكمة جليلة هو أعلم بها.

إن الصراع بين أهل الحق والباطل وثبات القائمين بالحق على آرائهم رغم المحن والابتلاءات يمنح النفوس قوة، ويهب العقيدة عمقاً وقوة وحيوية، ومن خلال الثبات على الحق تتغير الموازين لصالح أهل الحق فينحاز إليهم من كانوا يحاربونهم، ويناصرهم أشد المناوئين لهم. هذا هو الطريق الذي سيسلكه كل مؤمن: إيمان وجهاد، ومحنة وابتلاء، وصبر وثبات، وتوجه إلى الله وحده، ثم يجيء النصر، ثم يجيء النعيم[3].

فالطريق إلى النصر والطريق إلى الجنة محفوفان بالمكاره والعقبات، كما أخبر بذلك النبي ﷺ في الحديث الذي رواه عنه أبو هريرة ﷺ: "**حُجِبت النارُ بالشَّهواتِ، وحُجِبَت الجنةُ بالمكاره** "[4].

قال القرطبي: "المكاره كل ما يشق على النفس فعله، ويصعب عليها عمله كالطهارة في الصلوات، وغيرها من أعمال الطاعات، والصبر على المصائب وجميع المكروهات، والشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها، وتدعو إليه ويوافقها" [5].

ونظراً لوعورة الطريق الموصل إلى الجنة، وما أحيط بها من عقبات تتمثل في كسر شهوات النفس، فإن جبريل عليه السلام أشفق من أن لا يدخلها أحد، كما جاء في قوله ﷺ:" **لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ**

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص 96.

(2) انظر: في ظلال القرآن (1 /218).

(3) انظر: المصدر السابق (218/1-219)

(4) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، رقم الحديث: 6487، ص 1244.

(5) يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار، محمد القنوجي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة عاطف – دار الأنصار – القاهرة، ط1، 1398هـ- 1987 م ، ص 220.

الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَىْ رَبِّ، وعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَىْ رَبِّ، وعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ " (1).

(1) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار، رقم الحديث: 4744، ص 516، قال الألباني: حسن صحيح .

المطلب الرابع

نعيم أهل الجنة

الجنة هي دار النعيم الكامل الذي لا يتخلله نقص، ولا يعكره كدر، أعدها الله تعالى لعباده الصالحين المتقين، جزاء إيمانهم الصادق وعملهم الصالح، وما اشتملت عليه الجنة من النعيم الذي أخبر الله ﷻ عنه وكذا رسوله ﷺ لا يمكن للعقل البشري إدراكه واستيعابه [1]، وكل ما في هذه الدنيا من أصناف النعيم لا يماثل نعيم الجنة وإن اتفقت الأسماء؛ لقول رب العزة في الحديث القدسي: " **أعددتُ لعباديَ الصَّالحينَ ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ** "[2]، وإن النعيم الذي ينسى فيه أبأس أهل الأرض كل بؤسه بمجرد غمسة واحدة فيه لهو نعيم يحار العقل فيه حقاً، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال:"**ويؤتَى بأشدِّ النَّاسِ بؤسًا في الدُّنيا من أَهلِ الجنَّةِ فيُصبَغُ صبغةً في الجنَّةِ فيقالُ لهُ يا ابنَ آدمَ هل رأيتَ بؤسًا قطُّ؟ هل مرَّ بِك شدَّةٌ قطُّ؟ فيقولُ لا واللَّهِ يا ربِّ، ما مرَّ بي بؤسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شدَّةً قطُّ** "[3].

ولقد بينت سورة البقرة شيئاً من هذا النعيم، ومنه:

أولاً: الأنهار: يقول الله تعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ** ﴾(البقرة :25)

فهذه الآية تحمل البشرى للمؤمنين، الذين قرنوا إيمانهم بالعمل الصالح، بأن لهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، وغرفها، وأشجارها، وغروسها، وثمارها .

وأنهار الجنة تتفجر من الفردوس، كما قال النبي ﷺ: "**إنَّ في الجنَّةِ مائةَ درجةٍ ، أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيلِ اللهِ، ما بين الدَّرجتَيْن كما بين السَّماءِ والأرضِ، فإذا سألتم اللهَ فاسألوه الفردوسَ، فإنَّه أوسَطُ الجنَّةِ، وأعلَى الجنَّةِ، فوقه عرشُ الرَّحمنِ**"[4] ، والجنة لا تحوي أنهار الماء فحسب؛ بل فيها أنهار من لبن، وخمر، وعسل مصفى يقول الله تعالى : ﴿ **مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ**

---

(1) انظر: الجنة والنار، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط7، 1418 هـ – 1998 م، ص 117.

(2) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ومن سورة الواقعة، رقم الحديث: 3292، ص 743، قال الألباني: حسن صحيح.

(3) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة، رقم الحديث: 2807، ص 1381 .

(4) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم الحديث 2790، ص539.

ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ[1] وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾(محمد: 15)[2].

يقول ابن القيم عقب هذه الآية: " فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وأن يصير قارصاً[3]، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته، وهذا من آيات الرب تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخدود، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها "[4].

ولقد ذكرت في النصوص القرآنية والنبوية أسماء أنهار في الجنة، ومن ذلك نهر الكوثر الذي أعطاه الله تعالـى نبيـه محمداً ﷺ، ولقد سميت سورة باسم هذا النهر وهي سورة الكوثر، ووصف النبي ﷺ نهر الكوثر في قوله: " **الْكَوْثَرُ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، مَجْرَاهُ عَلَى الْيَاقُوتِ والدُّرِّ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، ومَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ**"[5].

ومن أنهار الجنة التي أخبرنا عنها النبي ﷺ: سيحان، وجيحان، والنيل، والفرات، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: " **سَيْحَانُ، وجَيْحَانُ، والنِّيلُ، والْفُرَاتُ، كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ** "[6].

ومن أنهار الجنة: ماء الحياة، وهو النهر الذي يلقى فيه قوم لم يعملوا خيراً قط بعد أن امتحشوا من نار جهنم، وهم عتقاء الله من النار، فيلقون في ماء الحياة، فتنبت أجسامهم كما تنبت الحبة الصغيرة إذا حملها السيل، يشهد لذلك الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ الذي قال فيه:" **فيشفع النّبيّون، والملائكة، والمؤمنون، فيقول الجبّار: بقيت شفاعتي. فيقبض قبضةً من النّار، فيخرج أقوامًا قد امتحشوا**[7]**، فيلقون في نهر بأفواه الجنّة يقال له ماء الحياة، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبّة في حميل السّيل**[8] "[9]، ومنها أيضاً: نهر بارق يكون على

---

(1) أي غير متغير. تاج العروس (34 / 176).
(2) الجنة والنار، ص 167.
(3) حامضاً. تاج العروس(18 / 88).
(4) حادي الأرواح (1 / 376).
(5) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الكوثر، رقم الحديث: 3361، ص 763، قال الألباني: صحيح.
(6) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، رقم الحديث: 2839، ص1395.
(7) بمعنى احترقوا. لسان العرب، ص 4144.
(8) أي ما يجيء به السيل من طين وغيره. انظر: فتح الباري (11/ 458).
(9) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) (القيامة 22-23)، رقم الحديث: 7439، ص 1418-1419.

باب الجنة، ويكون الشهداء في البرزخ عند هذا النهر، قال رسول الله ﷺ: " **الشهداء على بارق، نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً** "[1][2].

ثانياً: الثمار:

يقول الله تعالى : ﴿**كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا**﴾ (البقرة :25)

إن في الجنة ما تشتهيه الأنفس من طيب الثمار والمأكولات، ولأهل الجنة مقالة حين يأتيهم رزقهم من ثمر الجنة، فهم يقولون (هذا الذي رُزقنا من قبل)، وذلك لأن ثمار الجنة يشبه بعضها بعضاً في اللون والشكل، وإن اختلفت في الطعوم، وليس كما قال البعض أن المراد هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا[3]، فقولهم لا يستقيم؛ ذلك لأن حقائق الموجودات في الآخرة ليست كما هي في الدنيا وإن اتفقت الأسماء، فقد ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: "ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء"[4]، فثمار الجنة تختلف عن ثمار الدنيا، يدل على ذلك قول النبي ﷺ لأصحابه حين قالوا له: "يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً من مكانك هذا ثم رأيناك تكعكعت"، فقال: " **إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ أو أريت الجنة، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، ولَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا** "[5].

فإن كان عنقود واحد من عنب الجنة كفيلاً بأن يطعم أهل الدنيا فما ظنك بالشجرة؟ ولأن الجنة دار راحة ونعيم، لا نصب فيها، فإن ثمار الجنة تكون دانية ومذللة لأهلها، يأكلون منها على أي حال شاءوا سواء كانوا قائمين، أو قاعدين، أو متكئين، بخلاف ثمار الدنيا التي لا تُنال إلا بتعب وكد[6].

---

(1) مسند أحمد، رقم الحديث: 2390 (4/ 220) ، قال الأرنؤوط: إسناده حسن، قال الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير وزياداته، رقم الحديث 3724 (1/ 65).
(2) انظر: الجنة والنار، ص 168.
(3) انظر: جامع البيان، الطبري (1 /387).
(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(1/ 322).
(5) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب كفران العشير وهو الزوج وهو الخليط من المعاشرة، الرقم :5197، ص1030.
(6) انظر: تفسير الخازن (7 / 10).

وفي قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾(البقرة: 35) دليل على أن ثمار الجنة موجودة في كل وقت "لأن التعميم في المكان الذي تدل عليه الآية يقتضي التعميم في الزمان"[1]، ومن الآيات التي عبرت عن هذا المعنى في غير سورة البقرة، قوله تعالى في وصف ثمار الجنة: ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾(الواقعة:33) أي: لا تنقطع في بعض الأزمان بل هي موجودة في كل آن، ومنها قوله تعالى: ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ (الرعد:35) أي: "ليس كالدنيا، التي تأتي ثمارها في بعض الفصول، وتفقد في وقت آخر، وتكتسي أشجارها الأوراق في وقت، وتخلعها في وقت آخر، ولا ممنوعة: أي من أرادها فإنها ليس دونها حجاب ولا مانع؛ بل من أرادها فهي موجودة، سهلة، منالها قريب"[2].

ثالثاً: الأزواج المطهرة: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ (البقرة:25)

من النعيم الذي يؤتيه الله أهل الجنة أن يزوجهم بزوجات طاهرات، مطهرات من الخبث المادي والمعنوي، فأما الخبث المادي فهن مطهرات من الحيض، والبول، والمخاط، والبصاق، وأما الخبث المعنوي فإنهن مطهرات من كل خلق مذموم كالحسد، والغيرة، وبذاءة اللسان [3]، وكلمة أزواج تشمل زوجات المؤمن من الحور العين، وزوجاته من نساء الدنيا إن كن صالحات.

وأعداد الزوجات يتفاوت بتفاوت أعمال أهل الجنة، ودرجاتهم، فأدناهم منزلة من له زوجتان من الحور العين، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: " **إنَّ أدنى أهل الجنة منزلةً، رجلٌ صَرفَ الله وجهَه عن النارِ قِبَلَ الجنَّة، ومثَّل له شجرةً ذات ظلٍّ، فقال: أيْ ربّ، قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها، قال ثم يدخل بيتَه فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فتقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك**" [4]، وأما الشهيد فإنه يُزوَّج باثنتين وسبعين من الحور العين كرامة له، لما جاء عن النبي ﷺ:" **لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، ويَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، ويُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، ويَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، ويُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ،**

(1) تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين(1/ 130).

(2) النهاية في الفتن والملاحم ابن كثير الدمشقي(2/ 284) تحقيق: عصام الدين الصباطي، دار الحديث، القاهرة.

(3) انظر: بحر العلوم(104/1).

(4) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث 188، ص117.

اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ومَا فِيهَا، ويُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، ويُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ"[1][2].

رابعاً: رؤية الله ﷻ:

إن رؤية الله ﷻ هي أعظم أنواع النعيم، وأفضل كرامة يكرم الله بها أهل الجنة، وليس من شيء أحب إليهم من رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومما يدل على هذا من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ**﴾ (البقرة: 46) حيث إن العلماء استنبطوا من هذه الآية أن الله تعالى يتجلى لأهل الجنة يوم القيامة، فيرونه عياناً، بدليل أن اللقاء لا يكون إلا مع المقابلة، وهذا يعني ثبوت الرؤية[3].

وهم يرونه سبحانه بكل وضوح، لا يحجبهم عنه سبحانه شيء، وتكون رؤيتهم له سبحانه من الظهور والوضوح كرؤية القمر ليلة البدر، أو كرؤية الشمس ليس دونها سحاب، كما قال النبي ﷺ حين سأله أصحابه: "هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: "**هَلْ تُضَارُّونَ**[4] **فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ**"؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: "**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ**"؟ قَالُوا: لَا قَالَ: "**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**"[5][6].

---

(1) سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب في ثواب الشهيد، رقم الحديث 1663، ص 390، قال الألباني: صحيح .

(2) انظر: الجنة والنار، ص 249.

(3) انظر: تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين (1/ 166).

(4) لا تختلفون في صحة النظر إليها لوضوحها. انظر: النهاية في غريب الحديث (3 / 82).

(5) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، رقم الحديث 2968، ص1456.

(6) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد هراس، ص 181–182.

المطلب الخامس

عذاب أهل النار

إن النار هي دار البوار والخسارة، وهي مأوى الكافرين الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا، ولشدة هول النار وقسوة عذابها كان النبي ﷺ كثيراً ما يستعيذ منها، وقد شرع لأمته الاستعاذة من النار عقب كل صلاة، وإن من قرأ حديث النبي ﷺ: " **ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم،** قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال : **فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها**"[1] ليدرك شدة حرها وعذابها، ولقد جاء وصف النار في القرآن الكريم عامة، وفي سورة البقرة خاصة، فأخبر الله تعالى بأن عذابها عظيم: ﴿ **وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (البقرة:7)، ووصفه بأنه أليم فقال: ﴿ **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ (البقرة: 10)، ووصفه بأنه مهين في قوله تعالى: ﴿ **وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ (البقرة:90)

أولاً : أسماء النار:

جاء في سورة البقرة اسمان من أسماء النار، أولهما: الجحيم في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾(البقرة:119) ، وثانيهما: جهنم في قوله تعالى:﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ**[2] **فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾(البقرة:206).

وبعض العلماء اعتبر أن جهنم، والحطمة، والسعير، وسقر، والجحيم، والهاوية هي أسماء دركات النار، وأن أعلى دركاتها جهنم، وهي خاصة بعصاة الموحدين، وأما الهاوية فهي أدنى دركات النار[3]، والصحيح هو غير ما ذكروه، إذ إن هذه الأسماء التي أطلقوها على دركات النار هي في الحقيقة أسماء أعلام للنار كلها، وليست لجزء دون آخر[4]، وإنما تعددت أسماؤها نظراً لاختلاف صفاتها [5]، فسميت الجحيم لشدة تأجج نارها[6]، وسميت جهنم لبعد قعرها حتى إن

(1) صحيح مسلم، كتاب صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، رقم الحديث 2843، ص 1395.

(2) حملته الحمية المذمومة على الإثم وعدم قبول الإجابة. انظر: فتح القدير (371/1).

(3) انظر: التذكرة، ص 839، وتحفة المريد، ص 114 .

(4) انظر: الجنة والنار، ص 26 .

(5) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، (58/2).

(6) تفسير الخازن (1 /101).

الحجر يُلقى من شفا جهنم، فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً [1]، وسميت لظى لتلهبها [2]، وسميت السعير لأنها تُوقد وتهيج، وسميت سقر لأنها لا تبقي فيها أحداً إلا أحرقته وأذابته[3] "وسميت الحطمة لأنها تحطم وتهشم كل ما يلقى فيها" [4]، وسميت الهاوية لأنه يُهوى فيها من علو إلى سفل مع عمق قعرها[5].

ثانياً: وقود النار:

يقول الله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة 24)

يخبر الله تعالى أن النار يُلقى فيها الناس والحجارة ليكونوا لها وقوداً، والناس اسم جنس أريد به فئة الكفار والمنافقين، وأما الحجارة فأكثر المفسرين على أن المراد بها حجارة الكبريت توقد بها النار، ففي هذا النوع من الحجارة من المزايا ما ليس في غيره، مما يجعل التعذيب به أشد وأنكى، فهذا النوع من الحجارة كما قال العلماء يمتاز بسرعة الإيقاد، وخبث الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حره [6]، ومن المفسرين من قال: إن الحجارة التي توقد بها النار هي الأصنام التي عبدت من دون الله، واستشهدوا لهذا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ [7] جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(الأنبياء: 98 –99)[8]، والحكمة من إلقائها في النار هو تحقير من عبدوها، وإظهار خطئهم في عبادتها، فقد اتخذوها لتكون لهم عزاً في الدنيا، فكانت سبباً لعذابهم يوم

---

(1) انظر: روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى، دار الفكر – بيروت (2/ 280).
(2) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1422هـ،(4/ 337).
(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (381/21).
(4) فتح القدير(5/ 664).
(5) انظر: المصدر السابق (5/ 655).
(6) انظر: التخويف من النار، ص 136، الجنة والنار، ص 31.
(7) حطب جهنم ووقودها . انظر تهذيب اللغة(4/ 260).
(8) انظر: التحرير والتنوير(1 / 345).

القيامة[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾(البقرة :24) لا يعني أنه لا يُعذَّب فيها غير الناس، بل إن الجن يكونون وقوداً للنار، بدليل قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(هود: 119)، وقوله تعالى:﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(ص: 84-85)[2].

ثالثاً : عذاب أهل النار :

1- طعام أهل النار:

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ (البقرة: 174)

في هذه الآية دليل على أن كاتمي العلم والهدى، المتاجرين بكلام الله تعالى، ينالهم نصيبهم من العذاب؛ وهو أنهم يأكلون جمراً من النار يتأجج في بطونهم يوم القيامة جزاء وفاقاً على كتمانهم العلم[3]، وهذا الأكل على الحقيقة لا على المجاز، ومما يطعمه أهل النار كذلك الزقوم، وهو ثمر يخرج من شجرة تنبت في أصل الجحيم، مذاقه مر شديد المرارة، يغص في الحلق، ومن خواصه أنه يغلي في البطن غليان الماء، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ [4] يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ [5] ﴾(الدخان 43-46)، وعلى الرغم من سوء مذاق هذه الشجرة، إلا أن أهل النار يأكلون منها حتى تمتلئ بطونهم ﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾ (الصافات:66)، والغسلين هو طعام آخر سيء المذاق يأكله أهل النار، وهو ما يسيل من أهل النار من دماء، وقيح، وصديد يقول تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ [6] ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ (الحاقة:35-36)، والضريع هو صنف آخر من أصناف الطعام الذي يأكله أهل

(1) انظر: التحرير والتنوير (1 /345).
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (1/ 354).
(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (2/ 153).
(4) الصديد، والقيح . تهذيب اللغة (6/ 323).
(5) الحميم في هذا الموضع هو الماء الحار. انظر: العين (3 / 33).
(6) الحميم هنا بمعنى القريب الذي يشفق عليك. انظر: تاج العروس (32/ 10).

النار، وهو شوك مر شديد المرارة، يعلق في الحلق يقول تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ (الغاشية:6)[1]

2- تخاصم أهل النار وتبرؤ بعضهم من بعض:

إن تخاصم أهل النار وتبرؤ بعضهم من بعض يندرج تحت العذاب النفسي الذي يعانيه أهل النار[2]، حيث إنهم يوم القيامة يدركون ضلالهم الذي كانوا عليه في الدنيا، فيتحسرون على ما فاتهم من الخير، ويتمنون لو أنهم ما اتخذوا متبوعيهم أخلاء ولا شركاء، وتتقطع الأواصر والعلاقات بينهم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ (البقرة:166-167).

والتبرؤ يوم القيامة يكون مزدوجاً، فالأتباع يتبرأون من المتبوعين، والمتبوعين يتمنون لو أنهم أعيدوا إلى الدنيا فيكفرون بعبادتهم، ومن أعظم ما يورث أهل النار الندامة تبرؤ الشيطان منهم، وهو كبيرهم الذي علمهم المعصية: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: 22)، ويزداد حنق الأتباع على متبوعيهم وسادتهم؛ لأنهم أضلوهم عن سواء السبيل، ولذلك فإنهم يسألون الله تعالى أن يضاعف لهم العذاب، يقول تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا[3] جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: 38).

---

(1) انظر: عقيدة المؤمن، ص 226-227 .

(2) انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود بن أحمد الرحيلي عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 142هـ/2004م، (1 / 526).

(3) أي لحق آخرهم بأولهم . لسان العرب ص 1363.

3- عدم تكليم الله لهم كلام رحمة:

إن أفضل نعيم يناله أهل الجنة هو النظر إلى وجه الله تعالى، وتكليمه إياهم، فهذا النعيم لا يعادله أي نعيم، ولكن أهل النار محرومون من هذا النعيم كما أنهم محرومون من غيره، فهم محجوبون عن الله تعالى، لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، كما قال تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(البقرة: 174)، وقال في سورة آل عمران: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾(آل عمران: 77)، فإن قال قائل: جاء في بعض النصوص القرآنية أن الله تعالى يكلم أهل النار، ومنها قوله تعالى لأهل النار حينما طلبوا الخروج من النار: ﴿ **قَالَ اخْسَئُوا**[1] **فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ** ﴾(المؤمنون: 108) فكيف يمكن الجمع بين هذه الآية والآيات التي تنفي التكليم؟ والجواب هو أن أهل النار محرومون من أن يكلمهم الله تعالى كلاماً لطيفاً يسرهم، وأما بما يسُوؤهم ويكرَهون فإنه سيكلمهم[2] .

رابعاً: تفاوت عذاب أهل النار:

يقول تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ** ﴾ (البقرة: 85)

يفهم من هذه الآية أن عذاب أهل النار ليس على درجة واحدة في الشدة، بل هو متفاوت بحسب تفاوت أعمالهم التي دخلوا بها النار، وهذا ما يقتضيه عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالتسوية في الجزاء مع تفاوت الأعمال ظلم ينزه الله تعالى عنه، ولذلك خلق الله تعالى النار دركات؛ حتى ينال كل كافر ما يستحقه من العذاب[3].

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ **جَزَاءً وِفَاقًا** ﴾ (النبأ:26)" أي: وافق أعمالهم فليس عقاب من تغلظ كفره، وأفسد في الأرض، ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك"[4].

وللقرطبي كلام شبيه بكلام ابن عباس حيث يقول: "هذا الباب يدلك على أن كفر من كفر فقط ليس ككفر من طغى، وكفر، وتمرد، وعصى، ولا شك أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون كما

---

(1) ابعدوا فيها . تاج العروس (1 / 211).
(2) انظر: جامع البيان، الطبري (3 /330).
(3) انظر: عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، ص 230 .
(4) التخويف من النار، ص181-182.

قد علم من الكتاب والسنة، ولأننا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين، وفتك فيهم، وأفسد في الأرض، وكفر مساوياً لعذاب من كفر فقط، وأحسن للأنبياء والمسلمين".[1]

وأهون أهل النار عذاباً هو أبو طالب لأنه كان ينافح عن النبي ﷺ، ويحسن إلى المسلمين، لذلك خُفِّف عنه من عذاب النار، كما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : **"لَعَلَّه تَنفَعُه شَفاعَتي يومَ القيامَةِ، فيُجعَلَ في ضَحْضاحٍ مِن نارٍ يَبلُغُ كَعبَيهِ، يغلي منه دماغُه"** [2]،ولكنه من سوء العذاب يشعر أنه أشد أهل النار عذاباً، وأما أشد أهل النار عذاباً فهم المنافقون، الذين هم في أسفل دركات جهنم كما قال تعالى فيهم: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴾ (النساء :145)، وهم قد استحقوا هذا القدر من العذاب الذي يتجاوز عذاب الكفار نظراً لأنهم أوهموا الناس بإيمانهم، وبالتالي جرت عليهم أحكام الإسلام، وأضمروا الكفر والعداء للمؤمنين، فهم شرٌ من الكفار، وأشد خطراً على المؤمنين من الكفار أنفسهم؛ لذلك استحقوا أشد العذاب[3].

---

(1) التذكرة، ص: 886.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب، والتخفيف عنه بسببه، رقم الحديث210، ص129.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص211.

الفصل الرابع
الإيمان بالقضاء والقدر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر وبيان مراتبه.

المبحث الثاني: الهدى والضلال.

المبحث الأول
تعريف القضاء والقدر وبيان مراتبه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر.

المطلب الثاني: مراتب القضاء والقدر

المطلب الأول

تعريف القضاء والقدر

من المعلوم من الدين بالضرورة أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، كما جاء في حديث جبريل عليه السلام حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان فأجاب: "**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره**" (1).

والقدر هو سر الله تعالى في خلقه، وهو من الغيب الذي لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل(2)، والمطلوب من العبد الإيمان به دون الخوض في تفاصيله بغير علم، "لأن من يبحث فيه لا يأمن من أن يصير قَدَرياً أو جبرياً، والعباد مأمورون بقبول ما أمرهم الشرع من غير أن يطلبوا سر ما لا يجوز طلب سره" (3).

أولاً: تعريف القضاء لغة:

قال ابن فارس: "القاف، والضاد، والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته"(4)، كما أن هذه الكلمة وضعت للدلالة على معانٍ أخرى، منها: انقطاع الشيء، والفراغ منه، والعلم به، وقد تأتي بمعنى الحكم(5).

ثانياً: تعريف القدر لغة:

" القاف، والدال، والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء، ونهايته"(6)، وإذا وافَقَ الشيء الشيء قلت: جاء قَدَرُه، والتقدير هو التمهل في تسوية الأمر والتفكير فيه، يقال: قدرت لأمر كذا إذا نظرت فيه، ودبرته، وهيأته، وفي حديث الاستخارة: "**فاقدره لي، ويسره علي**"(7): أي اقض لي به، وهيئه(8).

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم الحديث 8، ص 31- 32.
(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص 249.
(3) تحفة الأحوذي (6/ 335).
(4) معجم مقاييس اللغة(5/ 99).
(5) انظر: لسان العرب، ص 3665، وتاج العروس(10 / 296).
(6) معجم مقاييس اللغة (5 / 62).
(7) صحيح البخاري، كتاب التهجد(الصلاة)، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، رقم الحديث 1162، ص229.
(8) انظر: تهذيب اللغة (24/9)، لسان العرب، ص 3547-3548.

من خلال ما سبق من التعريفات يتبين وجود ترابط في المعنى اللغوي بين كلمتي القضاء والقدر، فكلاهما يدل على تمام الشيء وانتهائه. وكما أن هناك ارتباط في المعنى اللغوي نجد أن هناك قاسم مشترك بين اللفظتين حتى إن العلماء جعلوهما من الألفاظ المشتركة التي تتفق في المعنى في حال افتراقهما، وتختلفان في المعنى في حال اجتماعهما[(1)].

ثالثاً: تعريف القضاء اصطلاحاً:

هو إرادة الله الأشياء في الأزل على وفق ما ستوجد عليه في المستقبل، كإرادته الأزلية أن يخلق الإنسان على وجه الأرض[(2)].

رابعاً: تعريف القدر اصطلاحاً:

إيجاد الله الأشياء وفق مقاديرها المحددة بالقضاء، كإيجاد الله هذا الإنسان فعلاً على وجه الأرض طبق ما سبق في قضائه [(3)].

والقضاء والقدر: "هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك، ومشيئته لها، ووقوعها على حسب ما قضاها، وخلقه لها" [(4)].

---

(1) انظر: شرح العقيدة الواسطية محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: هاني الحاج، المكتبة التوقيفية، القاهرة – مصر، ص529، ومجموع الفتاوى لابن عثيمين (2 / 79).

(2) انظر: الوجيز في شرح جوهرة التوحيد، نايف العباس، تحقيق: علاء الدين الحموي، ومحمد الحبش، دار العصماء –سوريا، ط1، 1419هـ-1998م، ص 69.

(3) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 729.

(4) انظر: لوامع الأنوار البهية (1 / 348).

المطلب الثاني

مراتب القضاء والقدر

إن الإيمان بالقضاء والقدر يقوم على أربعة أركان تعرَّف بمراتب القدر، ولا يكون العبد مؤمناً بالقدر حتى يستكمل الإيمان بها جميعاً، وهذه المراتب هي:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء والسابق لكل شيء.

المرتبة الثانية: الإيمان بكتابه الذي اشتمل على كل ما سيكون.

المرتبة الثالثة: الإيمان بأن الله خالق كل شيء.

المرتبة الرابعة: الإيمان بمشيئة الله وقدرته العامة على كل شيء، فهو المتفرد بالخلق والإيجاد(1).

أولاً: مرتبة العلم:

وهي الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وأعمالهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار، وأنه يعلم كل شيء بعلمه القديم المتصف به أزلاً وأبداً (2).

والآيات التي دلت على هذه المرتبة في سورة البقرة كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ** ﴾(البقرة: 29)، وهذه الآية دليل على عموم علم الله تعالى، فهو يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات(3)، والمتأمل في الأسلوب القرآني يجد الارتباط واضحاً بين علم الله تعالى بالحوادث وخلقه لها كما في هذه الآية ، وكما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ** ﴾ (الملك: 14) وكيف يخفى عليه سبحانه أعمال عباده وهو الذي خلقهم وعدَّهم عدّاً ؟(4).

(1) انظر: شفاء العليل(1/ 91).

(2) انظر: أعلام السنة المنشورة، ص 148- 149، القضاء والقدر، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط13، 1425هـ-2005م، ص 27.

(3) انظر: التحرير والتنوير (1 / 386).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص48.

ومن الآيات التي دلت على مرتبة العلم قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة:30) حيث إن الله تعالى أخبر الملائكة بما قد سبق في علمه من إهباط آدم عليه السلام، وزوجه إلى الأرض قبل أن يخالف آدم عليه السلام أمر الله تعالى في الأكل من الشجرة، وهذا يبين أنه علم ما سيكون منه من مخالفة الأمر قبل أن يكون، وأن هذه المخالفة ستكون سبباً لخروجه من الجنة، واستخلافه في الأرض [1].

ومنها أيضاً: قوله تعالى للملائكة بعد سؤالهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(سورة البقرة:30)، والمعنى أنه سبحانه يعلم ما لم تدركه الملائكة من وجوه الحكمة في استخلاف آدم، حيث إنه سيكون في ذريته الأنبياء والشهداء والأولياء، ومن وجوه الحكمة في استخلاف آدم عليه السلام أن الله تعالى أراد أن يظهر للملائكة ما أخفاه إبليس من الشر والحقد والحسد [2].

ومنها قوله تعالى: (وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا)(البقرة:31) إذ إن تعليم آدم الأسماء كلها دليل على علم الله تعالى؛ "لأن من الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عارياً منه بل هو أحق به" [3].

كما أنه سبحانه أخبر عن نفسه أنه يعلم مكنونات النفوس فلا يخفى عليه منها شيء، فهو يعلم السر كما يعلم العلانية، وهذا ظاهر في غير موضع من السورة، منها قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾(البقرة: 33)، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾(البقرة :77)، وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾(البقرة :235)، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾(البقرة :284)

ونفى الله تعالى عن نفسه الغفلة في خمسة مواضع من السورة، والغفلة هي ترك الشيء، وإهماله على وجه النسيان له[4].

---

(1) انظر: الإيمان لابن تيمية، ص 300.

(2) انظر: تفسير الخازن(1/ 45).

(3) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص 76.

(4) جامع البيان، الطبري(2/ 244) بتصرف.

يقول تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾(البقرة: 74) : أي " ليس هو بساهٍ عن أعمالكم، بل هو عالم بها، حافظ لصغيرها وكبيرها، وسيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه "[1].

ومن الآيات الدالة على مرتبة العلم قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة 216)، وهذه الآية تبين أن عواقب الأمور لا يعلمها إلا الله، فقد يحب المرء شيئاً، وليس له فيه خير ولا مصلحة، ومن ذلك القعود عن القتال قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد والحكم، وقد يكره العبد شيئاً، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً [2].

ومنها قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ (البقرة: 255) قال ابن كثير: "في هذه الآية دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها" [3].

والمتأمل في سورة البقرة يجد أن الأسلوب القرآني في إثبات هذه المرتبة يتنوع تارة باستخدام لفظة علم ومشتقاتها، والتي أضيفت إلى الله اثنين وثلاثين مرة، وتارة بنفي الغفلة عن الله تعالى كما تقدم، وتارة باستعمال لفظة خبير كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ (البقرة: 234)، وتارة باستعمال لفظة بصير والتي وردت في خمسة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ (البقرة: 96) ، والخبير هو الذي يعلم ما يكون قبل حدوثه [4]، وأما البصير فهو"العالم بخفيات الأمور "[5].

وعلى الرغم من كثرة الأدلة التي تثبت مرتبة العلم إلا أن القدرية أنكرت علم الله تعالى بالأشياء قبل حصولها، وقالوا: إنما يعلم الله بالموجودات بعد خلقها وإيجادها.

(1) تفسير الخازن (1 / 124).
(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (2/ 284).
(3) المصدر السابق(1/ 462).
(4) انظر: الأسماء والصفات، البيهقي (1 /294).
(5) شأن الدعاء للخطابي، ص 61.

قال ابن أبي العز[1]: "وأنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالماً في الأزل، وقالوا: إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً" [2] ، ولذلك اتفق سلف الأمة على تكفيرهم حتى قال فيهم عبد الله بن عمر ﷺ: " لو أن لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر" [3].

قال القرطبي صاحب المفهم[4]: "ولا شك في تكفير من يذهب إلى ذلك، فإنه جحد معلوم من الشرع بالضرورة، لذلك تبرأ منهم ابن عمر، وأفتى بأنهم لا تقبل منهم أعمالهم ولا نفقاتهم، وأنهم كمن قال الله فيهم: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ (التوبة: 54) [5].

ثانياً: مرتبة المشيئة:

هي الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة التي لا يعجزها شيء، فجميع الحوادث وقعت بمشيئته تعالى، ولا يكون في ملكه ما لايريد، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، سواء كان ذلك فيما يتعلق بأفعاله، أو أفعال مخلوقاته [6]، حتى المعاصي والذنوب تقع تحت مشيئة الله، وإن كان لا يحبها ولا يرضاها، وأنكرت القدرية أن تكون المعاصي واقعة بمشيئته، فنسبوا الأفعال إلى الإنسان، وقالوا بأنه هو خالق فعله، وهذا ضلال كبير، سببه عدم تفريق المعتزلة بين المشيئة والمحبة[7]، والصواب هو وجود الفرق، فمشيئته سبحانه متعلقة بكل ما خلقه الله تعالى وأوجده، سواء أحبه أم لم يحبه، ومن ذلك خلقه لإبليس والشياطين، فهو يدخل ضمن مشيئته سبحانه وإن كان لا يحبها، وأما محبته ورضاه فهي تختص بالأوامر الدينية التي شرعها على ألسنة رسله عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، فالإيمان مثلاً محبوب للرب سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فإن وجد على أرض الواقع فهو مرتبط بالمشيئة والمحبة، وأما إن لم يوجد فهو مرتبط بالمحبة دون المشيئة، وأما الكفر فإنه مبغوض لدى

---

(1) هو محمد بن سليمان بن أبي العز، من كبار الحنيفية، اشتغل بالفتوى نيفاً وثلاثين سنة، توفي سنة 699 هـ. انظر: الوافي بالوفيات (3 / 115).

(2) شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ص271.

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم الحديث: 8، ص 31.

(4) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم أبو العباس الأنصاري القرطبي، فقيه مالكي، يعرف بابن المزين، ولد بقرطبة، من كتبه المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، توفي سنة 656هـ. انظر: الأعلام (186/1).

(5) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 132).

(6) انظر: تقريب التدمرية، محمد بن عثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، الدمام، ط1، 1419هـ (1 / 96)، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز السلمان، ط18، 1418هـ-1997م، ص 121.

(7) انظر: مدارج السالكين (195/1).

الرب سبحانه، فإن تحقق على أرض الواقع كان مرتبطاً بمشيئته دون محبته، وأما ما لم يوجد منه فإنه لم يرتبط لا بالمشيئة ولا بالمحبة [1].

ولقد دلت سورة البقرة على مرتبة المشيئة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة:20)، وفي هذه الآية بيان السبب المانع لذهاب سمعهم وأبصارهم، وهو أن مشيئة الله حالت دون ذلك، وهذا يعني أن الأسباب لا تؤثر في مسبباتها ما لم يأذن لها الله تعالى[2]، وختمت الآية بقوله تعالى: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ للدلالة على قدرة الله الشاملة فلا يعجزه شيء، وإذا أراد شيئاً فعله من غير ممانع ولا معارض[3].

ومن الآيات التي جاءت في نفس السياق قول الله تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾(البقرة :70) حيث إنهم علقوا اهتداءهم إلى البقرة على مشيئة الله تعالى، وعلى الرغم من أن بني إسرائيل موصوفون بقصور الفهم وقلة التفكير؛ إلا أنهم كانوا أكمل عقلاً، وأكثر توحيداً من المعتزلة؛ لأنهم علقوا هدايتهم على مشيئة الله فقالوا (إنا إن شاء الله لمهتدون)، وأما المعتزلة فإنهم قالوا بأن مشيئة العباد مستقلة عن مشيئة الله؛ بل إن مشيئة العباد هي النافذة[4].

ومن الآيات التي دلت على مرتبة المشيئة قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة :102)، وهذه الآية تبين أن للسحر تأثيراً في نفسه، ولكنه لا يؤثر ضرراً إلا فيمن أذن الله بتأثيره فيه، وهكذا كل الأسباب فإنها مهما بلغت من قوة التأثير والفاعلية؛ إلا أنها لا تخرج عن مشيئة الله تعالى[5]، ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: 142)، وفيها تعليق هداية الناس على مشيئته سبحانه.

وفي سورة البقرة آيات كثيرة تبين ارتباط الحوادث كلها بمشيئة الله تعالى، فهو تعالى يرزق من يشاء، ويهدي من يشاء، ويؤتي ملكه من يشاء، ويصطفي من يشاء لرسالته، ويُعلّم من شاء ما شاء، ويضاعف الأجر لمن يشاء، ويؤتي الحكمة من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء،

---

(1) انظر: شفاء العليل (1/ 142).
(2) انظر: أنوار التنزيل (1 /53).
(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 44 .
(4) انظر: البحر المحيط (1/ 419-420).
(5) انظر: فتح القدير (1 / 186)، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص61.

كما أن السورة بينت أنه لو شاء الله لكان خلاف الواقع، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (البقرة :253)

ثالثاً: مرتبة الخلق:

وهي "الإيمان بأن الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله ﷻ خالقها، وخالق حركتها وسكونها، سبحانه لا خالق غيره، ولا رب سواه "[1].

ولقد دلت سورة البقرة على هذه المرتبة، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(البقرة :21)، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (البقرة:29)، وقال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (البقرة: 117) فهو تعالى خالق السماوات والأرض وما فيهن من مخلوقات، لم يشاركه في خلقهن أحد، ويدخل في جملة المخلوقات أفعال العباد، فهي مخلوقة لله تعالى، لا كما زعمت القدرية أنهم يخلقون أفعالهم بأنفسهم، والدليل على أنها مخلوقة لله تعالى قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ ﴾ (البقرة:7)

يقول القرطبي: "في هذه الآية أدل دليل، وأوضح سبيل على أن الله سبحانه خالق الهدى والضلال، والكفر والإيمان، فاعتبروا أيها السامعون، وتعجبوا أيها المفكرون من عقول القدرية القائلين بخلق إيمانهم، وهداهم ، فإن الختم هو الطبع فمن أين لهم الإيمان، ولو جهدوا وقد طبع على قلوبهم، وعلى سمعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة، فمتى يهتدون؟ أو من يهديهم من بعد الله إذا أضلهم، وأصمهم، وأعمى أبصارهم؟ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ (الزمر : 23)"[2].

(1) معارج القبول (3 / 940).

(2) الجامع لأحكام القرآن(1/ 285)

ومن الأدلة على أن الله تعالى هو خالق أفعال العباد قول إبراهيم ﷺ: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾(البقرة:128)" فأخبر الخليل أنه سبحانه هو الذي يجعل المسلم مسلماً، وعند القدرية هو الذي جعل نفسه مسلماً لا أن الله جعله مسلماً "[1].

ومنها قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ.. ﴾(البقرة: 250-251) فسألوه الصبر، وهو وإن كان من أفعالهم الاختيارية إلا أنه بيد الله تعالى، إذا شاء منحه لهم، وإذا شاء حرمهم إياه، وثبات الأقدام من أفعالهم، والتثبيت هو فعله سبحانه، ولا يكون الثبات إلا بعد تثبيت الله لهم، كما أنهم سألوه النصر بأن يقوي شوكتهم، ويلقي الوهن في قلوب أعدائهم، والنصر إما أن يكون بأفعال الجوارح، وإما أن يكون باللسان بمقارعة الحجة والبيان، وكلا الأمرين من أفعال العباد، وقد أخبر سبحانه أن النصر بجملته من عنده، وأثنى على من طلبه منه[2].

ولقد أبطلت سورة البقرة مذهب القدرية في أن العبد هو خالق فعله وليس الله تعالى، وهذا يظهر في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾(البقرة:5) قال العلماء: "إن في قوله تعالى: {مِنْ رَبِّهِمْ} رداً على القدرية في قولهم: يخلقون إيمانهم وهداهم- تعالى الله عن قولهم- ولو كان كما قالوا لقال: (من أنفسهم) "[3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾(البقرة:**38**) فإن الله تعالى نسب هداية البشر إلى نفسه فقال: (فإما يأتينكم مني هدى)، وهو دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى[4].

وخلق الله تعالى لأفعال العباد لا ينفي كونهم فاعلين حقيقة، وهذا ما عجزت الجبرية عن فهمه، فاعتبروا أن خلق الله لأفعال العباد يلزم منه كونهم مجبورين على أفعالهم، بل إنهم زعموا أن حركات العباد بمنزلة حركات الجماد لا قدرة للعبد عليها، ولا قصد، ولا اختيار[5]، وينشدون في ذلك:

---

(1) شفاء العليل (1/ 158).
(2) انظر: المصدر السابق (1 / 177-178).
(3) الجامع لأحكام القرآن (1 /181).
(4) انظر: المصدر السابق(1 / 328).
(5) انظر: شرح العقائد النسفية، ص 57 .

ما حيلة العبد والأقدار جارية **عليه في كل حال أيها الرائي**

ألقاه في اليم مكتوفاً، وقال له **إياك إياك أن تبتل بالمـاء**[1]

وما ذهبت إليه الجبرية باطل لما يلي:

أولاً: معلوم لدى كل من له عقل أن هناك فرقاً واضحاً بين الحركة الإرادية الواقعة باختيار الإنسان والحركة الإضطرارية كحركة المرتعش، فالتسوية بينهما لا يجوز.
ثانياً: نسبة الظلم إلى الله تعالى؛ لأنه يحاسب الناس على ما هم عليه مكرهين.
ثالثاً: أن القول بالجبر يؤدي إلى تعطيل التكليف[2].

ومما يدل على أن العباد فاعلون حقيقة ما جاء في سورة البقرة من الآيات التي تنسب الأفعال إلى فاعليها، كقوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ (البقرة 3)، وقوله تعالى: ﴿ **أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ** ﴾ (البقرة12)، وقوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ** ﴾ (البقرة 25)، وقوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾ (البقرة 79)، ومنها أيضاً: ﴿ **بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾ (البقرة 81)، ومنها قوله تعالى: ﴿ **وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ (البقرة 85)، وقوله تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾ (البقرة 96)، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ** ﴾(البقرة 197)، وأمثال ذلك كثير في سورة البقرة يصعب حصره.

فهذه الآيات وغيرها مما لم يذكر تبين أن أفعال العباد قائمة بفاعليها على وجه الحقيقة، وليست فعلاً لله قائماً به، فهم المصلون حقيقة، وهم المنفقون حقيقة، وهم المفسدون حقيقة، وهم الراكعون حقيقة، وكل ذلك بمشيئة الله تعالى وقدرته، "فهو سبحانه الذي شاءها وخلقها حقيقة، وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة، فلو لم تكن مضافة إلى مشيئته وقدرته وخلقه لاستحال وقوعها منهم، إذ العباد أعجز وأضعف من أن يفعلوا ما لم يشأه الله، ولم يقدر عليه، ولا خلقه"[3].

---

(1) هذا الشعر منسوب للحلاج. انظر: طريق الهجرتين(1/ 179).
(2) انظر: الجموع البهية للعقيدة السلفية (2/ 709).
(3) شفاء العليل (1/ 155).

المبحث الثاني
الهدى والضلال

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نسبة الهداية والإضلال إلى الله تعالى لا تعني الجبر.

المطلب الثاني: مراتب الهداية.

المطلب الثالث: أسباب حصول الهداية والضلال.

المطلب الأول

نسبة الهداية والإضلال إلى الله تعالى لا تعني الجبر

لا يتم الإيمان بالقضاء والقدر حتى يحصل الاعتقاد بأن الهدى والضلال بيد الله ﷻ، فهو سبحانه يهدي من يشاء من عباده بفضله، ويضل من يشاء بعدله، وذلك بناءً على حكمته تعالى وعلمه، فلا يوفق للهداية إلا من هو أهل لها، ولا يضل إلا من هو أهل للضلال[1].

ولقد ورد في سورة البقرة العديد من الآيات التي تنسب الهداية والإضلال إلى الله تعالى، ووقوعهما بمشيئته سبحانه، مثل قوله تعالى: ﴿ **أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ** ﴾(البقرة:5)، وقوله تعالى: ﴿**يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ** ﴾(البقرة:26)، وقوله تعالى: ﴿ **قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾(البقرة 142)، وقوله تعالى:﴿ **وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ** ﴾(البقرة 143)، وكل ما تقدم من الآيات لا تنفي حرية الإنسان، ولا تعني أنه مجبر، وذلك لأنه لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى، وقد عذر عباده بأن أبان لهم سبل الهدى والضلال، ومنحهم القدرة على السير في أي الطريقين شاءوا دون أي إكراه، كما قال تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**[2]﴾(البلد:10)، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ (الإنسان:3) فإذا آثر العبد بعد العلم الضلال على الهدى، ولَّاه الله ما تولى، فكان ذلك عدلاً منه تعالى لا ظلم معه، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (التوبة: 115)، وأما من آثر الهداية، ورغب فيها، وفَّقه الله تعالى في تحصيلها، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده وفضله عليهم[3].

ولا يصح أن تتخذ الآيات التي تنسب هداية الخلق وإضلالهم إلى الله تعالى ذريعة للتمادي في الغي والضلال، بأن يقول شخص: إذا كان الله قد قدر لي أن أضل ولا أهتدي، فما ذنبي؟ فيتعلل بالقدر لتبرير غيِّه وضلاله، وهؤلاء حجتهم داحضة عند ربهم؛ ذلك لأن القدر هو من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فلا يعلم أحد منا هل قدر الله تعالى له الهداية أم الضلال، وأمر الهداية والضلال كأمر الرزق تماماً، فإن كليهما مقدران للعباد، ومع ذلك فإن الإنسان يسعى في أسباب الرزق، ولا يجلس في بيته، ويقول: إن قُدِّر لي الرزق فإنه يأتيني، بل يجاهد بكل ما أوتي من قوة

(1) انظر: معارج القبول (1 /225).
(2) أي طريق الخير وطريق الشر. العين (6 / 84).
(3) انظر: عقيدة المؤمن، الجزائري، ص 266-267.

لتحصيل رزقه، وهكذا الحال يجب أن يكون في أمر الهداية والضلال، بأن يسعى الإنسان لتحصيل أسباب الهداية، فإن إصلاح الروح مقدم على إصلاح البدن [1].

ولذلك فإن الله تعالى ردَّ زعم الذين قالوا إن سبب ضلالهم هو أن الله تعالى جعل بينهم وبين الاهتداء حائلاً بأن جعل قلوبهم غلفاً، فهي لا تفقه ما جاء به الرسل ، وبالتالي فإنهم معذورون في ترك الإيمان، فأكذبهم الله تعالى في ذلك، بأن بين لهم أن ما أصابهم من الطبع والختم، والإبعاد عن توفيقه، هو بسبب كفرهم الذي آثروه على الإيمان، فعاقبهم عليه بالطبع واللعنة يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة:88)[2].

وعليه فإن الختم الذي أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾(البقرة:7) لم يقع ابتداءً من الله تعالى بدون أي سبب من العبد كما زعمت الجبرية؛ وإنما جعله تعالى عقوبةً لهم، وجزاءً على كفرهم، وإعراضهم عن الحق بعد إذ عرفوه، فمن المعلوم أن الكفر الأول لم يكن بختم ولا طبع، بل كان باختيار منه، ولو كان كل كافر مختوم القلب، لم يهتد كافر قط، كما في قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾(البقرة:10)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصف:5)، وهذه سنة الله في خلقه، فإن الله قضى أن يحول بين العبد وبين قبول الهدى في حال لم يجب العبد داعي الله في الإيمان بالله ومحبته [3].

---

(1) انظر: رسالة في القضاء والقدر، محمد بن عثيمين، دار الوطن، 1423هـ، ص 16.

(2) انظر: شفاء العليل(1/ 244-245).

(3) انظر: المصدر السابق (1/ 228-229)، وجناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، محمد لوح، دار ابن عفان، ص 228.

المطلب الثاني

مراتب الهداية

سبق بيان أن أمر الهداية والإضلال مقدور لله تعالى، واقع بمشيئته، وليس لأحد من المخلوقات من أمر الهداية والإضلال شيء، فلا يستطيع أحد أن يهدي من أضل الله، أو أن يضل من هدى الله، إلا أننا إذا راجعنا النصوص القرآنية وجدنا بعضها يثبت الهداية للنبي ﷺ مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴾(الشورى: 52)، وبعضها ينفيها عن النبي ﷺ مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾(البقرة: 272)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾(القصص: 56) وهذا قد يثير إشكالاً، إلا أن الإشكال يزول بمعرفة مراتب الهداية وأنواعها، وهي أربعة أنواع[1]:

المرتبة الأولى: الهداية العامة:

وهي هداية كل مخلوق من الحيوان والآدمي لمصالحه التي بها قام أمره، وهي هداية فطرية يدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: 50)، وهذه المرتبة أسبق مراتب الهداية وأعمها.

المرتبة الثانية: هداية البيان والدلالة:

وهي الهداية التي جاء بها الرسل عليهم السلام، وهي التي أقام الله بها حجته على عباده، وهذا النوع من الهداية لا يستلزم حصول التوفيق، واتباع الحق، وإن كانت شرطاً فيه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾(فصلت: 17) فهداهم هدى البيان فلم يهتدوا، فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء بعد أن عرفوه، وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها فإنه يسلبه إياها، وهذه الهداية هي التي أثبتها لرسوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴾(الشورى: 52)

---

(1) انظر: شفاء العليل (1/ 181- 223)، وبدائع الفوائد (2/ 445-448)، ولوامع الأنوار البهية (1/ 334-335).

ولقد جاء الحديث عن هذه المرتبة في موضعين من السورة، أما الموضع الأول فهو قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(البقرة: 38) قال الطبري: "والهدى في هذا الموضع: البيان والرشاد[1].

وأما الموضع الثاني فهو قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾(البقرة:185) .

يقول ابن عثيمين: " فقوله تعالى: ﴿ هدًى للناس ﴾ أي كل الناس يهتدون به المؤمن والكافر الهداية العلمية، أما الهداية العملية فإنه هدًى للمتقين كما في أول السورة؛ فهو للمتقين هداية علمية وعملية، وللناس عموماً فهو هداية علمية"[2]، ويريد الشيخ ابن عثيمين بقوله الهداية العلمية هداية البيان والإرشاد، وأما الهداية العملية فالمقصود بها هداية التوفيق للعمل.

المرتبة الثالثة: هداية التوفيق والإلهام:

وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، وهذه المرتبة أخص من التي قبلها، وهي تستلزم أمرين؛ أحدهما: فعل الرب تعالى وهو الهدى، والثاني: فعل العبد وهو الاهتداء، ولا يحصل الاهتداء إلا بوجود المؤثر وهو فعل الله[3].

وأكثر الآيات التي جاءت في السورة هي في بيان هذه المرتبة، منها قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(البقرة 2)، يقول الشنقيطي[4]: "معلوم أن المراد بالهدى في هذه الآية الهدى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق إلى دين الحق، لا الهدى العام، الذي هو إيضاح الحق"[5].

---

(1) جامع البيان، الطبري (1 / 549).
(2) تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين (2 / 333).
(3) انظر: شفاء العليل(1/ 213).
(4) محمد الأمين بن محمد الشنقيطي: مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا) له كتب، منها (أضواء البيان في تفسير القرآن، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، توفي بمكة سنة 1393 هـ. انظر: الأعلام(6/ 45-46)
(5) أضواء البيان، (1/ 55).

وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(البقرة:5) معناه أنهم:" على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديد الله إياهم، وتوفيقه لهم"[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾(البقرة:185) قال الطبري: "يعني –تعالى ذكره– ولتعظِّموا الله بالذكر له، بما أنعم عليكم به من الهداية التي خذل عنها غيركم من أهل الملل الذين كتب عليهم من صوم شهر رمضان مثلَ الذي كتب عليكم فيه، فضلُّوا عنه بإضلال الله إياهم، وخصَّكم بكرامته، فهداكم له، ووفقكم لأداء ما كتبَ الله عليكم من صومه، وتشكروه على ذلك بالعبادة له"[2].

وقوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة: 264)، والهداية المنفية عن الكافرين في هذه الآية هي هداية التوفيق، وأما هداية البيان فهي ثابتة لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، وكل هداية ذكر الله ﷻ أنّه منع الظالمين والكافرين والفاسقين منها، فهي محمولة على هذا النوع من الهداية وهي هداية التوفيق والإلهام، فهي فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده [3].

قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ ﴾(البقرة 272) يخبر الله تعالى نبيه بأن هداية التوفيق والإلهام ليست بيده، إنما هي بيد الله تعالى، فقلوب العباد بين أصابعه، يقلبها كيف يشاء، تارة يهديها، وتارة يضلها، والنبي ﷺ ليس له من أمر هداية التوفيق شيء، وإنما عليه البلاغ والإرشاد والحث على الفضائل، وهو ما تكون به هداية البيان، وقوله تعالى: (ولكن الله يهدي من يشاء) دليل على أن هداية التوفيق من الله تعالى وهي تخص قوماً دون آخرين[4].

وعليه فإن الهداية التي نفاها الله تعالى عن رسوله هي هداية التوفيق والإلهام وخلق الإيمان في القلب، فهذا لا يقدر عليه إلا الله، وأما الهداية التي أثبتها الله لرسوله ﷺ ولسائر الأنبياء فهي هداية البيان والإرشاد إلى الطريق الموصل لله تعالى، وبهذا يزول الإشكال[5].

---

(1) جامع البيان، الطبري، (1 / 249).
(2) المصدر السابق، (3 /478).
(3) انظر: شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب، ص 139.
(4) انظر: أنوار التنزيل(1/ 161).
(5) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، راجعه وخرج أحاديثه: أحمد هاشم (2/ 911).

ولقد تأولت المعتزلة الآيات التي تتعلق بهداية التوفيق والإلهام، فقالوا الهدى من الله هو بيان طريق الصواب، والإضلال هو تسمية العبد ضالاً، وهذا يرجع إلى معتقدهم الباطل وهو أن أفعال العباد مخلوقة لهم[1].

ولقد أخطأت المعتزلة التأويل حيث إنهم خلطوا بين نوعين مختلفين من الهداية ألا وهما: هداية البيان، وهداية التوفيق والإلهام، فجعلوا هداية التوفيق والإلهام هي ذاتها هداية البيان، ولو كان المعنى كذلك، لما صح النفي عن نبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾(القصص:56) لأنه ﷺ أرشد الجميع دون استثناء، فتبين أنه لا يقصد هداية الإرشاد الثابتة له ﷺ ولسائر الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ؛ بل أراد هداية أخرى غير تلك، ولو كان الهدى من الله البيان، وهو عام في كل نفس، لما صح تقييده بالمشيئة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ (السجدة: 13)، وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾(المدثر: 31)[2]

وأما قولهم إن الإضلال تسمية العبد ضالاً فقد رد عليه أبو الحسن الأشعري بقوله: "وقد أخطأوا في التأويل من طريق اللغة، ومن طريق المعنى، أما من طريق اللغة: فلأن من سمى غيره ضالاً، أو نسبه إلى الضلالة فإنما يقال فيه أنه ضلّله بالتشديد، ولا يقال أضله، وأما من طريق المعنى: فمن جهة أن الإضلال من الله لو كان بمعنى التسمية والحكم، لوجب أن يقال أن النبي ﷺ قد أضل الكفرة؛لأنه سماهم ضالين، وحكم بضلالتهم، ووجب أن يقال إن الكفرة والشياطين قد أضلوا المؤمنين، والأنبياء؛ لأنهم قد سموهم ضالين" [3].

المرتبة الرابعة: الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة والنار، فأهل الجنة يهتدون إلى منازلهم في الجنة وكذلك أهل النار.

(1) انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ص 148.
(2) انظر: المصدر السابق، ص 148، وجناية التأويل الفاسد، ص 226.
(3) أصول الدين، البغدادي، ص 141-142.

المطلب الثالث

أسباب حصول الهداية والضلال

قدَّر الله تعالى للهداية، والضلال أسباباً، فمن كتب الله تعالى له الهداية وفقه لتحصيل أسباب الهداية، ومن كتب له الضلال خذله بتيسير أسباب الضلال.

1- أسباب حصول الهداية:

أ- **التقوى:** يقول تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة 2)

أنزل الله تعالى القرآن هدى للناس جميعاً، كما قال تعالى: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ** ﴾(البقرة: 185)، وتعددت مواقف الناس تجاهه، فالأشقياء لم ينتفعوا به، ولم يقبلوا هدى الله الذي جاء به، وأما المتقون فقد اهتدوا به وانتفعوا به؛ لأنهم أتوا بالسبب الموصل للهداية وهو التقوى، فالمتقون حصلت لهم هداية البيان وهداية التوفيق، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق، وهداية البيان لا تجدي ولا تنفع ما لم يتبعها هداية توفيق للعمل [1].

ب- **الإيمان:** يقول تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥** ﴾ (البقرة 3-5) ، ويقول تعالى : ﴿ **فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟** ﴾ (البقرة 137) يقول تعالى: ﴿**فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (البقرة 213)

ففي الموضع الأول، يخبر الله تعالى أن من آمن بالغيب، وبالكتب السماوية المنزلة على الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بلا استثناء، وبيوم القيامة وكل مجرياته، فهو على هدى من ربه، وجاء بحرف الاستعلاء للدلالة على تمكنهم من الهدى وثباتهم عليه[2].

وأما الموضع الثاني، فهو تعريض بأهل الكتاب الذين زعموا أن الهداية لا تكون إلا لمن تبع دينهم، فأخبرهم الله تعالى أنه لا سبيل إلى الإهتداء إلا بالإيمان بمثل ما آمن به المؤمنون من التصديق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فإن آمنوا بمثل هذا

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 40.

(2) انظر: التحرير والتنوير (1/ 242).

فقد أصابوا الحق، وأُرشدوا إلى سبيل الهداية، وإن أعرضوا عن هذا الإيمان نالهم من الضلال والخلاف والنزاع ما يستحقون.

وأما الموضع الثالث، ففيه أن الناس كانوا مجتمعين على الهدى، ثم حصل الاختلاف بينهم في أمور شتى من الدين، ولم يحصل الاهتداء للحق في الأمور المختلف فيها إلا لمن آمن منهم.

ج- **الأعمال الصالحة:** لا يكفي مجرد الإيمان لحصول الاهتداء؛ بل لابد من اقتران الإيمان بالعمل الصالح للوصول إلى الاهتداء، ومن الأعمال الصالحة التي تحقق الاهتداء والتي أشارت لها سورة البقرة: إقامة الصلاة، والإنفاق في سبيل الله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ (البقرة:3-5)

د- **الصبر:** يقول تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(البقرة155-157)

جرت سنة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في عباده أن يبتليهم بالمحن والمصائب؛ ليميز الخبيث من الطيب، والناس عند المصائب فريقان: فريق صابر راضٍ بقضاء الله تعالى، وآخر جازع ساخط، وهذه الآية تحمل البشرى للصابرين أنهم هم الموفقون لسلوك سبيل الهداية؛ لأنهم سلموا لقضاء الله وقدره، وأعلنوا أنهم مماليك لربهم يفعل فيهم ما يشاء، ويحكم فيهم ما يريد، وآمنوا بالبعث بعد الموت، وأنهم صائرون إلى الله تعالى، كما دلت هذه الآية على أن من لم يصبر فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال، والخسارة، فما أعظم الفرق بين الفريقين، وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين(1).

2- أسباب حصول الضلال:

أ- **الكفر:** يقول تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة:264)

إن الكفر من أكبر الموانع التي تحول بين العبد وبين الاهتداء؛ بل إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعاقب صاحبه بالختم على قلبه، فلا يقبل الهدى كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص75.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾(البقرة:6-7) فهذه الآية تبين "أن الله تعالى إنما ختم على قلوبهم، وحال بينهم وبين الهدى جزاءً وفاقاً على تماديهم في الباطل وتركهم الحق، وهذا عدل منه تعالى"[1].

ب- الظلم: يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة 258)

والظالمون هم الذين ظلموا أنفسهم بانصرافهم عن مواطن الهداية، فهؤلاء يبقيهم الله تعالى على كفرهم وضلالهم؛ لأنهم آثروهما على ما سواهما، ولو أنهم قصدوا الحق والهداية؛ لهداهم إليهما، وذلَّل لهم الطرق المؤدية إليهما[2] .

وقد يرد إشكال على هذه الآية والتي قبلها بأن يقال: إن ظاهر الآيتين يُفهم منه أن الكفار يبقون على كفرهم، والظلمة يبقون على ظلمهم، ولا يهديهم الله تعالى بأي حال من الأحوال، و قد رأينا على أرض الواقع الكثير ممن كتب الله تعالى لهم الهداية بعد الضلال.

والجواب هو أن معنى الآيات أن الله تعالى لا يهديهم ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم، ولا يُقبِلون على الإسلام، فأما إذا جاهدوا وقصدوا الرجوع، وفَّقهم الله لذلك لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69) [3].

ج- الفسق:

يقول تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (البقرة 26) لما ذكر الله تعالى في كتابه الذباب والعنكبوت، وضرب بهما المثل، قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا ؟ فأنزل الله الآية، وهي تتضمن أن الأمثال التي ضربها الله تعالى للناس تزيد أهل الضلال ضلالاً وكفراً، وتزيد أهل الإيمان هداية وإيماناً[4].

والفاسقون الذين أخبرت الآية بأنهم يضلون عند سماع المثل هم المنافقون الخارجون عن طاعة ربهم، وسبب ضلالهم هو أن كفرهم وكراهيتهم للحق أعماهم عن حكمة المثل، وانشغلت أفكارهم بحقارة الممثل به، فازدادوا ضلالاً على ضلالهم [5].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1/ 278).

(2) انظر: أنوار التنزيل (1/ 156).

(3) انظر: بحر العلوم (1/ 283).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1/ 328).

(5) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1418 هـ (1/ 64).

وفي موضع آخر من السورة يخبرنا الله تعالى عن حال المنافقين بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾(البقرة: 16) فهم بنفاقهم تركوا الهدى، واعتاضوا عنه بالضلال[1].

د- الكبر:

وهو الداء العضال الذي يتسبب في هلاك صاحبه، فيخرجه من حيز الإيمان والهداية إلى الكفر والضلال، وبسببه طرد إبليس من رحمة الله، وباء بغضب الله تعالى ولعنته إلى أن تقوم الساعة، فما منعه غير كبره من قبول السجود لآدم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:34)

هـ- التقليد الأعمى للآباء:

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(البقرة: 170)

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن حال المشركين إذا دُعُوا إلى الإيمان بالقرآن أنهم يمتنعون عنه بحجة الاقتداء بآبائهم، ولقد أنكر الله تعالى صنيعهم، إذ كيف يستقيم لهم اتباع آبائهم والاقتداء بهم، وقد انتفى عنهم العقل والهداية، وهما أجلُّ نعمتين؟ ولكن التقليد أعماهم عن إدراك الحق واتباعه، فضلُّوا، ولقد تعلق المشركون من الأولين والآخرين بهذه الحجة، وهي حجة التقليد، يرُدُّون بها على الرسل شرعهم، يقول تعالى في ذلك: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (الزخرف:23) فمنعهم الاقتداء بالآباء من قبول الاهتداء، وهذا هو حال من لا يبغي الحق ولا الهدى، ومراده من التقليد دفع الحق، ورد الحجة إذا ألزمته، ولو كان مقصوده الحق لاتبعه إذا ظهر له؛ لأن الرسول قد جاء بشرع هو أهدى مما وجدوا عليه آباءهم، فلو كانوا ممن يتبعون الحق، لاتبعوا ما جاء به الرسول[2].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1/ 295).

(2) انظر: بدائع الفوائد (4 / 1610).

الخاتمة

بعد إتمام هذا البحث توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، كالآتي:

أولاً: النتائج:

1- القضايا العقدية والأمور الغيبية تثبت بأحاديث الآحاد بشرط صحتها.

2- أفضل الرسل بعد نبينا محمد ﷺ هو إبراهيم عليه السلام.

3- الأنبياء متفاوتون في درجاتهم في الجنة، وأعلاهم درجة هو النبي محمد ﷺ.

4- أكثر معجزات بني إسرائيل حسية، وهذا يرجع إلى عمق جهلهم، وغلاظة طبعهم.

5- من شتم نبياً من الأنبياء فقد كفر، لأنه اعتدى على حق الله تعالى، وحق رسوله، وحق المؤمنين.

6- آيات القرآن الكريم متفاضلة في ذواتها ومتعلقاتها.

7- هاروت وماروت ملكان من الملائكة، وليسوا من الجن أو من البشر كما قيل.

8- إبليس هو واحد من الجن كان مغموراً بين مجموع الملائكة، لذلك توجه إليه الأمر بالسجود.

9- الكفار لا يؤجرون على أعمالهم الحسنة يوم القيامة بنعيم أو تخفيف عذاب، وإنما يؤتون أجورهم في الدنيا.

10- أهل النار متفاوتون في العذاب بحسب تفاوت أعمالهم التي دخلوا بها النار.

11- الختم والطبع لا يقعان ابتداءً، وإنما يجعلهما الله تعالى جزاءً وفاقاً نتيجة الإعراض عن الحق.

12-

ثانياً: التوصيات:

1- العمل على غرس العقيدة الإسلامية في النفوس لأنها الأساس القوي لتربية الجيل المسلم.

2- التأكيد على أصالة العقيدة الإسلامية وتفنيد كل ما عداها من العقائد الباطلة.

3- العمل على الاستفادة من القضايا العقدية المعروضة في البحث في مختلف جوانب الحياة العملية.

4- تخصيص آية الكرسي ببحث مستقل لما اشتملت عليه من معانٍ عظيمة.

ولا يسعني ختاماً إلا أن أحمد الله تعالى على ما منَّ به عليَّ من إكمال هذا البحث فهو أهل للحمد والمجد، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه أجمعين.


الفهـــارس
الـعـامــة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
		158، 161، 223، 246
﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ...﴾	33	43، 45، 69، 157، 246
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ ...﴾	34	44، 158، 163، 176، 263
﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ... ﴾	35–36	44، 45، 66، 180، 182، 215، 221، 233، 246
﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	37	68
﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	38	73، 251، 257
﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ...﴾	39	73، 148، 218
﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ...﴾	40	137
﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ...﴾	41-42	130، 137، 140، 141
﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾	43	127
﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾	46	234
﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	47	52
﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا ... ﴾	48	87، 89
﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ...﴾	50	79
﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ...﴾	51	52
﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	53	52، 120
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ ...﴾	54	102، 103

طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ... ﴾	87	80، 105، 106، 119، 120، 164
﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾	88	255
﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ...﴾	89	130، 136، 138
﴿... وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾	90	235
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ ...﴾	91	106، 130، 139
﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ...﴾	92	53
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ...﴾	93	53
﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً ... ﴾	94	197
﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾	96	247، 252
﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ...﴾	97	130، 153، 162، 167
﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾	98	105، 154، 168
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ...﴾	101-102	58، 89، 142، 159، 169، 184، 249
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ... ﴾	104	106، 107
﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ... ﴾	106	122، 127، 129
﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ...﴾	108	55
﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ... ﴾	110	211
﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾	113	198
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ...﴾	114	74

طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾	203	208
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ﴾	206	235
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ... ﴾	208	180
﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾	212	198
﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ... ﴾	213	72، 110، 148، 260
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ ... ﴾	214	227
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ... ﴾	216	247
﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ... ﴾	217	74، 219
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	234	247
﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ ﴾	235	10، 246
﴿ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾	237	10
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ... ﴾	243	205
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ... ﴾	246	33
﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ... ﴾	248	56
﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ... ﴾	249	16
﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ... ﴾	250–251	57، 251
﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾	252	59
﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ... ﴾	253	36، 41، 55، 58، 105، 249

طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ ... ﴾	77	239
﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾	112	146
﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ... ﴾	133	215
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾	169	200
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾	185	199
سورة النساء		
﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾	41	77
﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾	125	48
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ .. ﴾	136	117
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾	145	240
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ ... ﴾	150-151	40
سورة المائدة		
﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	5	13
﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ... ﴾	46	121
﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾	56	105
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ... ﴾	67	64
سورة الأنعام		
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	115	126

طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى... ﴾	122	111
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى ... ﴾	-162 163	92
سورة الأعراف		
﴿ ...ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾	11 -12	177
﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ ... ﴾	38	238
﴿ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	43	220
﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾	59	131
﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ ... ﴾	138	80
﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ... ﴾	157	110
سورة الأنفال		
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ... ﴾	9	165
سورة التوبة		
﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾	54	248
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ ... ﴾	115	254
سورة يونس		
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ... ﴾	18	88
سورة هود		
﴿ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ... ﴾	47	90

طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾	62	163
﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾	79	85
سورة الكهف		
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ... ﴾	50	176، 177، 178
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ... ﴾	110	13، 63
سورة مريم		
﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	39	219
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾	51	32
سورة طه		
﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ ... ﴾	12-16	55
﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ... ﴾	29- 32	56
﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	50	256
﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾	110	127
﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾	115	67، 69
﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾	118-119	222
﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ ... ﴾	120	182، 222
﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾	121-122	68، 69
سورة الأنبياء		
﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾	20	161

طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾	56	256، 259
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾	88	224، 225
سورة العنكبوت		
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	69	262
سورة لقمان		
﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ...﴾	27	127
﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾	28	205
سورة السجدة		
﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾	13	259
الأحزاب		
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ...﴾	7	36
سورة سبأ		
﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ...﴾	40-41	179
سورة الصافات		
﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾	66	237
﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾	166	161
سورة ص		
﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ ...﴾	35	58
﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾	54	218
﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾	84-85	237

طرف الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة محمد		
﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ ... ﴾	15	231
سورة الفتح		
﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ .... ﴾	29	133
سورة النجم		
﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾	5	156
﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ... ﴾	13-15	215
﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ ... ﴾	26	90
سورة الواقعة		
﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ... ﴾	25-26	178
﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾	33	218، 233
سورة الحديد		
﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ... ﴾	21	215
سورة الحشر		
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ ... ﴾	11	61
﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾	21	83
سورة الصف		

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
43	أيُّ الكلامِ أفضلُ؟..	162
44	بينما جبريلُ قاعدٌ عند النبيِّ...	162
45	تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ	22
46	تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ	23
47	ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل...	202
48	جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ فقال: يا خيرَ البريَّة...	36
49	حُجِبت النارُ بالشَّهواتِ وحُجِبَت الجنةُ بالمكاره	229
50	حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين...	145
51	خُلِقَت الملائكةُ من نورٍ...	177
52	الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخير	10
53	الدُّعاءُ هو العبادةُ	95
54	ذاك شيطان يقال له خنزب...	183
55	ذروني ما تركتُكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرةِ سؤالِهِم ...	55
56	رُفِع القلمُ عن ثلاثة : عن المجنون...	184
57	سبعةٌ يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله...	210
58	سمعتُ رجلاً قرأ آيةً...	148
59	سَيْحَانُ، وَجَيْحَانُ، وَالنِّيلُ، وَالْفُرَاتُ، كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ	231
60	شَفَاعتي لأهلِ الكَبائرِ من أمَّتي	86
61	الشهداء على بارق، نهر بباب الجنة...	232
62	الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ	191
63	ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد...	203
64	عُرِضتْ عليَّ الأممُ، فرأيتُ النبيَّ ومعهُ الرُّهيطُ...	33

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
109	وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ	24–25
110	ولا يستطيعها البَطَلَةُ	22
111	وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ...	21
112	ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم	86
113	ويؤتَى بأشدِّ النَّاسِ بؤسًا في الدُّنيا من أَهلِ الجنَّةِ...	230
114	يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم	23
115	يا ابن آدمَ لو بلغَتْ ذنوبكَ عَنَانَ السماءِ...	14
116	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ...	209
117	يا غلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلماتٍ: احفظِ اللَّهَ يحفظكَ...	15
118	يا نوحُ: أنتَ أوَّلُ الرُسلِ إلى أَهلِ الأرضِ، وقد سمَّاكَ اللَّهُ عبدًا ...	46
119	يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟..	182
120	يبعث كل عبد على ما مات عليه	203
121	يُجاءُ بالمَوتِ يومَ القيامةِ كأنَّهُ كبشٌ أملَحُ...	219
122	يَجمعُ اللهُ تعالى النَّاسَ فيقومُ المؤمنون حتى تُزْلِفَ لهُم الجنَّةُ...	222
123	يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ...	77
124	يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...	209
125	يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ...	103
126	ينادي منادٍ إنَّ لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبدًا...	220

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1 الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية.

2 إتمام الدراية لقراء النقاية، جلال الدين السيوطي، تحقيق: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1405هـ –1985م.

3 أحكام الشرائع السماوية السابقة وموقف علماء الأصول منها، ناصح النعمان، بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراة في الشريعة الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، إشراف: حسن الجبوري.

4 أحكام القرآن، محمد بن العربي، علق عليه: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

5 الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، السعودية، ط1، 1424هـ–2003 م.

6 إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة – بيروت.

7 الأدلة الشرعية في إثبات صرع الجن للإنسان والرد على المنكرين، د. صالح الرقب.

8 إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7 ،1323هـ.

9 الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان الفوزان، 1422هـ.

10 أركان الإيمان، علي نايف الشحود، ط4، 1431هـ– 2010 م .

11 أركان الإيمان، وهبي سليمان الألباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1420هـ–1999م.

12 استدراكات البعث والنشور، جمعه : عامر حيدر، دار الفكر، بيروت، 1414هـ.

13 الاستذكار، يوسف بن عبد البر، دار الوعي، حلب ، القاهرة، ط1، 1413هـ–1993م

14 أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير الجزري.

15 الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم، محمود قدح، ص 377 ، مجلة الجامعة الإسلامية، عدد 111(مجلة).

16 الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، دار الشروق- بيروت ، ط11، 1403هـ-1983م.

17 الإسلام وعلاقته بالشرائع الأخرى، عثمان ضميرية، دار الفاروق، ط1، 1410هـ-1990م.

18 أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرفة به، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط1، 1423هـ-2004م.

19 الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز السلمان، ط8، 1399هـ-1979 م.

20 إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، دار المحراب.

21 أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء.

22 أصول الدين، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 1401هـ-1981م.

23 أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد الخميس، دار الصميعي، الرياض- السعودية، ط1، 1416هـ-1996 م.

24 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد.

25 إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، بيروت.

26 الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أحمد البيهقي، تحقيق: أحمد أبو العينين، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 1420هـ- 1999م.

27 أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ الحكمي، تحقيق: أحمد مدخلي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1418هـ- 1998م.

28 إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، ط1، 1423هـ.

29 الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان ط15، 2002م.

30 إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي.

31 آكام المرجان في أحكام الجان، محمد بن عبد الله الشبلي، تحقيق: إبراهيم الجمل، مكتبة القرآن ، مصر – القاهرة.

32 إكمال المعلم بفوائد مسلم، أبو الفضل عياض بن موسى، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، ط1 ، 1427هـ– 2006م.

33 أمراض القلوب وشفاؤها، أحمد بن تيمية، المطبعة السلفية– القاهرة.

34 أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

35 أولو العزم من الرسل، طه وادي، دار النشر للجامعات، مصر ط2، 1418هـ–1998م،

36 آية الكرسي وبراهين التوحيد، عبد الرزاق البدر.

37 إيثار الحق على الخلق، محمد بن المرتضى، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان.

38 الإيمان أحمد بن تيمية، محمد الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط5، 1416هـ–1996م.

39 الإيمان" أركانه– حقيقته– نواقضه"، محمد ياسين، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية.

40 الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم، عبد الله بن زيد آل محمود، المكتب الإسلامي، قطر.

41 بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: علي معوض وآخرين،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ–1993م.

42 بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي ، تحقيق: محمد إسماعيل، وأحمد المزيدي، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ط1 ، 1420هـ– 1999م.

43 البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر.

44 بدائع الفوائد، محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد.

45 البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: حسين العمري، دار الفكر، دمشق –سوريا،ط1، 1419هـ–1998م.

46 برهان الشرع في إثبات الصرع، علي بن عبد الحميد، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ–1996م.

47 البرهان في علوم القرآن، محمد الزركشي، تحقيق: محمد بن إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ– 1984م.

48 بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ، عبد الوهاب طويلة، دار السلام، ط2، 1425هـ– 2005م.

49 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق: محمد النجار،1433هـ–2012م.

50 البعث والدار الآخرة في هدي القرآن الكريم، محمد أبو النيل، مكتبة الفلاح –الكويت ط1، 1424هـ–2003م.

51 بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد طنطاوي، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1420هـ– 2000م.

52 تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1407هـ–1987م.

53 تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، محمد بن أحمد الذهبي ،تحقيق: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م.

54 تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2.

55 تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت– لبنان،1415هـ– 1995 م.

56 تبسيط العقائد الإسلامية، حسن أيوب، دار التراث العربي، ط7، 1406هـ–1986م.

57 التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، دار الإرشاد– بيروت، ط1، 1390هـ– 1970م.

58 التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس.

59 تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الفكر.

60 التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية، عبد الرزاق البدر،ط2، 1425هـ.

61 تحفة المريد على جوهرة التوحيد، إبراهيم البيجوري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1358هـ-1939م.

62 التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: بشير عيون،مكتبة المؤيد، السعودية، ط2 ، 1409هـ- 1988م.

63 تذكرة الحفاظ ، محمد الذهبي دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط1، 1419هـ- 1998م.

64 التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: الصادق إبراهيم،مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط1، 1425هـ..

65 تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله الجبرين، دار العصيمي، ط2.

66 التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.

67 التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، صالح بن فوزان الفوزان، دار العاصمة

68 تفسير ابن عرفة ، محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2008 م.

69 تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، ط 4، 1414 هـ- 1994م.

70 تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، تحقيق: عبيد العبيد، 1421هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

71 تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1413هـ-1993م.

72 تفسير البغوي(معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرين، دار طيبة، الرياض، 1409هـ.

73 تفسير الخازن، علي بن محمد البغدادي، مكتبة مصطفى الحلبي، ط2، 1375هـ-1955م.

74 تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، راجعه وخرج أحاديثه: أحمد هاشم.

75 تفسير الطبري(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2.

76 تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن العثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ.

77 تفسير الفخر الرازي، محمد الرازي، دار الفكر، ط1، 1401هـ-1981م.

78 تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ- 1947م.

79 تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرين، مؤسسة قرطبة، الجيزة.

80 التفسير القيم، ابن القيم، تحقيق: محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

81 تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود الزمخشري، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ- 1998م.

82 تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر.

83 التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991م.

84 التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي مطبعة السعادة 1397هـ - 1977م.

85 تفسير آيات العقيدة، عبد العزيز حاجي ، دار الصابوني، ط1، 1424هـ-2003م.

86 تقريب التدمرية، محمد بن عثيمين ، دار ابن الجوزي، السعودية، الدمام، ط1، 1419هـ.

87 تلبيس ابليس، عبد الرحمن بن الجوزي ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ-2001م.

88 التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد ، ط1، 1424هـ- 2003م.

89 تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد العظيم محمود، الدار المصرية.

90 التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد، محمد بن منده، تحقيق: علي الفقيهي، مطابع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ط1 ،1409هـ.

91 توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، جلال الدين السيوطي، المكتب الإسلامي دمشق ط1، 1382هـ.

92 التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن السعدي، اعتنى به أشرف بن عبد المقصود،أضواء السلف، الرياض، ط1، 1419هـ-1998م.

93 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1426هـ- 2005م.

94 الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر، محمد أبو يحيى وآخرون، دار المناهج، عمان- الأردن، ط1، 1420هـ-2000م.

95 جامع الرسائل، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد سالم، مطبعة المدني، القاهرة-مصر، ط2، 1405هـ-1984م.

96 جامع المسائل، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1422هـ.

97 الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1 ،1427هـ-2006م.

98 جدل القرآن الكريم لأهل الكتاب دراسة وتحليل، خليفة العسال.

99 الجموع البهية للعقيدة السلفية، محمود المنياوي، مكتبة ابن عباس، مصر، ط1، 1426 هـ- 2005 م.

100 الجن في القرآن والسنة، ولي زار بن شاه الدين، دار البشائر الإسلامية، ط2، 1420هـ-1999م.

101 جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، محمد لوح، دار ابن عفان.

102 الجنة والنار ،عمر الأشقر، دار النفائس – الأردن، ط7، 1418 هـ – 1998 م.

103 جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، شمس الدين السلفي الأفغاني ، دار الصميعي، السعودية ، ط1، 1416هـ-1996م.

104 جواب أهل العلم والإيمان ، أحمد بن تيمية، تحقيق: أبي عمر الندوي، عبد العزيز السيد ندا، دار القاسم، الرياض ، ط1، 1417هـ-1996 م.

105 حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تحقيق: زائد النشيري، دار عالم الفوائد.

106 حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تحقيق: علي جمعة الشافعي، دار السلام، ط4، 1429هـ-2008م.

107 الحبائك في أخبار الملائك، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد زغلول ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط1، 1405 هـ- 1985 م.

108 حجية السنة، عبد الغني عبد الخالق، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1407هـ-1986م.

109 الحسنة والسيئة، أحمد بن تيمية، دار الجيل، بيروت،1410هـ-1990م.

110 حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبد الله بن صالح الفوزان، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1422هـ-2001م.

111 الحق الواضح المبين، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، دار ابن القيم، الدمام ، السعودية، ط2، 1407هـ-1987م.

112 خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبي، دار صادر، بيروت.

113 الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.

114 الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، ط1، 1424هـ-2003م.

115 درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد سالم، إدارة الثقافة والنشر، ط2، 1411هـ- 1991م.

116 دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض، السعودية ، ط4، 1425هـ-2004م.

117 دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، جمعية عمال المطابع التعاونية الأردنية،عمان- الأردن، ط5، 1404هـ-1984م.

118 دراسات في العقيدة الاسلامية، أحمد الجلي، ط1، 1423هـ- 2002م.

119 دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد الرومي، ط14، 1426هـ-2005 م .

120 دراسات قرآنية، محمد قطب ،دار الشروق، القاهرة، ط3، 1402هـ-1982 م.

121 الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبد الرحمن النجدي، ط6 ،1417هـ-1996م.

122 الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، 1414هـ-1993م.

123 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عرض ونقض، عبد العزيز بن محمد، دار طيبة- الرياض، 1409هـ-1989م.

124 دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة، ط1، 1426هـ.

125 دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، تحقيق: محمد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق-سوريا، ط2، 1404هـ-1984م .

126 الدلالة العقلية في القرآن، عبد الكريم عبيدات، دار النفائس، الأردن ، ط1، 1420هـ-2000م.

127 دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ، ط1 ، 1408هـ-1988م.

128 الديانة اليهودية، يوسف عيد، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م.

129 الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي، تحقيق: محمد الأحمدي دار التراث للطبع والنشر- القاهرة.

130 الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، دار ابن عفان- السعودية، ط1، 1416هـ- 1996 م.

131 الذيل على طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن رجب، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1425هـ-2005 م.

132 الرد على المنطقيين، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الصمد الكبتي،مؤسسة الريان، ط1، 1426هـ-2005 م.

133 الرسالة التدمرية في التوحيد والأسماء والصفات والقضاء والقدر، ابن تيمية، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر اللبناني، بيروت–لبنان ، ط1، 1993م .

134 رسالة العقائد من مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1399هـ–1979م.

135 رسالة في أسس العقيدة، محمد بن عودة السعوي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية ط1، 1425هـ.

136 رسالة في القضاء والقدر، محمد بن صالح العثيمين ،دار الوطن، 1423هـ.

137 الرسل والرسالات، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط4، 1410 هـ–1989م.

138 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

139 الروح، أبو عبد الله بن قيم الجوزية، تحقيق: عصام الدين الصباطي، دار الحديث– القاهرة ، ط2، 1419هـ– 1998 م .

140 زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

141 زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي القاهرة.

142 سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1427هـ–2006 م.

143 السحر في الشريعة الاسلامية، محمود قاسم الحمود، ط1، 2001 م.

144 سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، 1415هـ–1995 م.

145 السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد القحطاني، دار ابن القيم.

146 سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1.

147 سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

148 سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: محمد الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1.

149 سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، مكتبة المعارف، الرياض، ط1.

150 سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ-1984م.

151 شأن الدعاء، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: أحمد الدقاق، دار المأمون، دمشق، ط1، 1404 هـ-1984م .

152 شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.

153 شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1416هـ-1996م.

154 شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، جلال الدين السيوطي، دار المدني، مصر

155 شرح الطحاوية، سفر بن عبد الرحمن الحوالي.

156 شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني، تحقيق أحمد السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1 ، 1407هـ-1987م.

157 شرح العقيدة السفارينية، محمد مانع، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1418هـ- 1997م.

158 شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق محمد الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط8، 1404هـ-1984م.

159 شرح العقيدة الواسطية، محمد هراس، خرج أحاديثه: علوي السقاف، دار الهجرة.

160 شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ-1989م.

161 شرح سنن أبي داود، محمود بن أحمد بدر الدين العيني، تحقيق: خالد المصري، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية ، ط1، 1420هـ-1999م.

162 شرح صحيح البخاري، علي بن بطال، مكتبة الرشد، الرياض.

163 شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط2 ، 1431هـ.

164 شرح كتاب الفقه الأكبر، الملا علي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1404هـ- 1984م.

165 الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ-1996م.

166 شعب الإيمان، أحمد البيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ-2000م.

167 الشفا، أبو الفضل عياض اليحصبي، اعتنى به وراجعه: هيثم الطعيمي، نجيب ماجدي.

168 شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل،محمد بن قيم الجوزية، مكتبة السوادي، جدة، ط1، 1412هـ-1991م.

169 الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الله الحلواني، ومحمد كبير شودري، رمادي للنشر-السعودية ، ط1، 1417هـ-1997م.

170 الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عطا، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1399هـ-1979م.

171 صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علي بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ- 1993م.

172 صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية- الرياض، 1419هـ-1998م.

173 صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد الألباني- المكتب الاسلامي ط3، 1408هـ-1988م.

174 صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1424-2003م .

175 صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية، ط1، 1347هـ- 1929م.

176 صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي السقاف، دار الهجرة، الرياض، السعودية ط1، 1414هـ- 1994م.

177 الصفدية ، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد سالم، دار الفضيلة.

178 الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، سليمان بن سحمان، تحقيق: عبد السلام بن برجس، دار العاصمة، الرياض- السعودية ، ط1، 1409هـ.

179 الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، مكتبة الحياة ، بيروت- لبنان.

180 طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق:عبد الفتاح الحلو، محمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية.

181 طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد الإصلاحي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1429هـ.

182 طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، محمد يسري، ط2، 1427هـ- 2006م.

183 عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبد الكريم عبيدات ، دار إشبيليا، الرياض، ط2، 1419هـ-1999م.

184 عالم الجن والشياطين، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط4، 1404هـ- 1984م.

185 عالم السحر والشعوذة، عمر الأشقر، دار النفائس- الكويت، ط1 ،1410هـ-1989م.

186 عالم الملائكة الأبرار، عمر الأشقر ، مكتبة الفلاح، الكويت، ط 3 ،1403هـ- 1983م.

187 العبادات في الأديان السماوية اليهودية- المسيحية- الإسلام، عبد الرزاق الموحي، الأوائل، دمشق، ط1، 2001م.

188 عصمة الأنبياء في الكتاب والسنة، محمد الخضر ضيف الله.

189 العقائد الإسلامية، السيد سابق، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط10، 1420هـ- 2000م.

190 العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة، محمد أبوالغيط الفرت، محمد رواس قلعه جي، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1403هـ-1983م.

191 العقيدة الاسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط2، 1399هـ- 1979م

192 العقيدة الإسلامية، محمود عبيدات ، دار الفرقان.

193 عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد ملكاوي، مكتبة دار الزمان، ط1 ، 1405هـ- 1985م.

194 عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها، صالح بن فوزان الفوزان .

195 عقيدة المسلم، محمد الغزالي، دار الريان للتراث.

196 عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، السعودية.

197 العقيدة في الله، عمر الأشقر، دار النفائس، عمان - الأردن ، ط15، 1423هـ- 2002م.

198 عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1421هـ-2001م.

199 عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، ط2، 1388هـ-1968 م.

200 العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي.

201 غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1416هـ.

202 الغنية في أصول الدين، عبد الرحمن النيسابوري، تحقيق: عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ-1987م.

203 الفتاوى الكبرى، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد عطا، ومصطفى عطا دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط 1، 1408 هـ – 1987 م.

204 فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

205 فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبد الرحمن السعدي، اعتنى به عبد الرزاق البدر، دار ابن الجوزي، ط3.

206 فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة.

207 الفتوحات المكية، محمد بن عربي، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ-1999م.

208 الفرق بين الفرق، القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة.

209 فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب عواجي،المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط4، 1422هـ-2001م.

210 الفروق، أحمد بن إدريس القرافي، عالم الكتب، بيروت.

211 الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن حزم، تحقيق: محمد نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط2، 1416هـ- 1996م .

212 فضائل القرآن، إسماعيل بن كثير، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط1، 1416هـ.

213 فضائل القرآن، عبد السلام الجار الله، دار التدمرية، الرياض، ط1، 1429هـ-2008م.

214 فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق البدر، دار التوحيد- الرياض ، ط1، 1429 هـ- 2008م.

215 الفهرست في أخبار العلماء، محمد بن إسحاق النديم، تحقيق: رضا تجدد.

216 الفوائد، محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير عيون، مكتبة المؤيد، الطائف.

217 في الثقافة الإسلامية، أحمد نوفل وآخرون، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 1411هـ- 1990م،

218 في صميم العقيدة، حسن البنا، تحقيق عصام تليمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، ط1 ،1427هـ-2006م.

219 في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق- القاهرة، ط32، 1423هـ-2003م.

220 فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرءوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1391هـ- 1972م.

221 القاموس المحيط، الفيروزابادي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1406هـ-1986م.

222 قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار الفكر، بيروت.

223 قصص الأنبياء، إسماعيل بن كثير، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: حلمي بن إسماعيل، دار العقيدة.

224 القضاء والقدر، عمر الأشقر، دار النفائس ، الأردن، ط13، 1425هـ-2005م.

225 قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق القنوجي، تحقيق: عاصم بن عبدالله القريوتي، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط1، 1404 هـ-1984م.

226 القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن عثيمين، تحقيق: أشرف بت عبد المقصود، دار الجيل، بيروت ، ط1، 1411هـ-1991م.

227 القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: صبري شاهين، دار الثبات، الرياض، ط1، 1425هـ- 2004م.

228 القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: سليمان بن عبد الله ، وخالد بن علي، دار العاصمة.

229 القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى، عمر الأشقر، دار النفائس ، الأردن، ط 7، 1418هـ-1997م.

230 القيامة الكبرى، عمر الأشقر،دار النفائس، الأردن، ط6، 1415هـ- 1995م.

231 كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد البوطي، دار الفكر، دمشق- سوريا 1417هـ-1997م.

232 كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي ، دار الفكر، بيروت، 1402هـ- 1982م.

233 الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

234 الكنز المرصود في فضائح التلمود، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1422هـ-2001م.

235 الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، عبد العزيز السلمان، مطابع الجزير، الملز، ط3.

236 لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2002م.

237 اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي الدمشقي، تحقيق: عادل عبد الموجود،علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.

238 لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف- القاهرة.

239 لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ط1، 1423هـ-2002م.

240 لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة طبرية الرياض، ط3، 1415هـ- 1995م.

241 لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني.

242 لوائح الأنوار السنية، محمد بن أحمد السفاريني، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، مكتبة الرشد- الرياض.

243 مباحث المفاضلة في العقيدة، محمد بن عبد الرحمن الشظيفي، دار ابن عفان.

244 مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر العقل، دار الوطن ، ط1 ،1412هـ.

245 مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، الدار السعودية.

246 متن القصيدة النونية، محمد بن قيم الجوزية، مكتبة بن تيمية، القاهرة، ط2، 1417هـ.

247 مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، علق عليه: محمد فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة.

248 مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين جمع وترتيب : فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن – دار الثريا، 1413هـ.

249 مجموعة الفتاوى، أحمد بن تيمية، تحقيق: عامر الجزار، أنور الباز، دار الوفاء.

250 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ- 2001م.

251 مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي، عني بترتيبه : محمود خاطر، دار الفكر بيروت، لبنان.

252 مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز السلمان، ط12، 1418هـ- 1997م.

253 مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، ط1، 1422هـ- 2001م.

254 مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1419هـ-1999م.

255 مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ- 1998 م.

256 مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان ضميرية، مكتبة السوادي، ط2، 1417هـ- 1996م .

257 المدخل إلى علوم القرآن، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن، حلب، ط1، 1426 هـ - 2005 م

258 مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله بن محمد المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية – الهند، ط3 ،1404 هـ- 1984 م.

259 مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م.

260 المستدرك على الصحيحين، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق حمدي محمد، المكتبة العصرية بيروت- لبنان ، ط1، 1420هـ- 2000م.

261 مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م.

262 مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط2، 1394هـ.

263 مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله التبريزي، تحقيق: ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي، بيروت ، ط1 ،1381هـ-1961م.

264 معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حافظ الحكمي، خرج أحاديثه عمر أبو محمود، دار ابن القيم، السعودية، ط3، 1415هـ- 1995م.

265 معالم السنن، حمد بن محمد البستي ،المطبعة العلمية – حلب، ط1، 1351 هـ- 1932م.

266 معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، محمد العقيل، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1422هـ- 2002م.

267 معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1993م.

268 المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد حسن الشافعي.

269 المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، دار الحديث- القاهرة.

270 معجم المناهي اللفظية، بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار العاصمة ، الرياض، ط3، 1417 هـ-1996م.

271 معجم المؤلفين، عمر كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1414 هـ- 1993م.

272 المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، ط3، 1400هـ- 1980م.

273 معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، ط1، 1416هـ-1996م.

274 معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر.

275 المغني، ابن قدامة المقدسي مكتبة القاهرة، 1388هـ- 1968م.

276 مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، محمد بن القيم الجوزية، دار ابن عفان، العقربية، ط1، 1416هـ- 1996م.

277 المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني.

278 ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلّاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1 ،1403هـ-1983م .

279 منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق ، سوريا، 1410 هـ- 1990 م.

280 مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر الألمعي ، ط1، 1399هـ.

281 مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد الزرقاني، تحقيق: فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م.

282 المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محب الدين الخطيب.

283 منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز بن الشيخ، دار ثقيف، السعودية، ط3، 1400هـ-1980م.

284 منهاج السنة النبوية، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد سالم.

285 منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1413هـ-1993م.

286 منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ، حمود بن أحمد الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية،ط1 ،1424هـ-2004م.

287 المواقف في علم الكلام، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب بيروت.

288 المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد القسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

289 موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد – الرياض، ط1، 1415 هـ- 1995 م.

290 النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار الثقافة ، قطر- الدوحة، 1405هـ- 1985م.

291 النبوات، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1420هـ-2000م.

292 النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، ط2، 1400هـ-1980م.

293 نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن ، ط12، 1425هـ-2005م.

294 نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ، أحمد بن محمد الخفاجي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1421هـ-2001م.

295 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2006م- 1427هـ.

296 النكت والعيون تفسير الماوردي علي بن محمد الماوردي ،دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1412هـ-1992م.

297 النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير الدمشقي، تحقيق: عصام الدين الصباطي، دار الحديث، القاهرة.

298 النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناجي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

299 نواقض الإيمان القولية والعملية، عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، دار الوطن للنشر، ط3، 1427هـ.

300 نور اليقين في أصول الدين في شرح عقائد الطحاوي، حسن كافي البوسنوي، تحقيق: زهدي البوسنوي مكتبة العبيكان ، ط1، 1418هـ-1997م.

301 الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء علي بن عقيل، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ- 1999م.

302 الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1420هـ-2000م.

303 الوجيز في شرح جوهرة التوحيد، نايف العباس، تحقيق: علاء الدين الحموي، ومحمد الحبش، دار العصماء -سوريا ، ط1، 1419هـ-1998م.

304 الوجيز في عقيدة أهل السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ.

305 وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم، دار الراية، ط1، 1415هـ-1994م.

306 وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

307 وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد بالي، مكتبة التابعين، القاهرة، ط 10، 1418هـ-1997م.

308 يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار، محمد صديق البخاري القنوجي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة عاطف، القاهرة، ط1، 1398هـ-1987م.

مواقع الشبكة العنكبوتية:

موقع طريق الإسلام http://ar.islamway.net/scholar/37

- موقع الإسلام سؤال وجواب http://islamqa.info/ar/ref/132458
- موقع آفاق التيسير http://www.afaqattaiseer.com/vb/showthread.php?t=320
- موقع الإيمان http://www.al-eman.com
- موقع ابن عثيمين http://www.ibnothaimeen.com/all/Shaikh.shtml
- موقع تويت ميل http://twitmail.com/email/331212814/17

خامساً: فهرس الموضوعات

ملخص الدراسة باللغة العربية

الحمد لله حمداً كثيراً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد،،،

مما لاشك فيه أن العقيدة الإسلامية الصحيحة هي أعظم المطالب، وأول الواجبات، وبموجبها تكون النجاة يوم القيامة، لذلك فإن المتدبر للقرآن الكريم لا يزال يرى مدى اهتمام القرآن الكريم بإصلاح العقيدة، وليس من المبالغة القول بأنه لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من الحديث عن العقيدة.

وسورة البقرة هي واحدة من السور التي تعنى بالجانب العقدي، لذلك تناولتُها بالبحث والدراسة، وقسمتُ البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة فقد تناولت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، أما التمهيد فقد تحدثت فيه عن تعريف العقيدة وأهميتها مع بيان أثرها في حياة المؤمن وسلوكه، وتناولت أيضاً في التمهيد التعريف بالسورة من حيث بيان فضلها، وتصنيفها مكية أو مدنية، بالإضافة إلى الحديث بشكل مجمل عن الأمور العقدية الواردة في السورة. أما الفصل الأول فهو بعنوان الإيمان بالرسل والكتب السماوية، وقد قسمته إلى مبحثين؛ الأول منهما يحتوي على مطالب تتناول أموراً عدة، منها: معنى النبي والرسول، وتفاضلهم فيما بينهم، بالإضافة إلى الحديث عن عصمتهم ووظائفهم التي كلفهم الله بها، كما أنني تحدثت في هذا المبحث عن معجزات الرسل، وشفاعة الرسل عليهم السلام يوم القيامة، وبينت مظاهر التوحيد في حياة الرسل، ثم كان الحديث عن واجبنا تجاه الرسل عليهم السلام. أما المبحث الثاني من هذا الفصل فقد جعلته للحديث عن الكتب السماوية الواردة في السورة منها القرآن الكريم، والتوراة، وصحف إبراهيم، والإنجيل، وبينت مدى حاجة الناس إليها، كما أنني تطرقت إلى مسألة تفاضل آيات القرآن الكريم والاختلاف فيها مع بيان الراجح، وأفردت مطلباً للحديث عن تصديق القرآن للكتب السماوية.

وجاء الفصل الثاني من الرسالة بعنوان: الإيمان بالملائكة، وقد قسمته إلى مبحثين هما: مبحث الملائكة كان الحديث فيه عن معنى الملائكة مع بيان صفاتهم ومنها العصمة، والمبحث الثاني خصصته للحديث عن الشياطين وعداوتهم لآدم، مع بيان بعض مظاهر هذه العداوة والتي تتمثل في الأذى المعنوي والحسي، والفصل الثالث جعلته للحديث عن اليوم الآخر، بما فيه من بعث وحشر وجزاء للأعمال، كل ذلك حسب ما جاء في السورة، بالإضافة للحديث عن الجنة والنار، والفصل الرابع تناول الإيمان بالقضاء والقدر، مع بيان درجاته بالإضافة إلى الحديث عن الهداية والضلال .

وفي الخاتمة سجلت أهم ما توصلتُ إليه من نتائج وتوصيات.

Abstract

There is no doubt that the right Islamic faith represents the greatest wish and first duty which can lead to survival on the Day of Resurrection. Therefore, a meditating person when reading the Quran still sees the attention that the Quran gives to reform of faith. Almost every Surah of the Quran talks about faith.

Surah Al-Baqra (*The Cow*) was revealed in the holy city of Madina and it deals with faith. The research is divided into an introduction, preface, two chapters and a conclusion.

The introduction tackles the importance of the topic and the reasons for choice, previous studies, and research methodology.

The preface talks about the definition of faith and its importance, showing its effect on the life and behavior of believers in addition to the meaning of the prophecies and divine matters. This section also deals with the definition of the Surah Al-Baqra in terms of its virtues and whether it was revealed in Makka or Madina, as well as the overall faith-related matters mentioned in the Surah.

The first chapter is entitled "Prophecies." It is divided into two sections, the first of which covers the meaning of 'prophet' and 'messenger' and the difference between them, as well as the functions assigned to them by Allah. In this chapter, the researcher discusses the miracles of prophets and shows manifestations of how they declared that Allah is the only God they worship.

The second section of this chapter talks about the scriptures mentioned in this Surah: the Quran, the Torah, the Scrolls of Abraham, and the Bible. The researcher shows the need of people to these scriptures and touches upon the issue of difference in the verses of the Quran.

The second chapter is entitled "Divine Matters." It is divided into sections, the first of which covers the issue of angels where their attributes have been discussed, in addition to the difference between angels and righteous humans. The second section tackles the issue of devil and its enmity to Adam with some of the manifestations for this harm which is moral and sensuous.

The third section includes believing in the Last Day, including resurrection and punishment and reward for acts as stated in the Surah. A separate section has been allocated for the issue of heaven and hell. Another section also deals with intercession and its conditions. The last section discusses fate and destiny as well as guidance and misguidance. In the end, the researcher presents the finding and recommendations of the study.